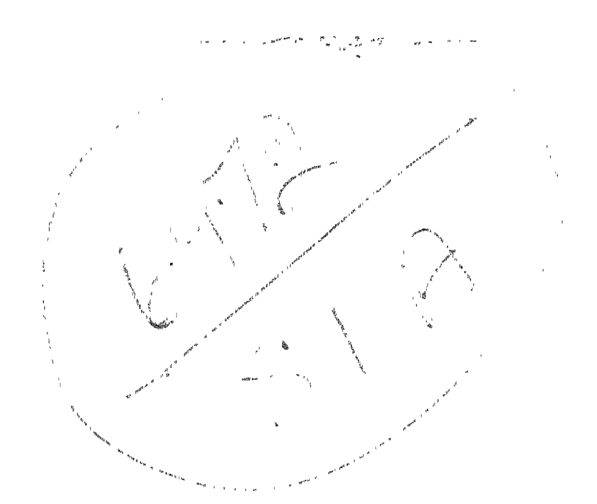


[illegible]

[illegible]

[illegible]

۳

[illegible]

۴

[illegible]

[illegible] احتفالات [illegible] يتحادب
[illegible] الشهور اذا طائفة من فرسان [illegible]
[illegible] سرعة غريبة لم يستطيعوا معها الّا ركب الخيل
[illegible]

[illegible] فتركه وولّى على رجليه مدبرًا [illegible]
[illegible] لولا [illegible] فرتريس الذي كان [illegible] سيده
[illegible] نجاة [illegible] حياته في سبيله اذا
[illegible] وكان [illegible] في [illegible] القمح حيث بقي اربعين
[illegible] وحشرات [illegible] ذلك [illegible] كالجرد والفار
[illegible] الآلام من [illegible] جراحه ومن
[illegible] كثير فلما اتى معسكر
[illegible] كل الاقدار وكرمًا اكرامًا
[illegible] التجارة الكرية [illegible]
[illegible] عن [illegible]

[illegible]

[illegible]
[illegible] جرية [illegible]
[illegible]
[illegible] حاطر
[illegible] هو
[illegible]

[illegible] لاحتفال [illegible]

المخترقة جدور السفن فهالهم الامر جداً الآن سائر رفقائه لم يقتفوا اثره ببسالته بل تركوه وحده تلك المرة فقام وحده بازاء سائر السفن العثمانية وناصبها القتال زمناً طويلاً الا انه اضطر اخيراً ان يكف عن القتال لان سفينته قد خرقتها قنابل المدافع وتحطم صاريها [illegible] بالتجربة اخرى فانسحب من [illegible] ولم يستطع احد ان [illegible]

وقد سببت هذه الكسرة البحرية [illegible] البندقية فان الجيش العثماني [illegible] محاصرة هذه المدينة [illegible] الحرب البندقية [illegible] جزيل وقد ساعدهم بعض السكان فكانوا يخرجون منهم بالاسراب [illegible] تحت الاسوار ويخابرون الخصم سراً

[illegible] البندقيين الذين كانوا يدافعون عن [illegible] فخرجوا من المدينة جزءاً ونجوا بنفوسهم وتركوا الاهلين تحت رحمة الظافرين

فدخل العثمانيون الى سالونيكية عنوة سنة ١٤٣٠ وبقيت في ايديهم ولا تزال حتى يومنا هذا ويسمونها الآن سلانيك وهي حاضرة ولاية كبيرة مهمة وعدد سكانها نحو من ستين الف نفس ونيف

ولما سقطت سالونيكية في ايدي العثمانيين اهتزت اركان سلطنة الروم وخشعت قلوب اهل القسطنطينية وباتوا يتوقعون ان يصيبهم [illegible] ما اصاب تلك المدينة [illegible] فاصبحوا الآن كل ما كان يأخذه العثمانيون من البلاد سواء كانت لهم او للذين كانوا يحاربونهم [illegible] شوكتهم وتقوية الفاتحين

اما [illegible] التي كانت [illegible] سالونيكية [illegible] على [illegible] للمادقة قد [illegible] وتوفي [illegible] في القسطنطينية [illegible] زمان يسير

وبعد ان ملك العثمانيون [illegible] وسعوا نطاق فتوحاتهم في الاقاليم [illegible] و[illegible] ومبيرا وتيقونيا وكانت الدائرة فيها تارة على [illegible] وطوراً على الذين على انهم

من طرق الرماح في اساليب الحرب وفنون القتال وارضوا الامير بتأديتهم له خمسين الف دينار تعويضاً له عن هذه الخسارة

فلما تسلط البنادقة على تسالونيكية انشرح اهلها صدراً لما ابداه اولئك نحوهم من لين الجانب ورقة الحواشي حتى اطلقوا لهم الحرّية في ان يسوسوا انفسهم على شاكلتهم الا ان هذه الحال لم تدم على هذه المنوال فان البنادقة قلبوا لهم ظهر المجن اما خوفهم من تقلبات التسالونيكيين الفطرية واما لاكتشافهم على مؤامرة خفية فاخذوا يختلقون حججاً متنوعة لاذلالهم فنفوا من المدينة خلقاً كثيراً وبددوهم في جزر الارخبيل التي كانت يومئذ في حوزتهم ونواحيهم السلطان مراد فكانوا بدّلوا جميع سكان تسالونيكية بغيرهم

الا ان هذا السلطان لم ينظر بعين الرضى الى استيلاء البنادقة على هذه المدينة الخطيرة لانه كان يحسبها [illegible] ولم يخف ما طوى في صدره من قصد اغتصابها منهم [illegible] في [illegible] فاستغاثوا بالقيصر يوحنا [illegible]

[illegible] الى السلطان مراد سفيراً يذكره ان المدينة التي عزم على افتتاحها [illegible] فاجاب السلطان ان تسالونيكية لو كانت باقية بيد اخيه [illegible] من ايدي البنادقة اعدائه

فلما خفق سعي القيصر ورأى البنادقة ان السلطان مصرّ على قصده اخذوا يجهزون [illegible] تسالونيكية حصناً حصيناً

وفي ذلك الاثناء [illegible] لاحراق السفن العثمانية الراسية في مينا غاليبولي وقلدوا لواء هذه الحملة البحرية لالدرمس موكينكو قبطان خليج البندقية فلم يتحرك [illegible] في ما سعى اليه حتى تمكن من مفاجأة العثمانيين في المرفأ وسفنهم التي كانت [illegible] في مقدمة الجزيرة بعد ان قطع السلاسل الغليظة

واستقر في تخت المملكة بسلام بضع سنين بلا منازع وقد اقره القيصر يوحنا وبعث اليه بالتاج وسائر الشارات الملكية الا ان السلطان مراداً اخذ ينازعه الملك بحجة ان جده بايزيد الاول كان قد تزوج ماليف بنت لعازر فاولادها احق بالملك من جرجس فدرك الامير ما وراء هذه المنازعة من وخيم العاقبة فرأى ان يستميل اليه السلطان بالتضحية ببعض مملكته في سبيله على ان يقاسمه كما حدثته على ان يزوجه بشقيقته الاميرة مريم ويعطيه جانباً كبيراً من مملكته وكانت مريم رائعة الجمال فلاقت حظوة في عيني السلطان فاصبح اميرها واحتفل بالزفاف احتفالاً عظيماً

وبعد الزفاف بايام تجهز السلطان بحملة على بلاد المجر وقد رافقه فيها دراكولا امير الافلاخ بالرغم من اخلاص خدمته ووعده بمساعدته بالرجال فسعيا ومشى السلطان فتقدمت هذه الحملة التي دلها على طرق وعرة قفرة موعرات فيها محوشة فانهكها العناء والجوع وحاولت ثلث فرقها من التاكل حتى اذا بلغوا في ضواحي زبايوه والهرة ... وقد خرجت قوادهم لاقوا في وجوههم جيشاً عظيماً من الصناديد الابطال متأهباً للنزال والقتال فانقضوا عليهم كالاسد الضواري فمزقوا شملهم فعاد السلطان بمن بقي معه واسرع في عوده الى نوب وقد ندم على مجاراة دراكولا وانقياده لمشورته ولذا لما مثل هذا الامير بين يديه مسلماً عليه امر به فقبض عليه الا انه عرف بما طبع عليه من الحيل والتملق ان يسترضي السلطان فاطلقه واذن له بالعود الى تخت امارته

٦

وكان الروم ينظرون بعين الرضى الى اشتغال السلطان مراد بغزواته وفتوحاته القاصية ويودون لو يبقى بعيداً عنهم ولا سيما في حين كان القيصر يوحنا لا بد له من الراحة والهدوء في الخارج حتى يتمكن من اعادة السلام والاتفاق بين آله

كان يوحنا يؤثر قسطنطين على سائر اخوته لما كان يعهد فيه من علو الهمة ورجاحة العقل والشهامة وعقد العزم على تعيينه خليفة له فاستدعاه الى بلاطه ليكون بجانبه اذا

لم يفلحوا في غزوات سنوها على الالبانيين . ولا يخفى ان في البانيا جبالًا وعرة وغابًا كثيفة كأنَّ هامتها حصنٌ حصين يدفع عنها هجمات الغزاة فضلًا عن ان اهلها اشداء ذوو بأس

٥

وكان السلطان مراد لا يهدأ له بال ما لم يفتح عاصمة الروم فاحتال لذلك بان جهز عمارة قوية مؤلفة من اربعين سفينة فسارت حتى رست على مقربة من القسطنطينية واستأجر البحارة العثمانيون بعض صيادي الروم ليدلوهم على باب المرفإ ويسهلوا لهم سبيل الدخول ليلًا فلم يسعدهم الوقت بل انكشف امرهم وقبض الروم على الصيادين وقتلوهم فعدل العثمانيون عن رأيهم لا انهم انتشروا في سواحل بحر الاسود وخربوها حتى اسوار طرابزون

فرح الروم بالنجاة الحاضرة لان فرحهم قد تنغص بما اوهن عزائمهم من داهية نزلت بهم وتوقعوا من تعس العواقب : كان في القسطنطينية كنيسة لوالدة الاله من ابهى كنائسهم والذائعة تعرف بكنيسة هلاشرناس وكان الروم يجلّونها جدًّا لحفظهم فيها ثوب العذراء ولما كان يجري فيها على يد امّ الله من المعجزات الباهرة فاتفق ان بعض الاتراك صعدوا الى وقفت خيلهم في جدران هاته الكنيسة حاملين بايديهم شهبًا متقدة فنشبت فيها النار والتهمتها كلها فرأى الروم هذا العقاب وتشاءموا به اي تشاؤم

اما العثمانيون فلما اخفقت سريتهم في البحر التهبوا غيظًا وعادوا فجهزوا جيشًا قويًّا وزحفوا به الى فوتو على الالبانيين النصر واكرهوا ملكهم يوحنا كستريوت ان يدخل في ذمة السلطان ويؤدي له الجزية ويرسل الى دار السلطان اولاده الاربعة رهائن

وكان السلطان مراد لا يبرح موجهًا بصاره الى القسطنطينية والى ما جاورها من الممالك الصغيرة مترقبًا كل الفرص لالتهامها شيئًا فشيئًا فحدث في تلك الغضون ان استفان بن لعازر امير سربيا مات دون عقب فخلفه ابن اخته جرجس برنكوفتش

الفوز الاكيد والنصر القريب الا ان يوحنا لاونتار كبير قوّاد الروم لاقاهم بقلب دونه قلب الخنزير وصدمهم صدمة شديدة مزّقتهم كل ممزّق فولوا الادبار على اعقابهم وعادوا بخيبة و[illegible] جنوا تركين موطنهم الذين دعوهم لنجدتهم هدفاً لهجمات الروم

وزحف لاونتار على [illegible] وحاصرها وضيّق [illegible] جداً حتى كاد الاهلون يهلكون جوعاً و[illegible] حينئذ [illegible] الاعداء [illegible] و[illegible] منهم عدداً كبيراً . فضلاً [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من تخريب محرثهم ومتاجرتهم تخريباً [illegible] [illegible] فقطّعوا الرؤوس [illegible] [illegible] [illegible] اسماء كبيرة و[illegible] [illegible] عقد الصلح [illegible] التيصر يوحنا [illegible] بعض [illegible] تعزيتهم بدفع [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] التي [illegible] قبل [illegible] [illegible] [illegible] وجبارهم [illegible] مبلغ [illegible] تعويضاً [illegible] من [illegible] اصحاب الحوانيت والمخازن التي كانت في [illegible] [illegible] وذلك لان التيصر [illegible] مفطوراً على الشفقة واحبة رعيته دون تمييز [illegible] على الشفقة كان [illegible] [illegible] [illegible] خسارة [illegible] هم بالحرب [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] يحب التيصر يوحنا [illegible] رعيته [illegible] جمعاء

طرأت بين الاخوين فجردت ثيودور فلك ليونيز الذي كان منفيا ميداً
وقد في قسطنطين ... عرف ... عن ... ليتنازل عن حق الخلافة
وهو سن من اخيه قسطنطين

وقسطنطين فحمل اخاه ثودور ان يترك العاصمة عاجلا وذلك بان خرج منها
سراً وغاب مع ... فاغار كلاهما على اقليم بيلوبونيز فتميز ثاودور غيظاً وجهز
عمارة قوية وعاد الى مارنه طارد اخيه منها وكادت نار القتال تضطرم اضطراماً لو لم
يتلافها ... فعدوه الى فريقين ... لي سطوة وفطنة فاخمدوا ما كان
يستعر في ... من ... الاهوية فتصالح الفريقان وترك السلاح على
ان ثاودور ... في ابيونيز او المورة وان يعود قسطنطين الى البلاط
القيصري

٧

و... التتر ... الجنوية ... الروم ... غاية ... غنيمة باردة وذلك
لان التتر كانوا قد ... على مستعمرة الجنويين على سواحل البحر الاسود فخربوها
ونهبوا ... منهم ... مدينة ... في اقليم القريم وكانوا قد احتكروا
فيه تجارة ... البحر الاسود ... من ذلك ارباحاً عظيمة فلما غلبهم التتر فكروا
في ان يعوضوا خسارتهم من الروم الذين كانوا (اي الجنويون) قد قطعوا عنهم (اي
عن الروم) موارد الثروة ... في وجوههم ابواب التجارة ولذا كثيراً ما كانت
تقع بينهم الخصومات بشأن التجارة ثم تخمد بعقد مواثيق وعهود قلما روعيت حرمتها
فوقعت في ذلك العهد ... تجارية ... اتخذها الجنويون ذريعة الى
اضرام ... بين جيرانهم فاتخذوا ... من جمهورية جنوا فجهزت لهم ... العود
عمارة قوية ... والف ... وارسلتها الى مياه القسطنطينية

وسار الجنويون وفي قلوبهم من ... قوتهم والازدراء بالروم ما زين لهم

لاشاة هرطقة البوهيميين فاتفق البابا اليهم نائبه يسألهم ان يوجهوا همهم
عتذروا عن ذلك بحجج لا طائل تحتها . واما اوجانيوس فلم يكن ليرجع
حب بحجج المؤمنين فبعث برسول خصوصي الى القيصر صحبة بعض
من من عوة قبيل الاتحاد لدى القيصر والبطريرك القسطنطيني
ه قد صح حسن وقع ...

المجمع ان فتتح باب المفاوضة بين ... والقيصر ... رغبوا ان يعقد
نفسه في ... ودعا الى القيصر يوحنا يستميله الى رأيه فآثر رأي
ب في عقده في احدى مدن ايطاليا ... لتنتهز هذه الفرصة لتجري على
صرة الذين كانوا يختصون انفسهم بامتياز الدعوة الى المجمع المسكوني
الذي يشاؤون عقده فرنسي ... ان تكون الدعوة الى المجمع العام
القسطنطينية ولبيت لذلك مدينة فراره من عمال ايطاليا

القيصر ضيق ذات اليد حينئذ ان جميع نفقات المجمع يتحملها
ان جميع الروم الذين يحضرون المجمع ويبلغ عددهم سبعمائة نفس من
ن مواطنهم الى حين عودهم اليها لا ينفقون شيئاً الا من مال اللاتين
جانيوس ابتغاء خير العام بهذه الشريطة مع غيرها من الشرائط الموافقة
دفى عثرة في سبيل هذا المشروع الخطير وارسل الى القسطنطينية
فقلت القيصر يوحنا والبطريرك القسطنطيني يوسف ونواب بطاركة
ن ومطران كيف جاثليق جميع الكنيسة الروسية وعدداً كبيراً من
الاديرة والرهبان والاعيان وعقدوا له هذه السفن الاربع لاحد ذوي قربى

٢

ج الروم من ثغر القسطنطينية في السابع والعشرين من تشرين الثاني

الفصل الثاني

سعي القيصر يوحنا بعقد مجمع مسكوني لاتحاد الروم مع اللاتين

١ الاتفاق بين يوحنا و[illegible] اوجانيوس الرابع عقد المجمع ـ ٢ ـ خروج القيصر مع البطريرك القسطنطيني [illegible] الروم وحضورهم مدة في البندقية وفرارة ـ ٣ ـ [illegible] عقد الجلسة الافتتاحية

١

لما استتب الامر في السلطنة وضرب السلم اطنابه حينئذ اخذ يوحنا يفكر في ايجاد امر عظيم ينجم منه خير عميم له ولامته ومملكته معاً الا وهو السعي في توفيق بين الكنيستين الشرقية والغربية وكان قد سبقه الى ذلك احد اجداده من نبلاء الملك ميخائيل باليولوغ اذ جمع مجمعاً لاساقفة الروم واللاتين في مدينة ليون (من فرنسا) في كنيسة القديس يوحنا المعمدان الكبرى التي لم تزل حتى يومنا من اشهر كنائس الغرب وقد اسعده الحظ بمشاهدة اعضاء الكنيستين مجتمعين فيها بالقلب والروح موقعين قانون الايمان الكاثوليكي الاشتراكي باليونانية واللاتينية لكن لم يلبث ذلك الاتفاق ان انفصمت عروته بخلع البطريرك الكاثوليكي فكوس بدسائس الامبراطورة افلوجية في ايام القيصر اندرونيك فلم يأت بثمرة

وكان القيصر مانويل ابو يوحنا قد فكر بهذا الامر الخطير وخابر بشأنه البابا مرتينوس الخامس الذي كان كلفاً بالروم ويحب رجوعهم الى الوحدة لكن هذه المخابرات قد انقطعت بموت البابا والقيصر وحفظ تحقيق ذاك السعي الجليل الى خالفيهما البابا اوجانيوس الرابع والقيصر يوحنا الثامن

وكان حينئذٍ كثيرون من اساقفة الغرب عاقدين مجمعاً في مدينة بال من

فاقام القيصر يوحنا في البندقيــة طالبًا للراحة عشرين يومًا ولما كان الثامن والعشرون من شباط ركب قاربًا وسار في نهر بادو فوصل فرضة فرنكولين البعيدة عن فرارة خمس فراسخ فسمع عنه مركيس فرارة نيقولا دي است تحفز لاستقبالــهِ على شاطئ مع جميع اشراف وجوه المدينة وكل الكرادلة والاساقفة الذين كانوا مجتمعين في فرارة لعقد المجمع

فدخل القيصر فرارة بهيبة الى فرارة في ربع آذار ممتطيًا جوادًا ادهم مسرجًا بثمن اثمن يتقدمه فرس ابيض كريم ... احمر مخمل قرمزي ... صور من ... منسوجة ذات رؤوس مرصعة بالحجارة الكريمة وكان فوق القيصر مظلــة ... يحملها اولاد مركيس نيقولا دي است ذوي قرابة الاذنين

فسار ذلك الموكب الملكي العظيم من ... وحين بلغ ترجل جميع الركب الا القيصر الذي تقدم على جواده صاعدًا الدرج ... الى مدخل الحجرة البابوية فترجل حينئذٍ وعبر مدخل الى الحجرة فنهض البابا لاستقباله في وسطها وكان القيصر قد اراد الانحناء على ركبتيهِ لكن البابا امسكه وعانقه كرجل حبيب وسمح له بيده فقبلها ... عظيم ثم اخذه البابا بعضده بيده الى غرفته الداخليــة واجلسه عن يمينه واخذ يتجاذب معــه اطراف حديث برهة ثم ذهب به الى الحجرة البهية التي اعدت له ... جهد طاقته حتى اصبحت تضارع احسن الردهات الملكية في القسطنطينية

اما البطريرك فلم يصل الى فرارة الا بعد ثمانية ايام وكان راكبًا سفينة غاية في الزخرف شبيهة بقصر ملكي كان قد ارسلها المركيس نيقولا دي است اكرامًا لغبطته على انه بقي في سفينة في مرفأ المدينة يومًا كاملا ... يخرج الى البر منتظرًا لترتيب هيئة استقباله على ما يروم لانه كان يقول ان ... قضية ... يبحث فيها في المجمع الا يجب ان تجري الان بحسمها قبل ثباتها . ومن ثم ان هذا البطريرك العظيم الذي

سنة ١٤٣٧ ولم يعبأ القيصر بما تهدده به السلطان مراد باستئناف الحرب اذا لم ينثنِ عن السفر الى ايطاليا بل سار واثقاً بالله مقتحماً الاخطار متجشماً اهوال البحار. وكان سفرهم شاقاً وهبّت عليهم عواصف شديدة ولم يبلغوا الى ثغر البندقية الّا في الثامن من شباط سنة ١٤٣٨

وكان البنادقة قد اعدّوا لاستقبال القيصر اعدادات اكرام يقصر القلم عن وصفها وقد فصّلها المؤرخون المعاصرون تفصيلاً يكاد لا يصدّق فركب الدوق رئيس جمهورية البندقية مع رجال مجلس الاعيان سفينةً في منتهى البهاء والزينة مفروشة بديباج قرمزي ومزدهية باجمل النقوش والصور الممثلة اشهر حوادث التاريخ يكتنفها اثنتا عشرة سفينة تحكيها بجمال الزينة وكانت تقلّ كبار اعيان البنادقة وموسريهم واشرف نبلائهم وقد نُصب فوق كل سفينة لواءان في احدهما مثال نسر ذي رأسين رمزاً عن سلطنة الروم التي كانت متسلطةً على المشرق والمغرب وفي اللواء الاخر رسم اسد رمزاً عن مملكة البندقية وكان على الوية غيرها الرتاب حميلة من الحمل القاني

فبلغ دوق البندقية الى القيصر استقبله بما فطر عليه من اللطف والمجاملة وقبل دعوته فانتقل الى سفينته وجلس على العرش المعدّ له فيها واجلس الدوق من عن يمينه واخاه ديمتري الذي جاء معهُ من القسطنطينية عن يساره وجرت بهم تحدق بها سفن كبار الامراء ووجهاء الشعب ومن حولها زوارق كثيرة مزينة ركبها تجار واعيان البلد

فدخل القيصر الى البندقية محفوفاً بهذا الموكب العظيم الذي لم يسبق له مثال بالاحتفاء والاجلال فكانت اجراس الكنائس تقرع والموسيقى العسكرية تضرب بالحانها الشجية والشعب كله يهلل طرباً ويرنح جذلاً ويسمي انظم عواطف الوقار وقصارى ما يقال ان ذلك الاحتفال كان نادر المثال يضنُّ الزمان ان يأتي بما يباريه من الابهة والاجلال

[illegible] كان قد عقد قبلا جلستين استعداديتين لافتتاح مجمع رأس [illegible] نيقولا [illegible] في ٨ كانون الثاني والثانية معقودة في ١٥ شباط [illegible] في [illegible] لا مزيد عليه من [illegible] ودقة [illegible] في [illegible].

[illegible]

[illegible]

[illegible] ميلاده [illegible] في [illegible] الأرض [illegible] هذا [illegible] [illegible] حتى [illegible] وتحد [illegible] عن [illegible] لا [illegible] حسب وجهت [illegible] شعوب [illegible] فقط [illegible] وان [illegible].

[illegible] الكنيسة من [illegible] بين كنيسة الشرق وكنيسة [illegible] الاتحاد [illegible] في مجمع [illegible].

[illegible] الكبير [illegible] الاعزاء [illegible].

صار اوّل من اقرّ واثبت بخط يدهِ قبل آخر المجمع سلطة البابا المسكونية كان محافظاً كل المحافظة على ما بهِ شرف الشرق بالرتبة والسلطة حتى انهُ قال حين خروجه من السفينة : اذا كان البابا اكبر مني سناً اعتبرتهُ كأبي واذا كان ترْبي حسبتهُ كأخي واذا كان اصغر مني عددته كابنٍ لي

اما البابا الذي كان يشتهي من اقصى قلبهِ ان تتوثق علائق الاتحاد بين الكنيستين فبذل غاية جده في ارضاء البطريرك واستقبلهُ استقبالاً عظيماً يكاد يشبهُ استقبال الباباوات وبما ان البطريرك طلب ان يرسل الكرادلة لملاقاتهِ بعث البابا باربعة كرادلة وخمسة وعشرين مطراناً وعدداً كبيراً من احبار وعظماء البلاط البابوي والمركيس نيقولا وجماً غفيراً من اعيان البلد واغنيائهِ هؤلاء كلهم وقفوا على الشاطئ منتظرين قدوم البطريرك فلما خرج من السفينة رحبوا بهِ وحيّوه مهنئين . وركب وحاشيتهُ جياداً كانت معدّة لهم وساروا الى قصر البابا وكان على جانبي البطريرك كردينالان احدهما بروسبر كولونا ابن اخي البابا مرتينس الخامس ولما بلغ الموكب الى باب البلاط البابوي ترجل البطريرك وصعد المرقاة مخترقاً عدة غرف وردهات حتى حجرة الحبر الاعظم الخصوصية فدخل البطريرك مع ستة من كبار مطارنتهِ وهم مطارنة طرابزون وافسس وكيزيك وسردوس ونيقية ونيقوميدية فقام البابا من عرشهِ ولما اقترب اليهِ البطريرك تعانقا بمحبة واستقام البابا على عرشهِ وجلس البطريرك من عن يمينهِ على كرسي ككراسي الكرادلة ثم تقدَّم المطارنة الستة وقبّلوا البابا ايضاً ثم اصطفوا بجانب البطريرك ولبثوا واقفين كسائر رجال البطريرك الذين دخلوا يحيّون البابا ستة ستة وكان الاساقفة منهم يقبلون يد البابا ووجنتهُ اما الخوارنة وسائر خدمة الدين فكانوا ينحنون انحناءً بليغاً واما العالميون فكانوا يجثون لاثمين قدمي الحبر الاعظم

٣

ثم اخذ البابا والملك والبطريرك يهتمون بعقد حفلة افتتاح المجمع بحضور الكنيستين

الفصل الثالث

في جلسة المجمع الافتتاحية العمومية

١ ترتيب جلوس الشرقيين والغربيين — ٢ تعذّر حضور بطريرك القسطنطينية عن الحضور ورسالة شفقة تتلى عند الافتتاح — ٣ تلاوة براءة البابا

١

قرّ الرأي على ان يجتمع الشرقيون والغربيون في صحن الكنيسة فيجلس هؤلاء في الجهة اليمنى واروم في اليسرى لكنهم اختلفوا على مقام القيصر فذهب بعضهم الى نصب عرشه في الوسط كما كان قسطنطين الكبير في المجمع النيقوي الاول وذهب فريق الى نصب عرش الحبر الاعظم في الوسط لكن البابا حسم الخلاف ووفّق بين الطرفين فأُقيم في وسط الكنيسة عرش كبير وُضع فوقه كتاب الاناجيــل المقدسة بين هامتي الرسل بطرس وبولس اما عرش البابا فنُصب في صحن الكنيســة الايمن ومن حواليه كراسي سائر آباء الكنيسة اللاتينية ونُصب عرش ملك الروم في الجهة اليسرى واقيم اخوه ديمتري على كرسي فاخر بقربه وأُقيم لبطريرك القسطنطيني عرش اوطأ قليلا من منصة القيصر وبجانبه سائر آباء الكنيسة الشرقيــة في مقدمتهم نواب البطاركة الثلثة وهم انطونيوس مطران هيرقلية وغريغوريوس مرشد القيصر بالنيابة عن فيلوثاوس بطريرك الاسكندرية ومرقص الافسسي وايسيدور مطران كياف حاضرة الروسية (ولم يكن هذا قد حضر بعد) نيابة عن دوستاوس بطريرك انطاكية . ومطران صرده ومطران مونمباسي نائبا عن يواكيم بطريرك اورشليم . وجلس بعدهم مطارنة طرابزون وكيزيك ونيقية ونيقوميدية ومتلين ثم مطران الكرج مع واحد من اساقفته ثم سائر الاساقفــة الشرقيين ثم جميع منصّبي الكنيسة القسطنطينية ورهبان جبل آثوس

وجلس في اسفل العرش القيصري سفراء ملك طرابزون وارشيدوق المسكوب

يوسف بطريرك القسطنطينية وارسلنا نحن ايضاً سفراء الى قسطنطينية مع بعض أساقفة وعلماء ليدبروا هذا الامر بدرايتهم . . »

ثم اخذ البابا في براءته هذه يعدّد كل ما صنعهُ لتهيئة هذا المجمع وتمهيد ما دونه من العقبات كما ذكرنا آنفاً ثم ذكر الخطاب النفيس الذي نطق بهِ احد سفراء الروم بتمامهِ وفيه حثّ بليغ من شأنهِ ان يحمل اساقفة مجمع بال على الاتيان الى المجمع وهاك لمعة منهُ :

« ان احبارنا الشيوخ خرجوا مسافرين من قبرص واورشليم والاسكندريّة وانطاكية وسائر المدن الشرقية البعيدة ومن اقاصي بلاد الروس قاطعين الوفًا من الاميال في مسالك صعبة حتى بلغوا القسطنطينية واخذوا يتهيّؤون مع القيصر وبطريرك القسطنطينية الهرم ليقطعوا البحر الى ايطاليا لعقد المجمع فانتم كيف لا تقدرون على اجتياز مسافة يسيرة لتأتوا ساعين في هذا السبيل الآئل الى اتحاد الكنيستين »

ثم قال البابا « وبما انا نشتهي ان هذا المشروع لا يؤَّجل قد حكمنا انهُ يصير في ايطاليا . . . ولا نأذن لاحد ان يتجرأ على مخالفة امرنا هذا الخ »

وهذه الرغبة الحارّة التي شهدناها في قلب البابا لاتحاد الكنيستين قد اعرب عنها مرات كثيرة في بعض اعمال قبل المجمع ثم كرّر تبيانها عند افتتاحهِ الذي كان يوم الاربعاء الكبيرة الموافقة ٩ نيسان سنة ١٤٣٧ في كنيسة القديس جرجس الكبرى في فراره

المقدس. لأن له حكمة ولامره حتى اذ اتفقنا فيما بيننا اتحدنا تحت راية الحقيقة الظافرة وبذا نحن ابناء الشرق قد نتمكن ان نجلي الحقيقة على جميع الاهوال والاخطار التي تحدق بها [illegible] وهذه تعزية [illegible] ولذلك الآن نفتتح المجمع [illegible] من موقف [illegible] الذي [illegible] لا [illegible] المجتمع الاحبار [illegible] ولا [illegible] عن حضور هذه جلسة الاولى [illegible] ذات [illegible] الاخوة البطاركة [illegible] الكنيسة [illegible] يجتمعوا ويعدوا افتتاح المجمع [illegible]

٣

[illegible] برقية [illegible] البطريرك [illegible] الآتية:

[illegible] الاسقف

عبد [illegible]

[illegible] الله القادر على كل شيء حمداً جزيلاً على [illegible] الكنيسة التي يتركها [illegible] تتقلب بين الامواج التي تلاطمها لكنه لا يدعها تغرق فيها بل يتيح لها ان تخرج من [illegible] اكثر قوة واعظم مجداً. فها ان شعوب الشرق والغرب التي افترقت [illegible] من بعضها قد شرعت الآن [illegible] صلات الوحدة والاتفاق. وبعد ان [illegible] سنين طويلة في هذا الافتراق التي كانت عواقبه عليها وخيمة [illegible] في هذا [illegible] رغبة في توطيد الوحدة توطيداً متيناً

ونحن نعلم ان من الواجب علينا وعلى كل [illegible] قصارى جهدنا في [illegible] هذا الابتداء [illegible] حميدة ونجاحاً اكيداً [illegible] شركاء الله بالعمل فيه [illegible] الكلي الاعز [illegible] المسيح يوحنا [illegible] المحترم

وامير الكرج وامير السرب والفلاخ ثم كبار منصبي السلطنة وجمهور كبير من اعيان امة الروم وبعض مشاهير علمائها نذكر منهم جمستيوس اللقدموني وارجيروبيل وجرجس سكورلاريوس الشهير الذي صار اول بطريرك بعد سقوط القسطنطينية بيد محمد الفاتح وسنأتي على ذكر ذلك في حينهِ. وجلس على جانبي كرسي البطريرك خمسة من شمامسته المسمّين بحاملي الصليب لان قلانسهم كانت مطبوعة في مقدمها علامة الصليب المقدس تمييزًا لهم عن غيرهم

وجلس من جانب اللاتين بعد البابا الكرادلة و ١٦٠ من المطارنة والاساقفة ثم رؤساء الرهبانيات العامون ثم علماء الغربيين وكثيرون من آل الكهنوت وكان ايضًا في ذلك الجانب سفراء اكثر ملوك وامراء المغرب

٢

ففي اليوم المعيّن بعد ان قدّم الروم الذبيحة الالهية في احدى كنائس البلدة حسب طقسهم واحتفل اللاتين بقداس الروح القدس في الكنيسة الكبرى دخل الروم الى المجمع فانتصب جميع اللاتين على اقدامهم اكرامًا للموكب الشرقي

وحضر هؤلاء المذكورون جميعهم هاته الجلسة الافتتاحية ما عدا بطريرك القسطنطيني الذي حال دونهُ ضعف صحتهِ فكتب بطاقةً دفعها بيد احد خوارنتهِ يقرأها في المجمع جهارًا فانتصب هذا الخوري عند افتتاح الجلسة في بهرة المجمع وقرأ بطاقة البطريرك باليونانية واللاتينية وهذه ترجمتها

يوسف برحمة الله

رئيس اساقفة رومية الجديدة القسطنطينية بنعمة ومشيئة

الله الذي يسوس كل شيء عائدًا لمجدهِ

قد تحركت في قلوبنا الرغبة النازلة من السماء لنتداول امام احبار الكنيسة الغربيين والشرقيين في المسائل التي يدور عليها الكلام وذلك باستنادنا على الكتاب

الفصل الرابع

في الجلسة الثانية العمومية

١ — سبب تأخر هذه الجلسة — ٢ — بدء الخلاف بين الكنيستين في قضايا الخمس
— ٣ — عقد الجلسة الثانية في مصلى البلاط — ٤ — خطاب بيساريون مطران نيقية —
٥ — خطاب مطران رودس — ٦ — محاورة مرقص مطران افسس معه

١

تمدد بعد ذلك تأخر انعقاد الجلسة الثانية العمومية الى ٨ من تشرين الاول لكن
لم تصرف هذه الاشهر سدى فقد عُقدت في اثنائها جلسات خصوصية دارت فيها
المناقشة على اهم القضايا المختلف عليها بين الطرفين وكان ستة عشر من علماء اللاهوتيين
اللاتين مع ستة عشر آخرين من كبار الروم يجتمعون في ايام معينة للمجادلة في كنيسة
الرهبان الفرنسيسيين لكن هذه الاجتماعات لم تحسب من اعمال المجمع لانها كانت
خصوصية على اننا سنأتي ان شاء الله على شيء منها في محله

٢ — اما القيصر يوحنا فقضى هذه الايام منزوياً في دير يبعد عن فراره ميلين ترويحاً
للنفس وتنزيها للعقل عن مهام الملك وكثيراً ما كان يخرج للقنص في جبال ايطاليا
الغنية بالاشجار والاطيار على انه لم يلبث مدة في هذه العزلة حتى طرأ ما كدر صفاء
كأسها ونغص عيشه فرغب في العود الى القسطنطينية اذ قدم منها ساعٍ ينذره بان
السلطان مراد حشد الجيوش وجهز العدد بغية ان يحمل على الحضرة فيجتاحها
فاضطرب يوحنا من هذا النبأ المخيف المشؤوم لانه كان قبل خروجه قد اعلم السلطان
بسفره الى بلاد الغرب وجدد معه عهود الولاء لكن ما عتم ان انقشعت عن قلبه
هذه الغيمة السوداء بوفود مبشر بعدول السلطان عن الحرب لان علي باشا كبير وزراء
السلطان وزعيم مستشاريه الذي كان على جانب من الحذق والفراسة اشار على مولاه

يوسف البطريرك القسطنطيني ونواب سائر الكراسي البطريركية الثلثة وعددًا كبيرًا من المطارنة وآل الكهنوت وارباب المناصب الرفيعة وصلوا الى البندقية في الثامن من شباط فاعلنوا عدم استطاعتهم على السفر الى بال لعقد المجمع المسكوني وطلبوا ان يأتي الاساقفة الى فرّاره لعمل هذا المجمع والتضافر في امر هذا الاتحاد المقدس فانا نحن الراغبين من صميم قلبنا في عقد عراهُ نثبت الآن كما اثبتنا سابقًا الامر الداعي اساقفة بال ان ينقلوا المجمع الى احدى مدن ايطاليا. والآن برضى الامبراطور والبطريرك وسائر المطارنة الحاضرين هنا نعلن ان المجمع المسكوني قد افتُتح في مدينة فرّاره هذه حتى نعمل لاتحاد هذا المقدس بياشر بدون ادنى مماحكة او عناد بعون الله ويحصل على ادراك الغاية المقصودة من ذلك كما من الاعمال الاخرى المقدسة التي لاجلها صار عقد المجمع

أُعطي في فراره في جلسة المجمع العام المعقودة في كنيسة القديس جرجس لتسع خلون من نيسان من السنة ١٤٣٨ لتجسد الرب وهي السنة الثامنة لحبريتنا»

وبعد قراءة هذه البراءة البابوية قام جمهور الآباء الشرقيين والغربيين ممتلئين فرحا وتعزيةً واملًا وطيبًا بعقد عرى الاتفاق بين الكنيستين. وهكذا انتهت الجلسة الاولى من هذا المجمع المسكوني

فوتيوس كتب سيدنا يقول « ما يشق تكون أنضاف إلى أعمال المجمع بخصوص كنيسة القسطنطينية فالأمر إليكم وثبتناه فقط بقداستكم فهو لا يعتدّ به بدون مصادقتكم »

وهو يشير [illegible] خلاف [illegible] سنة ٨٦٠ في [illegible] بطريرك القسطنطيني [illegible] اغناطيوس [illegible] بسبب مناقشة حدثت بينهم في [illegible] البطريركية [illegible] خلاف [illegible] لا علاقة له بمسألة دينية [illegible] وتوسّعت [illegible] في [illegible] فوتيوس الكبير و[illegible] وقع بينهما من خلاف [illegible] البطريرك نفسه كتب [illegible] وبذلت عروة الوفاق المتحمة بين الكنيستين [illegible] في كل هذه المدة [illegible] ولا في مجمع القصر الذي عقده [illegible] الثاني في القسطنطينية [illegible] الباباوات وبقي البطاركة حافظين الاتحاد متينًا حتى ايام فوتيوس

ومن [illegible] رسائل فوتيوس التي كتبها للبابا [illegible] نيقولاوس الكبير [illegible] [illegible] في كرسيه البطريركي حين [illegible] فوتيوس [illegible] من اكبر انصار الوحدة و[illegible] شاهد بجذ [illegible] بيعة [illegible] على [illegible] منها رسالة من ابن لابيه و[illegible] كتبها [illegible] في رسالة الاولى :

« اني [illegible] الى [illegible] التي [illegible] ذاتي [illegible] ضعف نفسي ودون قوتي لا استطيع [illegible] عن [illegible] حزن [illegible] وانا تحت [illegible] لاستقالة هذا الثقيل . على ان [illegible] النظر على ملاحظة ومجاملة الجميع قد [illegible] بالعنف والقسوة بتعليق هذا النير في عنقي . فمنذ [illegible] عن الدرجة البطريركية رأيت جميع الحضرة و[illegible] والشعب [illegible] في كل [illegible] واحد بطريركًا بدلًا منه »

وبعد ان اجابه البابا نيقولاوس انه لا يقدر ان يثبت انتخابه قبل ان يتأكد صحة

ان انتظر عاقبة المجمع المنعقد لعله يحبط فتبقى الكنيستان مفترقتين وحينئذٍ يتسنّى لك ان تعمل ما تشاء والا اذا اقدمت الان على مهاجمة المدينة واحتلالها فانك تثير عليك غيظ جميع ممالك المغرب فيلتزمون اقله من باب الشرف ان يأخذوا بناصر ضيفهم قيصر الروم فتكون العقبى علينا وبالا فاصاخ السلطان سمعًا لهذه النصيحة ولزم السكون

واهم القضايا المبحوث فيها في هذه الاجتماعات الخصوصيّة خمس: رئاسة البابا وانبثاق الروح القدس وتقديس الخبز الفطير والمطهر ونفوس القديسين

٢

يجدر بنا هنا ان نذكر طرفًا من اصل الخلاف بين الكنيستين بشأن هذه القضايا الخمس فنقول: لم ينشأ هذا الخلاف الّا في اعصر متفاوتة واقدمها الجدال في رئاسة البابا وتقدمه في السلطان وقد ابتدأت المناقشة في هذه المسألة بعد نقل تخت المملكة الرومانية من رومية الى قسطنطينية وعلنت جهارًا حين تأليف القانون الثامن والعشرين من اعمال المجمع الخلقيدوني سنة ٤٥٧ واليك ترجمته:

« نحكم ان كنيسة قسطنطينية المقدسة الحق في التمتع بالامتيازات التي لكنيسة رومية فان الآباء القديسين قد منحوا استحقاقٍ هذه الامتيازات لمدينة رومية لانها كانت عاصمة المملكة ولذلك السبب نفسه حكم المائة والخمسون اسقفًا بان من الواجب ان رومية الجديدة تمنح الامتيازات نفسها في النظام البيعي وتكون الثانية بعد رومية »

اما البابا القديس لاون الكبير فابى الّا رفض هذا القانون وانكره ليس فقط لانه كان أضيف الى اعمال المجمع عند غياب نواب البابا والملك مركيانس نفسه بل خصوصًا لان البابا كان يقول ان سلطة البابوات ليست منوطة بعظمة مدينة رومية لكن بيسوع المسيح الذي اعطاها لبطرس وسائر خلفائه

لكن لم يحدث وقتئذٍ من جراء ذلك ادنى انشقاق لان البطريرك القسطنطيني

وهما القضيتان الحيويتان اي المصير وسعادة المسيحيين فلا يمكن ان يعرف بالتدقيق زمن نشأتهما لان اول بحث فيهما كان في المجمع الفلورنتي

وهذه المسألة الحرص لم يقع عليها خلاف في مجمع ليون المسكوني حيث عقدت عرى الاتفاق دون البحث عن شيء من قواعد الايمان بل اجتمع الآباء الشرقيون والغربيون ليعترفوا بسلطة الحبر الروماني رئيس الكنيسة ورسموا قانون الايمان باليونانية واللاتينية بدون ادنى خصام او مجادلة ولذا ارتأى كثير من العلماء والمدققين ان قضية الايمان لم تكن في شقاق الكنيستين الا سبباً ثانوياً وبخوي عذراً كان يستند اليه الرؤساء ومحبو الالقاب وقد قال احد المؤرخين ان الكلام ليس على امور دينية بل على مسألة تقدم البابا»

ولكن سنرى كيف هذه القضايا قد بُحث عنها البحث المدقق في مجمع فلورنتيني وكانت المناقشة شديدة من الطرفين حتى تتوطد دعائم السلام وتتمكن اركان الاتفاق والوئام

٣

وعقدت الجلسة الثانية في الكنيسة الكبرى بل في مصلى البلاط البابوي لان البابا كان قد تركت صحته وقد رغب رغماً عنه ان يحضر هو بنفسه اما البطريرك يوسف الذي لم يتمكن في الجلسة الاولى من اتيانها فقد حضر هذه المرة مع الامبراطور وجميع النصارى وكان ترتيب الجلوس فيها كما كان في الاولى على انهم وضعوا ايضاً في الوسط مقعدين متحاذيين جلس على كل منهما ستة من فطاحل اللاهوتيين من الروم واللاتين اما اللاهوتيون الروم فكانوا مرقس متروبوليت افسس وايسيدور مطران كييف وكل الروسية وبساريون مطران نيقية ورجل فرد الملي وثلاثة من خدمة كنيسة اجيا صوفيا وجلس بازائهم على مقعد اللاتين الكاردينال دي سنت سابين ومطران رودس من رهبنية القديس دومنيك واسقف فرلي من رهبان القديس فرنسيس وثلاثة آخرون من افاضل الرهبان وكان على جانب المقعدين منصة جلس عليها

تنازل سالفه القديس اغناطيوس كتب للبابا رسالة اخرى تحاكي الاولى براعةً وحذاقة وهاك طرفًا منها :

«ان المحبة التي تشد عقدة الصداقة وتحل خيوط الانشقاق يلزم ان تقلع كل علة انقسام من بين الاب والبنين فكتبت اليكم الآن لأُبرّئ نفسي لا لخالفتكم فقد بعثت اليّ قداستكم بتوبيخات كان لها في قلبي وقع شديد على اني اعتبرها كأنها ناشئة عن محبتكم لي وغيرتكم على نظام الكنيسة ومع ذلك اني أحقّ بالشفقة من التوبيخ فقد انتخبوني رغمًا عني وكنت ابكي وأقيم عليهم الحجة حتى ضاقت بيدي الحيلة»

فيتحصل بديهيًا من هذه العبارات الرقيقة الموجهة الى البابا ان فوتيوس كان اكبر نصير لاتحاد الكنيستين لانه يقرّ صريحًا ان للبابا عليهِ سلطة اذ يسميه اباهُ لكن كتاباتهِ هذه كانت خداعة لانه هو اول من شقّ ثوب الاتحاد وذلك بعد ان اجابهُ البابا بعدم قبول تثبيتهِ بطريركًا في حياة القديس اغناطيوس البطريرك الشرعي وهو الذي وسع خرق هذا الشقاق بتفريقهِ الكنيسة بانها افسدت الايمان باضافتها على قانون الايمان ان الروح القدس منبثق من الابن

ولا بدّ لنا هنا ان نصلح شططًا ركبهُ كثيرون من المؤرخين بنسبتهم شقاق الكنيستين الى فوتيوس والصحيح ان هذا الشقاق لم يكن الَّا شخصيًا وانحسم قبل موت فوتيوس بخمس سنين حين تولى تخت الملك لاون الحكيم الذي خلع فوتيوس من البطريركية وولى مكانه بطريرك استفانس الذي جدد صلات الاتحاد كما كانت اولًا . على اننا لسنا ننكر ان القضية الثانية التي جرت المناقشة عليها في المجمع الفلورنتي اي انبثاق الروح القدس من الابن كان مصدرها فوتيوس

واما القضية الثالثة ، وهي تقديس الخبز الفطير» فلم تبتدئ الا من عهد البطريرك ميخائيل كيرولاريوس الذي اعلن سنة ١٠٥٤ ان التقديس بالخبز الفطير مضاد للايمان

حسب ... قطع جميع المصاعب والعقبات ليشتغلوا في تأليف العقول والقلوب

فإن الذي في هذا العمل بيده القدرة على كل شيء ومن لا نرجو انه [illegible] هذا المشروع الخطير [illegible] هو [illegible] التي [illegible] فلنفرح [illegible] نحن الاخوة [illegible] تجذل [illegible] وتنتهي [illegible]

[illegible] حقيقة [illegible] جليّة ولا [illegible] من الغلاب في هذه [illegible] ذلك [illegible] [illegible] لا [illegible] بيس الوجه

[illegible] من الاهمية [illegible] من [illegible] وجدت [illegible] خطر [illegible] اذا [illegible] قل كل شيء [illegible] عزّ وجلّ [illegible] هذا المشروع [illegible] لا [illegible] شخصية [illegible] فهو يتقبّل [illegible] لا [illegible] يجب ان [illegible] عن [illegible]

[illegible] الذي فيه [illegible] تراتيم [illegible] وحدة [illegible]

[illegible] هذين التطليعين لا يكونا [illegible] ولا [illegible] الآخر [illegible] لاجل [illegible] فلا [illegible] جادة خلاص قويّة

احد حذّاق الروم نيقولا سيكندين ترجمان بين الفريقين فاجاد في الترجمة وقد اذهل ببراعته كل من حضر حتى ان المؤرخين اللاتين انفسهم فتحوا للثناء عليهِ في تواريخهم مجالًا طويلًا واليك ما كتب عنهُ المؤرخ اللاتيني الشهير هوراس يستنياني الذي كان معاصرًا لهُ وقد حضر المجمع قال :

ان نيقولا هذا كان اعجوبة ذلك العصر لانهُ كان منتصبًا بين المتجادلين يتناول الخطاب اليوناني من فم الآباء الروم ويترجمهُ على الفور الى اللاتينية بافصح لسان واحسن تبيان وكذا كان يطوي في اذنهِ خطاب الآباء اللاتين وينشرهُ باليونانية بطلاوة النطق وإحكام العبارة حتى ان آباء الروم واللاتين الذين يعرفون كلتا اللغتين اخذ منهم العجب كل مأخذ من ذكاء المترجم وتوقد عقلهِ واقرّوا بعجزهم عن ايضاح تلك القضايا العشر بافصح منهُ بيانًا على نحو ما نطق بها لافظها

وقد تقدم اليهِ الكردينالان دي سان مرك وسنت سابين مُطرِيين حذاقتهُ فاجابهما بتواضع وتقوى « لا تنبغي نسبة هذه المهارة اليَّ كانها من عندي بل إنْ هي الّا من لدن الروح القدس الذي نبحث عنهُ في هذا المجمع »

٤

فلما استوى كلٌّ من آباء المجمع في مجاسهِ انتصب بيساريون مطران نيقية الذي كان قويا في القول والعمل مكرمًا عند الجميع بقداستهِ وعلمهِ رغمًا عن حداثة سنه وافتتح هذه الجلسة الثانية بخطبة نفيسة باليونانية ترجمها الترجمان نيقولا المذكور الى اللاتينية وهاك ملخصها :

« اذا كان المرء يسرّ بالمشروعات الكبيرة عند كمالها فلا بدع اذا سُرّ عند ابتدائها لان الحكماء يقولون « من ابتدأ حسنًا فقد اتمّ نصف العمل » فعلينا ان نسدي الشكر لله ونفتتح قلوبنا لرجاء النجاح لاننا نرى عمل الاتحاد هذا العظيم قد كان حسن البداءة فها اعضاء الكنيسة المنفصلون عن بعضهم قد اجتمعوا الآن في هذا المكان

وان في هذا المشروع الشريف مساعداً منيفاً الا وهو ابنك الامبراطور الكلي الجلال والمحب للديانة المحب المسيح الذي ازدانت نفسهُ بجميع المناقب الجميلة ولاسيما بتقوى الصداقة والغيرة على محبته فهو الذي لما كان لا يفتأ راغباً في الاتحاد والتوحيد جداً بتعطش وتشوق الى بلوغ هذه الغاية فلما تمنت له الفرصة انتهزها باهتمام وفرح لادراك ذلك وحضر بجيشين مع ادراكه رتبته هذه شديدة فاقتحم اهوال السفر وازدرى الراحة والملذ في بلاطه واستهدف لعواصف البحر واخطاره فاخترق جميع المهالك التي تهددته هو ووطنه ومملكته بجملتها معونة يسوع المسيح في اعادة السلام للكنيسة التي لا يكتفي بان يكون فقط لها ابناً بل يشاء ان يكون ايضاً عنها محامياً كما هو الآن وكما سيكون

« وسيعاونك ايضاً في ذلك العمل الجليل هذا البطريرك قديس الموقر الذي رغماً عن بلوغه اقصى درجات الشيخوخة لم ينفك مزداناً بنفس شابة محلاة بجميع الفضائل وحدها فان جل متمناه ان يرى مشروع الاتحاد تاماً. واني اعلم انه لولا هذا الامل الحميد لكان قد سئم الحياة وطلب من الله ان يحله من قيود العمر الثقيلة

« ونحن كلنا ايضاً معاونون في هذه الحرب الحاضرة لان كلاً منا لا يرغب الا في ادراك هذه غاية الاتحاد فاليها نسدد سهام خواطرنا واليها تتوق قلوبنا المضطرمة فلاجلها وحدها اجتمعنا من الاقطار الشاسعة البعض من الاصقاع اليونانية والبعض من الجهات الشمالية والبعض من سائر البلاد الشرقية بعيدة وامتطينا كاننا اهوال السفر لنلقي العصا في ايطاليا

« فنسألك يا ايها الرب مخلصنا ان لا تأذن بان الشيطان يعدم ثمرة اتعابنا ولا يبلبل راحة اجتماعنا هنا واتحادنا الذي اياه قصدنا وتجشمنا دونه اخطاراً جمة فليبعد عنا العدو ويحارب آخرين غيرنا ولا يمسنا ابداً

« فلنأخذن سحة الروح لنظفر بالعدو ولنتدرع درع العدل ولنلبس خوذة الخلاص

« وانت ايها الروح القدس ينبوع النعم روح الحكمة روح الفهم روح مخافة الله انت الذي لاجلهِ اجتمعنا هنا ابعد عنا كل فكر كبرياء بثّ في قلوبنا مخافة الله وكن معنا نصيرًا في اتمام اي عملٍ يخصك واطلع الجميع على الحقيقة لانك لست فقط روح الحق بل تعلم كل حق كما قال المسيح

« فيا ايها الثالوث الاقدس الذي خلق العالم بنوع عجيب وحفظهُ ودبرهُ وجعل الانسان كملك على جميع الممالك المنظورة ليتبع في سلوكهِ السراط المستقيم الى الملكوت السماوي اذكر ان اعظم النعم التي زينت بها الانسان انما هي الحقيقة فتعطف اذن وهبنا هذا النور لنسير كلنا في سواء السبيل ونصل الى سعادتنا الاخيرة يا من هو مثلث بالاقانيم وواحد بالجوهر اعطنا ان نكون واحدًا في ايمان واحد وان الرأي الذي يفصلنا عن بعضنا ينسخ من بيننا لنصير واحدًا ولو كنا من قبائل متباينة مشربًا ووطنًا

«فانتم يا آباء المجمع ما اكثر ما اشتغلتم وصليتم لتبلغوا الى هذا اليوم السعيد انظروا الآن ان اتعابكم قد ازهرت ازهارًا جميلة تبشركم بعقدها اثمارًا جليلة. وانت ايها الاب المغبوط انك الآن سعيد وستكون اسعد جدًّا حين نصل الى بغيتنا حيث تقودنا العناية الربانية. فان الله تعالى سيثيبك ثوابًا عظيمًا اذا قدرت ان تجعل الوحدة في كنيستهِ المقدسة. انك لقد استفرغت كنانة الجهد وبذلت غاية الاهتمام رغبةً في ان ابناء المسيح يجتمعون من جميع الاطراف ليجثوا مع كل الحاضرين كاخوة احباء بالروح والتقوى حتى تدرك الحقيقة اكليل الانتصار. فلا احد يقوى على انكار ما اقول لاني انطق بالحق وانا والجميع شهودٌ على ما اصطنعته الينا من الفضل العظيم فتمم اذن ما ابتدأت بهِ وداوم على ادارة هذا العمل المهم حتى ان فرحك الحاضر ينمو ويبلغ الغاية. فطوبى ثم طوبى لذاك الذي بدأ العمل وداوم على ادارتهِ وبلغ بهِ الى منتهى غايته انهُ ولا شك حقيق بكل ثناء وشكر عند الله والناس

نيقية القدوس الاحترام في خطبتهِ الافتتاحية البليغة الجليلة لا لانهُ اهمل امراً لم يذكره او قصر في ايراد شيءٍ بل اودُّ لو استطعت ان اثبت الآن قولهُ باستقامة وبلاغة لان الانحاد وهو الامكنة سامية ورأسياً في ما يناط الحبرين حتى لا يتسنى لاي لسان مهما كان فصيحاً ان يوفي كيل الكلام فيه لكن لما كنت قد جئت الى هذا الاجتماع لنتنقيب عن مقصد قدسي ومباحث مما لا تحتمل فصاحة كلام فلا اخوض في ذلك عباب بحث كما ان الفرصة لا تسمح لي بان اتكلم في شيئين معاً

« وانما لا اقدر ان اتأخّر عنهُ ذكر ما اشتهت فهو انك ايها الاب الاقدس بعد ان اتيت الاعمال العظيمة في ايام حبريتك أقدمت على هذا العمل الخطير فقت نفسك والعمل ملا احد من اسلافك يشابهك بهذا نعم منهم قدروا ان يبشروا الدين في بلاد شتى بتعاليمهم ورسائلهم اما انت فقد جمعت هنا بغيرتك وعلى نفقتك بل على سفنك نفسها فصل الامم الشرقية ونخبتها من اليونان والروتان والكرج والفلاخ وغيرهم من الامم القاطنة في جوار البحر الاسود

« فبحكمتك عقدت في ايطاليا هذا المجمع المسكوني الذي شاء الحضور فيهِ عن طيبة قلب عظمة ملك الروم الكلي الجلال وغبطة بطريرك القسطنطينية الجزيل الوقار اللذين لما اضطرم قلبهما بالشوق تداستك ارادا ان يبصرا باعينهما ما حمل الى آذانهما ذائع صيتك وازديان اقنومك باجلّ الشمائل والفضائل

« ولكن بي قلب متلهف قد سعد الملوك وطرهما هذا لقد تجشما اشقّ الاهوال واصعب الاحوال اذ من لا يرى ان هذا الملك الكلي الجلال قد ترك مملكتهُ تحدق بها سيوف اعدائها المرهفة وجاء الى ايطاليا راكباً اخشن المراكب في اوعر المسالك هاجراً ملاذ البلاط القيصري باذلاً في هذا السفر الطويل راحتهُ وحياتهُ في سبيل امرٍ واحد عظيم أَلا وهو عقد عرى الاتحاد

« ومن لا يرى ما تكلّف من العناء هذا البطريرك الجليل فحسبنا شيخوختهُ وما

ولنتقلدنَّ سيف كلمة الله ولنجاهد الجهاد الحسن ولا نذوقنَّ راحةً قبل ان نكون قد ادركنا الغاية التي نحن قاصدون

« فلنطرحنَّ عنا كل عجرفة تتمرَّد على الله ولنستاصلنَّ عروق كل كبرٍ وعتوّ ومجدٍ باطل ولنتَّشح كساء التواضع ومخافة الله ولنحدّد الى الله وحدهُ الابصار

«فلنرضينَّ اذن ان نُغلب حيناً لاجل الحق ذلك اولى من ان نغلب دائماً لاجل الباطل لان المغلوب للحق ليس بخاسر بل اقول ان ذلك الانغلاب انتصار بل هو خير عظيم لان الناس عموماً يؤثرونَ ان ينالوا الخيرات على ان يمنحوها هم انفسهم للغير ومن المقرَّر ان المرء يسرّ بان يخلصهُ الغير من الشرّ اكثر من ان يخلص هو الآخرين

« فكملا ايها الملك الكلي الجلال وانت ايها البطريرك الجزيل القداسة مسيركما في هذا السبيل الحميد لتبلغا بسرعة الى الغاية التي جئنا اليها فقد قيل ان الاعمال القسرية تتقهقر متأخرة يوماً فيوماً اما الاعمال البديهية التي تحركها الطبيعة فهي بالعكس تتقدم ناجحةً دائماً فهكذا نحن بما ان غايتنا قلبية لا نرغب الّا في التقدم الى نوال الاتحاد فلنسرع كلنا الى هذه النقطة وانتما فتمتعا بادراك هذا الارب باسرع ما يمكن بان تحثَّانا على النشاط والاسراع والتقدم

« ليرضَ الله ان يزدلف منا ذلك اليوم السعيد يوم الاتحاد والفرح والحبور ليتني اتمتع بهِ فاستطيع ان اخطب فيكم كما انا الآن خاطب لاشكر المراحم الالهية التي منت علينا بهذه الموهبة السنية وفيهِ اسبح للمسيح الهنا الذي لهُ المجد والاكرام الى دهر الداهرين امين »

٥

فلما فرغ بساريون من الخطاب انبرى مطران رودس اللاتيني واجاب عليهِ بعبارة لاتينية انيقة واليك محصَّل مقالتهِ :

« اني اتأسف ايها الحبر الاعظم على اني لا اتكلم في هذا المحفل بما جاء بهِ مطران

« فلنبتدئ باسم الله: نسأ لكم ايها الآباء المحترمون لمَ اضافت الكنيسة الرومانية شيئاً على قانون الايمان ضداً لمنع الآباء؟ ولا اريد بذلك معنى ما أضيف بل نفس الالفاظ التي زيدت على قانون الايمان المكمّل بساطة الآباء لفظاً ومعنى . هذه اذن غاية بحثنا الآن . ونطلب ان يتبع دائماً منهج واحد في الجدال اي في ابتداء كل جلسة تحصر المسألة التي تدور عليها رحى الجدال . فان سمحت لنا الفرصة الآن فلنفتح باب البحث ولا نرجئه الى الجلسة الآتية »

فقال اسقف رودس : ونحن كذلك نرجو ان اية خشونة وقعت في الالفاظ تعزى الى وعرة مسلك الجدال لا الى سوء النية على اننا نسأل ايضاً ان تكون الاجوبة جلية عارية عن كل التشويش والتباس واخال ان من الموافق ان تعطى الاجوبة خطاً

فقال مرقص : اذا استصوبتم بعض الكلام الآن فاسمعوا اشياء اكيدة بشأن قضية الجاري عليها البحث : ان سيدنا ومخلصنا يسوع المسيح قبل ان يحتمل الآلام اوصى تلاميذه هذه الوصية : سلامي اعطيكم سلامي استودعكم . وطلب منهم شيئاً واحداً ان يحرصوا على محبة بعضهم بعضاً فمن ثم يبين ان مخلصنا اوضح لنا بذلك ان السلام ليس الا وصية شرطية لا يعطى الا للذين يحرصون على المحبة فمن خالف الوحدة خالف الاخرى لا محالة اي من نقض المحبة فقد السلام . هذا واننا نعجب كيف الكنيسة الرومانية نقضت المحبة باضافتها شيئاً الى قانون الايمان العام دون علم الشرقيين ذلك ما لم يستطعه الآباء ولا المعلمون القديسون ولا المجامع المسكونية . فمن هنا نتج ضرورة نقض السلام وذلك الشقاق المشؤوم الذي جلب اضراراً عظيمة على كنائس الله . اما الآن فلما طلبت الكنيسة الرومانية نفسها المحبة ارادت ان نبحث عن الاسباب التي بقطعها يعطى الدواء الدواء . فقد دعتنا نحن آباء الكنيسة الشرقية لنبحث عن علل الشقاق فهرعنا بطيبة قلب حتى اذا صادفنا المحبة حظينا بالسلام بيننا . فنسأل اولاً ان نتفق بالرأي بحفظ صورة الايمان الاكيدة الشائعة المثبتة من

في جسمهِ من الامراض دليلًا على حرارة شوقهِ للاتحاد فلم يدَّخر تعباً ولا مشقة ولا كبر سنٍّ رغبةً في ادراك هذه الغاية الحميدة

«ومن لا يرى هذا الحشد العظيم آباء هذا المجمع الملتئم من الاقطار الشرقية من الرتبتين الكهنوتية والعالمية قد اعرضوا عن مهامهم واعمالهم وتركوا كل ملاذهم واصدقائهم مقتحمين اخطار البحر والبر ليصلوا الى هذه الارض ملبين لدعوتك ايها الاب الاقدس واثقين بان ما ابديت من دلائل الغيرة والسخاء في النفقات لشاهدٌ كبير على انك راغب في خير الأُمَّتين وايصالهما الى نقطة الاتحاد المحبوبة

«ان قرننا هذا يشهد اليوم امرًا غريباً عجيباً يرى الذين كانوا مفترقين بالقلب والروح مجتمعين الآن ليوطّدوا دعائم الالفة والاتحاد. فكيف يشاهد العالم انك انت اول مسبب بعد الله لهذا الاتحاد ولا يرى انك انت الراعي الصالح وانت خليفة بطرس الحقيقي

« فكمّل اذن ايها الاب الاقدس عملك هذا تجمع قطيع المسيح الى حظيرة واحدة حتى تستطيع في يوم الرب العظيم ان تقدم للمسيح تلك النفوس التي قُدتّها في طريق الخلاص واوصلتها الى الابدية متمماً بذلك واجبات كونك نائب المسيح

« فهذا ايها الاب الاقدس ما استطعت ان اقول بديهاً والآن بعد اقتباس بركتك اتجه نحو هذا الاب الجزيل الاحترام مطران افسس لاسأله ماذا يفهم بكلمة « اضافة » الى قانون الايمان ؟ »

٦

فنهض مرقص اسقف افسس قال : لما كانت غايتنا الاولى هي اتحاد الكنيستين وكان اول محرّك لها المحبة وجب ان نسير دائمًا على سنن المحبة حتى اذا اتفق سماع كلمة ما فظة في سياق الكلام فلا ينبغي ان تعزى الى خباثة قائلها بل الى خشونة وتنوع الخطاب

مرقس : هب الكنيسة الرومانية حافظت على وثاق المحبة فذلك لا يحسم المسألة المشكلة و رى ن قراءة القوانين لامر ضروري ومهم

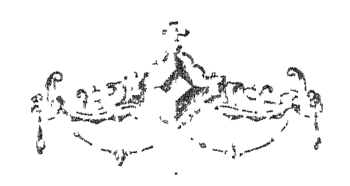
مطران رودس : سنأتي على بيان هذا الامر الذي يفسره قانون الايمان ونوضح انه حق وحينئذ لا يجب ان نكون مفترقين بينا بشيء

مرقس : ان بيان هذه الحقيقة لا يجدي نفعاً لحسم ما بيننا من النزاع لاننا لا نستطيع ان نقبل هذه الزيادة ولو حقيقية لما في ذلك من مخالفة اوامر ورسوم الآباء

مطران رودس : ان كانت هذه الزيادة حقيقية فلمَ لا تقبلونها

مرقس : لان ذلك ممنوع من الآباء

مطران رودس : اقول اولاً انه قد سمح باضافة هذا التفسير الى قانون الايمان لانه لا يزيد شيئاً ... : واذا دعي هذا التفسير زيادة فهي قد وُضعت شرعية



الجميع ولتقرأ تحديدات المجامع القديمة لنضارع الآباء القدماء كما جرى في المجمع السابع الذي لم يثبت مسكونيًّا الّا بعد قراءة القوانين السابقة . فهكذا باقتفائنا آثار آبائنا القديسين نستطيع بشفاعتهم ان نبلغ الى غايتنا المرغوبة . وبعد قراءة هذه القوانين ننتقل الى شيء آخر

فاجاب مطران رودس : لا يسمح لنا الوقت الآن للبحث في القضايا الخمس التي عرضها علينا آباء الروم لكنني اقول شيئًا جوابًا على ما نطق بهِ مطران افسس فألاحظ اوّلًا ان نصّ الانجيل عن المحبة التي عاقبتها السلام انما يفهم بهِ اللاهوتيون عادةً المحبة لله لكن ان أُطلق مجازيًّا على محبة القريب فلا افهم كيف يقال ان الكنيسة الرومانية نقضت ذمام المحبة مع انها بالعكس قد استفرغت دائمًا غاية الجهد في اغاثة الشرق ايام كانت الهرطقات العديدة تتلاعب بكنائسهِ اي تلاعب . ولنا على ذلك اقوى دليل بالبابا سلفسترس في عهد الآريوسيين وسلستينوس في زمان نسطور بإرسالها قصادهما ليرئسوا المجمعَين المسكونيَّين . ولم تجرِ الكنيسة الرومانية على هذه الجادَّة قبل وقوع الاختلاف في قانون الايمان فقط بل بعد ذلك ايضًا لم تفتأ ترسل السفراء والنواب لحفظ الاتحاد والسلام . ولا نطيل الكلام في ما عملهُ البابا غريغوريوس حين عقد مجمع ليون سواء كان ببذل النفقات الجمّة او الاتعاب الشاقّة بل نرجوكم ان تلاحظوا الآن ما عملهُ هذا البابا العظيم الذي يسوس اليوم الكنيسة وقد اعدّ بعد عنيف الجهد والعناء هذا المجمع الذي نحن فيهِ ملتئمون فمن ثم يظهر لكل ذي عينين ان الكنيسة الرومانية لم تنقطع قط عن حفظ الوداد والاتحاد لا كما قلتم انها الآن ارادت ان تعقد عرى المحبة والوفاق . وقد طلبتم ان تقرأ قوانين المجامع السابقة فلا اظن ان لذلك الآن داعيًا لان غاية بحثنا لا تتناول الصور الخارجية بل الايمان بالثالوث الاقدس الذي يجب ان يثبت استنادًا الى نصوص الكتاب المقدس ومع ذلك اذ اراد البابا تلاوة هذه القوانين كرغبتكم فلا بأس

ويتضمن هذه الالفاظ « بعد استمداد بركة قداستكم ورضى خاطر الملك والبطريرك نشرح الآن بايجاز تلك المسألة التي عرضها البابا الروماني امس . . . » فعارضه مطران افسس قاطعاً كلامه بقوله « انا لم نأتِ امس الا على عرض المسألة ابتدائياً فلا يوافق شرحها الآن قبل ان نشرح ما نريد من القضايا »

فقال اسقف رودس انكم سألتم امس لماذا اضيفت زيادة على قانون الايمان فاسمعوا الآن السبب . فاجاب مطران افسس : لم استطع امس لضيق الوقت ان اقول كل ما اريد . فقال اسقف رودس انكم سألتم سؤالاً ، وصددتم عنه الجواب فاسمعوه . ثم قال الكردينال سنت سابين لقد افترقنا امس متفقين جميعنا ان يجيب مطران رودس على المسألة فاسمعوه وسيكون لكم يوم كامل تعرضون فيه ما تريدون . فلا يوافق الآن ان نقاوم قوانين المجمع لاننا نسلم مؤمنين بقانون ايمان الرسل والمجمع النيقوي وتحديدات سائر المجامع

فقال مطران رودس كان البحث امس عن ثلاثة امور فقط وها انذا ابين اليوم ان الكنيسة الرومانية لم تتخطَّ قط سبيل الانشقاق

الا ان مطران افسس تصدى له ثانية وقال : قد أُعطينا ان نختار ما نشاء من بعض المسائل الخلافية او تفنيدها اما نحن فآثرنا بسطها اولاً لانكم كيف تقدرون ان تجاوبوا على اعتراضاتنا قبل ان تسمعوا ما ندعمها به من البراهين

مطران رودس : لم تسألوني جواباً على الاعتراض الذي قدمتموه فكفى بذلك بياناً لفروغ من اعتراضكم

مطران افسس : عفواً من ابوتكم ان ذلك عبث

مطران رودس : افتريدون الآن ان تسمعوا اجوبة

فاجابه مطران نيقية : لا لم تسمع براهيننا اولاً افيؤذن لنا ان نقدم حججنا ام لا او تريدون ان تحكموا علينا ونحن صامتون

الفصل الخامس

الجلسة الثالثة الى الرابعة عشرة وانتقال المجمع من فراره الى فلورنسة

١ مدار الجلسة الثالثة على التداول في منهاج الجدال — ٢ — قراءة قانون الايمان — ٣ — تجادل ساريون مع مطران رودس في الجلسات الخامسة والسادسة والسابعة والثامنة ومع مطران فرلي في التاسعة والعاشرة وانقضاء الجلسات الحادية عشرة والثانية عشرة والثالثة عشرة والرابعة عشرة بلا جدوى — ٤ — اهانة سفراء دوق بركونيا للقيصر وتقديمهم الترضية — ٥ — امر البابا بانتقال المجمع الى فلورنسة بسبب الطاعون وسفر الآباء جميعاً اليها

١

يتحصل من الجلسة الماضية ان مطران افسس ورودس كانا على خلاف مزدوج لا في المسائل المبحوث عنها فقط بل ايضاً في المنهج الواجب اتباعهُ في المجمع فان مرقص كان يطلب ان لا يبحث عن حقيقة العقيدة الدينية بل عن ظاهر صورتها وما زيد فيها . اما مطران رودس فكان يرتئي بوجوب البحث اولاً في حقيقة العقيدة التي عليها الخلاف ثم يتطرّق منها بعد اثباتها الى مباحث اخرى اذ قال ان ذا المنهج لأقرب الى ادراك الغاية فاذا ثبت الحق للاتين بزيادة الابن على قانون الايمان فلا اشكال بقبولها من الطرفين وكذا ان ثبت الحق للروم بوجوب حذفها فلا يبطؤ اللاتين ان يتفقوا مجمعين على حذفها وحينئذٍ تتوثّق عرى الاتحاد

وكان مطران رودس بذلك مصيباً لانهم طالما كانوا يبتعدون عن منهجه هذا كان يبتعد عنهم الاتحاد وقد عُقدت اربع عشرة جلسة كانت كلها عقيمة لم يتقدّم فيها احد خطوةً واحدة نحو نقطة الاتفاق المرغوبة على انا سنرى ان الحبر الاعظم امر بان يتبع المنهج الذي يريدهُ آباء الروم خلافاً لما كان الآباء الغربيون يطلبون وعليه لما عُقدت الجلسة الثالثة انبرى مطران رودس يلقي خطبتهُ التي وعد بها في الماضية

بلاتين على منهج جديد . فانقضت الجلسة على هذا المنوال

وقد سهبت الكلام في اعمال هذه الجلسة ولو لم يكن فيها ما يجدر بالاسهاب ليبين كيف ظل الجدال على غير جدوى لان مرقص مرضاة الشرقيين من بأن يتبع المنهج الذي يرومه مرقص الافسسي ... وكل الجلسات التي جرى فيها على هذا المنهج ... وليست من الاهمية بشيء لان المتجادلين فيها لم يتعدوا البحث في المبادئ ... ولئن لم يكن ... في سائر الجلسات التي تليها فلذا عزمت على اختصارها ما استطعت

٢

انعقدت الجلسة ... وقضيت كلها كما شاء مرقص الافسسي في قراءة اولاً قانون ايمان المجمع النيقوي باليونانية مع تلك الزيادات الكثيرة التي اضافها اليه المجمع القسطنطيني الاول وبعد قراءته تلا مرقص قول المجمع الافسسي المسكوني الثالث الذي يحرم فيه ... كانت على هذا القانون ثم بيّن ان منع المجمع هذا كان عادلاً ولو كان المجمع المسكوني الثاني قد زاد الفاظاً كثيرة على قانون النيقوي

وهذا قانون الايمان النيقوي برمته مع الالفاظ التي زادها المجمع الثاني وقد ميزناها بوضعها بين علامتين « » : نؤمن باله واحد اب ضابط الكل خالق « السماء والارض ، كل ما يرى وما لا يرى . وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب « قبل كل الدهور » اله من اله نور من نور اله حق من اله حق مولود غير مخلوق مساوٍ للآب في الجوهر الذي به كان كل شيء الذي من اجلنا نحن البشر ومن اجل خلاصنا نزل « من السماء » وتجسد « من الروح القدس ومن مريم العذراء » وتأنس « وصلب عنا على عهد بيلاطس البنطي » تألم وقبر وقام في اليوم الثالث « كما في الكتب » وصعد الى السماء وجلس عن يمين الله الآب وايضاً يأتي « بمجد عظيم » ليدين الاحياء والاموات « الذي لا فناء لملكه » وبالروح القدس « الرب المحيي المنبثق من

مطران رودس : اسمعوا اولاً جواب السؤال الذي بسطتموهُ ولكم فيما بعد ان تتكلموا ما تشاؤون

مطران نيقية : هب اننا طلبنا اولاً على اعتراضنا الجواب فليس في ذلك علة لحرماننا من حق بسط اعتراضنا وتأييدهِ

فقام الاب يوحنا من مونتنه نيكرو احد رؤساء الدومنيكيين وقال : لقد سبق لكم الكلام طويلًا ايها الآباء الاجلاء عن المحبة . فالقديس اوغسطينوس يقول في كتابهِ العاشر من مدينة الله ان المحبة تقوم في ان كلًّا يحفظ الترتيب المتوجب عليهِ فان لم يحفظ هذا الترتيب فلا تحفظ المحبة فالجدال ضربان اما بالاحتجاج ويلزم المحتج ان يؤيد مقالتهُ بالبراهين واماَّ بالسؤال فعلى السائل والحالة هذه الّا يأتي ببراهين أو بحجج اما انتم فقد عمدتم الى الجري على المنوال الاخير فيجب حفظهُ بترتيب والّا لم يبقَ للمحبة اثر

مطران نيقية : اني امدح حفظ المحبة على اننا نختار الضرب الاول اي الاحتجاج فاذَن ليسمَع لنا

ولما طالت المناقشة ذهب كردينال سنت سابين الى الحبر الاعظم وسألهُ كيف يحسم هذا النزاع . ثم عاد الى مكانهِ والتفت الى القيصر والبطريرك قال : ان سيدنا البابا امرني بان اقول لنسلك الكلي الجلال والبطريرك الجزيل الاحترام : قد كان في استحسان الاب الاقدس ان يسمع لمطران رودس لانه طُلب منهُ الجواب ونخشى اذا تسوهل الآن في مثل هذه التغييرات من تكرارها مرارًا . وبما انا نرتئي بوجوب الاصغاء لمطران رودس وانتم تقولون الخلاف وقد طال المدى فمن الموافق ان ينتخب ستة من كل من الطرفين ويقرروا منهاج الجدال لئلاَّ يطرأ مثل هذا الخلاف في الجلسات التابعة

فقال القيصر : هيَّ بنا الآن فقد مضى الوقت ولينتخب ستة من كل فريق

كتابة فاذن البابا فقرئ القانون ثم قام الملك وقال سنجتمع غداً في الساعة العادية وكذا انتقضت الجلسة الرابعة

٣

وانعقدت الجلسة الخامسة في ٢٠ تشرين الاول وقد جرى فيها وفي السادسة المعقودة في ٢٥ منه على سنن منهج الثانية وقد تولى فيها بساريون الخطبة عن الروم وكلامه ناطق بدقة بيان وبراهين قوي وحجج عدد ما جاء به مرقس وكانت مناقشته مع مطران رودس وقد استغرقت كل هاتين الجلستين مع الاربع التالية

وكنا نود لولا ضيق المقام ان ننشر الخطبتين النفيستين اللتين تلاهما بساريون في جلستين السابعة والثامنة رداً على الخطبتين البليغتين اللتين القاهما مطران رودس في الجلستين الخامسة والسادسة . ثم خُتمت الجلسة الثامنة بمحاورة دارت بين الخطيبين آلت الى نقطة واحدة فيها اتفقا على وجوب الجدال في نفس القضية الواقع عليها الخلاف لا على عرضيها والّا فلا سبيل الى الاتحاد

على ان بساريون قد شغل ايضاً منصة الجدال في الجلستين التاسعة والعاشرة مع مطران فورلي وفي كل هذا لم يتداخل مرقس الافسسي لكنه اخذ في الجلسة الثانية وما يليها يجادل عن حرفية القضية المبحوث فيها بدون مسّ جوهرها وكذا انقضت الجلسات الثانية عشرة والثالثة عشرة والرابعة عشرة دون اقل فائدة للاتحاد بل ذهب فيها الزمان سدًى تضييعه بمناقشة عن عرض المسألة دون جوهرها

الا ان الآباء اخيراً قد قرّ رأيهم جميعاً على ترك هذا المنهاج الذي لا طائل تحته مستصوبين المشورة التي قدمها للمجمع الكردينال يوليانس بقوله : « لا يكن الاتحاد من غير بحث في جوهر المسألة فاذا تبين الحق مع الروم وجب على اللاتين ان يمحوا على الاثر من قانون الايمان لفظة « والابن » واذا ثبت الحق للاتين وجب بقاؤها فلا مانع من اثباتها لانها تضحي امراً حقيقيًا »

الآب الذي هو مع الآب والابن يسجد لهُ ويمجد الناطق بالانبياء » وبكنيسة واحدة جامعة مقدسة رسولية . نعترف بعمودية واحدة لمغفرة الخطايا . وننترجى قيامة الموتى والحياة في الدهر الآتي آمين

ثم اجتهد مرقص في ان يبين السبب الذي حمل المجمع الثالث على منع اضافة اية زيادة على قانون الايمان النيقوي دون انكاره على المجمع القسطنطيني اضافة بعض شروح بشأن الروح القدس والتجسد الالهي لان هذه الالفاظ كانت مقدرة في القانون النيقوي

ثم قُرئت الرسالة التي كتبها البابا شلستينس تثبيتاً للمجمع الثالث مجدداً فيها المنع الذي وضعهُ آباء ذلك المجمع بشأن عدم زيادة شيء على القانون النيقوي

وقُرئَ ايضاً بطلب مرقص بعض تحديدات من المجمع الرابع (الخلقيدوني) ومن المجمع السابع (النيقوي الثاني) ولما تليت قوانين المجمع السابع قرأ الكردينال نسخة لاتينية كلية القدامة عن اعمال هذا المجمع مذكوراً فيها انبثاق الروح القدس من الآب والابن في قانون الايمان وعقب ذلك بقولهِ « استناداً الى شهادة كثيرين من المؤرخين المشهورين اخصهم مرتينس البولوني عند كتابتهِ تاريخ البابا ادريانس يثبت ان هذا المجمع شرح قانون الايمان وزاد عليهِ لفظة «والابن» وقد تابع هذا الرأي بعض المؤرخين الروم منهم عمانوئيل كالكس »

فلم يلتفت مرقص الافسسي الى المسألة الاخيرة بل الحَّ في اثبات ما قالهُ الآباء في تحريم كل زيادة على قانون الايمان

ورأى الكردينال ان الملك يريد فضَّ هذه الجلسة لتأخر الوقت فقال للبابا « ايها الاب الاقدس ان الملك يرغب في حلّ الجلسة لمضي الزمان لكن بما ان اعمال المجمع السابع قد قُرئت بدون زيادة « والابن » ولدينا بعض نسخ تثبت زيادة هذه اللفظة فالتمس ان تأذن في قراءة قانون الايمان الذي تلاهُ المجمع السابع كما هو مدوَّن في

و بطاريرك وسائر آباء الروم خرج من فراره في ١٦ كانون الثاني باحتفال فائق كما يكون في ... تقريب الطاهر ... عيد الجسد الالهي وذلك لان من عادة ... من ... حملوا معهم القربان المقدس محفوظاً بما يليق به من ... على رأسه ... قلائد الفضة والذهب ... فيه القربان الطاهر ومن حوله ... رجلاً يمشون موقدين شموع ... وكان ... عشرة فرس شهب مسرجة بعدد ثمينة جميلة ... الكرادلة وسائر الاحبار ممتطين متون الخيل وكان ... كين ... ممسكين ... حتى ظاهر المدينة . وكان هذا الموكب المقدس حافل محفوفاً بعصيانين من العساكر البابوية . وقد عرج البابا في مسيره هذا على مدن كثيرة ولم يصل الى فلورنسه الا في ١٣ شباط

اما ملك الروم والبطريرك القسطنطيني فذهبا بعد وصول البابا ودخل البطريرك المدينة قبل الملك فلقي من الاحتفال والتكرمة ما لاقى في فراره وقد استقبله على باب المدينة اثنان من الكرادلة وعدد كبير من احبار البلاط الباباوي ولما بلغ الى قصر اعيان فلورنسه الذين يسمونهم بالسادة وكانوا جالسين في منصاتهم انتصبوا على اقدامهم وقوفاً اجلالاً للبطريرك وحيوه تحيات مشرية تجيلاً وتشريفاً وقدموا ... تهنئة بوصوله باللغة اليونانية ... كبار الاعيان وعظماء الخطباء والمؤلفين وهكذا أدخل البطريرك الى ... ولم يكن الشعب ... في هذا الاحتفال لان ذلك اليوم لم يكن عيداً

اما الملك يوحنا فبلغ المدينة في ... فازدحمت الجموع الكثيرة في الاسواق والطرق وعلى السطوح ليشهدوا ما ... الملك من الاستقبال النادر المثال وزينت اكبر الشوارع التي يمر بها الموكب الملكي بفاخر الزينات ... ولكن اتفق ان

٤

ولما اوشك الفريقان ان يسلكا في الجدال منهجًا واحدًا ينتهي بهما الى النقطة المأثورة حالت دونهم عدة موانع اجّلت عقد جلسات المجمع اخصها الطاعون الذي فشا في فراره فانخلعت لهُ القلوب وخيف ان يتبدَّد شمل الآباء هربًا من المدينـة فتفوت الفائدة. ومن تلك الموانع ايضًا حادث كان ظاهرهُ طفيفًا الّا انه كان يخشى منهُ حلّ عرى المجمع وذلك ان سفراء فيليب لوبون دوق بركونيا الموفدين الى المجمع دخلوا في الجلسة المنعقدة في ٢٧ تشرين الثاني واستووا في منصاتهم المعدَّة لهم بعد ان حيّوا الحبر الاعظم ولم يلتفتوا الى الملك يوحنا ولم يبدوا لهُ ادنى اشارة احترام

فتميّز الملك يوحنا غيظًا من هذه الاهانة الجهاريَّة وتهدّد بحـلّ المجمع ما لم يقدّم لهُ السفراء ترضية كافية كفَّارة عن تصرّفهم الغير اللائق فامتنع السفراء اوّلًا لكن البابا تلافى الامر وتوسَّل اليهم بدموع غزيرة فقبلوا بتقدمة الترضية. فتقدموا الى الملك في الجلسة التالية وكلّموهُ بالترجمان بصوت منخفض الّا ان هذه الترضية الباردة كانت بنوعٍ ما شرًّا من الاهانة

٥

اما الطاعون فسرى في كل المدينة وفتك بها فتكًا ذريعًا وكاد الجمع ينحـلّ لتشتت شمل آبائه فاصدر البابا براءة بنقل المجمع الى مدينة فلورنسة قال فيها: بما ان الطاعون فشا في فراره قبل الشتاء ولم يقف سريانه في ايام البـرد بل اشتدّ وزد ويخشى ان يتفاقم شرّهُ في الصيف ولاسباب اخرى غيرها قد حتمنا بعـد الاتفاق مع والدنا العزيز يوحنا باليولوغ واخينـا المحترم يوسف البطريرك القسطنطيني ورضى المجمع كله وامرنا بنقل المجمع من فراره الى فلورنسة القريبة السليمة الجيدة الهواء

فتابعةً هذه البراءة الصادرة في ٩ ك ٢ عام ١٤٣٨ اخذ الاساقفة ينتقلون الى فلورنسة شيئًا فشيئًا وبعد ان امر البابا باتخاذ كل وسائل التجلة والاكرام في نقل الملك

الفصل السادس

استئناف جلسات المجمع في فلورنسة حتى موت البطريرك القسطنطيني

١ ـ الجلسة الخامسة عشرة وهي الاولى في فلورنسة ـ ٢ ـ الجلسة السادسة عشرة ـ ٣ ـ الجلسات السابعة عشرة والثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرون والحادية والعشرون وتعيير مرقص الافسسي منهج اعمال المجمع ـ ٤ ـ مؤتمر الشرقيين عند البطريرك وخطاب الملك فيه ـ ٥ ـ الجلسة الثانية والعشرون والثالثة والعشرون ـ ٦ ـ اجتماع الشرقيين عند البطريرك ثم عند الملك وتحديدهم وجوب الاتحاد ـ ٧ ـ تقدم الشرقيين الى الاتحاد وحوادثهم فيه ـ ٨ ـ استئناف اجتماع الروم عند البطريرك وخطاب بسارون وجرجس سكولاريوس ـ ٩ ـ اجتماع عشرة من علماء كل كنيسة للتوفيق بين القولين المختلفين ـ ١٠ ـ دعوة البابا جميع كبار الروم للروح القدس ـ ١١ ـ اجتماع الروم عند البطريرك وخطاب الملك وبسارون وايسيدوروس ـ ١٢ ـ تأويل جلسات الشرقيين الخصوصية واخذ كل رأيه وموافقتهم على الاتحاد عدا مرقص ـ ١٣ ـ مصادقة الآباء على هذا الاتفاق بشأن انبثاق الروح القدس ـ ١٤ ـ فصل مرقص والمشاكل ـ ١٥ ـ موت البطريرك يوسف البطريرك القسطنطيني ووصيته

١

عُقدت جلسة ثانية في آذار ولم يحضرها الملك ولا البطريرك وكان مدار البحث فيها بين رئيس الدومنيكان ومرقص مطران افسس على انبثاق الروح القدس فافتتح الجدال بخطاب فهيدي اللطيف نقده الدومنيكي. ثم سأل الآباء الروم ماذا يفهمون بلفظة الانبثاق وهل هي عندهم بمعنى واحد في الآيتين الانجيليتين المذكور فيهما انبثاق المسيح من الآب وانبثاق الروح القدس من الآب

فتداول الآباء الروم المسألة هنيهة ثم قام مرقص الافسسي واجاب: لا يمكن تحديد الاختلاف بينهما لان انبثاق الروح القدس لا يسري على فهم البشري من انبثاق الابن فليس الاول مثال حسي اما الثاني فمفهوم كما يمثله في الطبيعة من الابوة والبنوة. فسأله الدومنيكي هل يفهم بلفظة الانبثاق هنا ان الاقنوم الالهي المنبثق من الاقنوم

الملك لما دخل باب المدينة دمعت اعين السحب وسحبت ميازيب السماء سيولاً فتفرّق الجموع ايادي سبا وهرع الملك الى القصر من اقرب الطرق . وكان نبلاء فلورنسة وسادتها قد جاؤوا لاستقبالهِ الى باب المدينة فحيّوهُ بالاجلال وقرؤوا لهُ تقاريظ يونانية نفيسة تهنئة بقدومهِ وذلك بلسان ليونار اروتين المذكور آنفًا. ومن غريب الاتفاق ان الملك لما دخل القصر انقطع المطر وتبددت الغيوم وصحا الجو صحوًا كاملًا

وكان جلّ اهتمام الملك حينئذٍ التداول مع الحبر الاعظم بشأن استئناف جلسات المجمع فقرَّرا ان اربعين من آباء الروم واربعين من آباء اللاتين يجتمعون في قاعة الحبر الاعظم ويتداولون في ترتيب البحث في الجلسات الآتية ويتفقون على السير في منهج واحد

فلما اجتمع الثمانون بحضرة الحبر الاعظم والملك ابدى كردينال سنت سابين خطيبًا واسهب . ومما قال: لما كانت المناقشة على صورة قانون الايمان قد طالت كان لا بدّ من الشروع الآن بالبحث عن جوهر الاعتقاد بشأن الروح القدس. فاجاب الملك بل الاولى ان نختار الطريق الوسطى اي ان يبحث عن المسألة الثانية ولا تترك الاولى. فاستصوب الكردينال اشارة الملك وقال لا بأس من بسط الكلام عن المسألة في خلال الجدال فيجاب عنها في الحال . ثم قرّ الرأي ان تعقد الجلسة الاولى في فلورنسة في ثاني شهر آذار

دومنيكي — اني قد ذكرتها بحروفها

مرقس — تكرم بقراءتها لاننا نشك في صدق نسختكم

دومنيكي — قد ذهب من اثينا بنسخة ولكن اذا فرضنا انها صحيحة فهات [illegible]

فجرت محاورات بين مرقس ودومنيكي قبل وبعد وصول النسخة اليونانية التي قرئت باليونانية ثم باللاتينية وانفضت الجلسة على غير طائل

٣

ثم انعقدت الجلسة السادسة عشرة في خامس اذار واستؤنفت المناقشة بين مرقس ودومنيكي على قدم وساق وكان مدارها اولا على نصوص منسوبة للقديس باسيليوس الكبير وقد اشتد في هذه الجلسة وما يليها الخصام وكان من الاهمية بمكان سواء كان من حيث المسألة التي بحثت فيها او من حيث تناقض النصوص واختلاف النسخ اليونانية فيما بينها او بينها وبين الترجمات اللاتينية القديمة

وقد ضاع في هذه المناقشات زمان طويل سدى في فحص النسخ ومقابلتها حتى ان البحث نفسه تحول في التنقيب والتدقيق بحثاً في نسختين يونانيتين من كتاب واحد للقديس باسيليوس احداهما كانت بيد مطران ميتلين الرومي وكانت مطابقة للنسخ التي عند اللاتين والاخرى بيد مرقس وكانت مخالفة لها وبما انه لم يوجد في فلورنسة الا هاتان النسختان التزم الفريقان ان يعرضا عن شهادة القديس باسيليوس هذه الى البحث في غيرها لان هذه الشهادة لم تكن تثبت بجملتها مستقيم انبثاق الروح القدس من الابن بل الوهيته · وكان الفرق بين الطرفين ان نسخة مرقس كان يفهم منها ان الروح القدس ادنى من الابن اما نسخة مطران ميتلين وسائر النسخ اللاتينية فيقرأ فيها ان الروح القدس يأتي بعد الابن ولكن ليس في ذلك ما يمس جوهر الاقنومين الاخرين الآب والابن

الآخر يقبل منهُ كل جوهرهِ . فاجاب مرقص انه يفهم بانبثاق الروح القدس من الآب انه ينال منهُ كل جوهره

فقال الدومنيكي حسناً قات ومن ثم ابرهن : كل اقنوم يقبل من الآخر كل جوهرهِ يكون منبثقاً منهُ والحال ان الروح القدس يقبل من الابن جوهرهُ فهو اذن منبثقٌ من الابن

مرقص — انّا نسلم بالمقدمة الاولى لكنّا ننكر الثانية فأْتِنا بالبينات المثبتة ان الروح القدس يقبل جوهرهُ من الابن

الدومنيكي — لقد احسنت جواباً وهاءنذا آتيك بكثير من الحجج من اقوال قديسي الروم تأييداً لهذه المسألة . أُثبت ذلك من القديس ابيفانيوس الذي يقول في كتابهِ « الانجر » في الفصل ٧١ : « ان الآب يدعو من هو منهُ ابناً ومن هو من كليهما روح قدس » . ومن ثم ابرهن : اذا كان الروح القدس هو من الاثنين فلا شكّ انهُ يقبل جوهر الاثنين

ويقول القديس نفسهُ في كتابهِ عينهِ الفصل ٧٣ : « كما انهُ لا احد يعرف الاب الّا الابن ولا الابن الّا الآب كذلك لا احد يعرف الروح القدس الّا الآب والابن الذي منهما يأخذ وينبثق ولا احد يعرف الآب والابن الّا الروح القدس . الذي هو من الاب والابن » . فهاتان الشهادتان من القديس ابيفانيوس تُثبتان ان الروح القدس ينبثق من الآب والابن ويأخذ جوهره من كليهما

فضاق مرقص حينئذٍ ذرعاً فانكر المقدمة الكبرى التي كان قد سلم بها اولاً قال : لا يجدي كلامك هذا شيئاً لانهُ يمكن ان يكون الواحد من الآخر بانواع كثيرة فلا يترتب على ذلك من ثم انهُ يكون منهُ بطريقة الانبثاق . ومع ذلك تحقيقاً لصدق الشهادة التي اوردتها من القديس ابيفانيوس لا بدّ من قراءتها في كتابهِ المذكور

وعن الآب «رسلنا يكم من عند الآب» وقال عن الآب وحده «الذي من الآب ينبثق».

ثم استمر مرقص في شرح كلامه هذا طويلاً فقام الدومنيكي وأخذ يرد على مرقص على غيره مما ... ... فأثبت شهادات القديس باسيليوس و ... ... الاخير ... ... شرح ... ... هذا النص الانجيلي قوله ... ... من الآب في الفصل السادس عشر من يوحنا اذ قال: «كل ما للآب هو لي وهذا ... ...» ثم ... توافق متابعة المنهج الاول حتى آخره من دون الانتقال الى غيره. وفي غضون هذه الجلسة ... بعض آباء الروم ... ووضوحه سراً فاعرب عن ميله في المنهج الاول ... مرقص من متابعة المنهاج الجديد الذي فتحه رغبة في استطلاع الافكار والآراء.

واخذ مرقص ينتقد تعليم اللاتين منددا بهم زعماً انهم ضلوا فجعلوا مبدأين في الثالوث الاقدس الا ان الدومنيكي درأ عن الكنيسة الرومانية شبهات هذه التهمة الفظيعة قال: «ان كل الآباء اللاتين وجميع اللاهوتيين لا يعرفون في الثالوث الاقدس الا مبدأً واحداً».

فلما سمع آباء الروم هذا الجواب انشرحوا صدراً واظهروا مزيد رضاهم عنه لان اكبر سبب للانشقاق قد زال بهذا التفسير فانهم كانوا موقنين بان الكنيسة اللاتينية راكبة متن الخطأ من هذا الوجه. اما مرقص فلم ينبس ببنت شفة

٤

وفي اليوم التالي (١٩ اذار) عقد الملك مؤتمراً خصوصياً حضره جميع آباء الروم عند البطريرك يوسف فخطب الملك فيهم خطبة بليغة اشار فيها ... كان في فكر ابيه مانويل من صالح الاتحاد بعقد الوفاق بين الكنيستين ... رأي البطريرك فتيوس الذي كان فريداً بين علماء ولاهوتيي عصره وقد بحث كلاهما وقتئذٍ الى

٣

ثم قُضيت الجلسات السابعة عشرة والثامنة عشرة والتاسعة عشرة في البحث في شهادة القديس باسيليوس المذكورة آنفًا وفي شهادة أُخرى من الكتاب نفسهِ المؤلف ضدّ افنوميوس لكن لم تأتِ هذه الجلسات بنتيجــة تذكر لان النسخ كانت متغايرة فلم يقتنع احدٌ بما كان يأتيهِ الآخر من البراهين لكن هذا الجدال لم يكن عقيمًا لان آباء الروم كلهم حتى الملك نفسهُ كانوا يصيخون للايضاحات والبينات التي كان يأتي بها الدومنيكي وافضى الامر بمطران الروسية واكثر مطارنة الروم الى ان اسرُّوا في اذن الملك انهم اقتنعوا برجاحة ادلّة الدومنيكي. ولم يصرّ على رأيه الَّا مرقص الذي لمَّا توسم في سائر الآباء الروم نفورًا من عنادهِ ومحاولتهِ في اختــلاق اعتراضات جديدة رأى ان ينقل الجدال من شهادات الآباء القديسين الى نصوص الانجيل فأنشأ خطبة مزخرفة افتتح بها الجلسة العشرين قال :

ان ايماننا لم يأتِ من بشر بل من يسوع المسيح الذي خاطب تــلاميذهُ فمًا الى فمٍ فلندعنَّ اذًا الشهادات الملتبسة ذات الشك التي ان احسنًا فهمها كانت لنا اكثر تأييدًا ولنهرع الى ينبوعها واساس ايماننا اي كلام الرب . لان من المحــال ان يكون باسيليوس الكبــير قد قال شيئًا ضد المسيح او خلافًا لاقوال الرسل . هذا ما اتحرَّى ايضاحهُ ملتمسًا منهُ تعالى ان يلقي في فيّ الكلام

فنتكرمن التلميذ بمعلمهِ والخادم بسيده مبينين انهما على اتفاق تامّ فان الكلمة الذي هو الله معلم كل لاهوت قد قال لتــلاميذه في خطابهِ الاخير لهم « متى جاء المعزّي الذي ارســلهُ اليكم من عند الآب روح الحق الذي من الآب ينبثق فهو يشهد لي » في هذا النطق الالهي ذكر الاقانيم الثلثــة والسيد المسيح نفسهُ وصف كلًّا بما يختص بهِ فقال عن الروح القدس وحده « ومتى جاء المعزي » وقال عن نفسهِ

الفرقتين اليونانية واللاتينية. فلما كان اليوم الموعود قرئت تلك الكتب فوجد ان اكثر النسخ [illegible] ومن ثم رأوا ان لا شيء يحول دون ابرام الوفاق التام فطلب البطريرك [illegible] جلسات عمومية ليتمكن الآباء الشرقيون من [illegible] يجب الاتحاد

٦

[illegible] جميع [illegible] وخوزنة [illegible] ان يجتمعوا كلهم [illegible] في ٣٠ آذار [illegible] والمشورة [illegible] عن الحضور في هذا المؤتمر خصوصاً حتى مرقص [illegible] قد حيطت

فابرى ايسيذورس مطران روسية وخطب فيهم خطبة بليغة سدد فيها الدفاع عن الاتحاد وعقبه بساريون مطران نيقية مؤيداً المثال نفسه فتصدى لهما دوروثاوس مطران موشبزية وهتف صارخاً ان نقبل ان نصير لاتينيين. فاجابه مطران الروسية وقال «ونحن لا نريد ان نصير لاتينيين لكن نقول بما ان الآباء القديسين من الغربيين والشرقيين قد اجمعوا على ان ينسبوا للابن بثق روح القدس فمن الصواب ان نعترف بهذه الحقيقة مع كنيسة رومية ونتحد معها»

فقال انطونيوس مطران هرقلية بما ان الآباء الشرقيين كتبوا عن ان الروح القدس منبثق من الآب والابن هم اقل عدداً من اولئك الذين كتبوا انه منبثق من الآب بدون ذكر الابن فمن الموافق ان نتبع رأي اغلبية الآباء

فدعم مرقص الافسسي قول مطران هرقلية ورد عليه بان قال ان الغربيين هم هراطقة فلا يجب الاتحاد معهم اذ انهم يخالفون من قانون الايمان لفظة «والابن»

فعارضه بساريون سائلا «هل تحتسب ايضاً الذين يعتقدون بان الروح القدس

ايطاليا بيوحنا اندوءين الذي شرع في امرٍ جليل جزيل النفع لخير الكنيستين لكن ابت الايام ان تسعدهُ فلم يبلغ منهُ وطرًا . ثم قال الملك عن نفسهِ : انهُ انما لاتمام هذا الامر فقط قد عانى هو وجميع الاساقفة مشقة السفر الى ايطاليا تاركًا مدينة القسطنطينية زمانًا طويلًا وانهُ لما كان الغربيون قد اقرّوا بانهم لا يؤمنون بمبدأين او علتين للانبثاق كما كان الروم يتهمونهم حتى يومنا هذا بل اعلنوا انهم يعتقدون كالشرقيين اتمّ الاعتقاد بعدم وجود غير مبدإٍ واحدٍ وعلة واحدة للانبثاق صار يؤمل ان الاتحاد اوشك ان تنعقد عراهُ . وقال الملك ايضًا انه طلب من البابا ان يدفع لهُ صورة ايمان الغربيين خطًا وقد استلمها منهُ واراهموها لتعرض على الآباء الروم جميعًا وتفحص باجتهاد بليغ ليرى هل يمكن ان يتم عقد الاتفاق بين الكنيستين

فلما فرغ الملك من الخطاب شرع آباء الروم يفحصون تلك الصورة و يقابلونها مع كتابات الآباء القديسين الاقدمين فرأوا ان صورة الايمان التي كتبها الآباء والعلماء الغربيون مطابقة كل المطابقة لما كتبهُ آباء الروم القديسون بل وجدوها محتوية برمتها في رسالة كتبها القديس مكسيمس المعترف وقرّ رأيهم جميعًا ان الغربيين اذا قبلوا هذه الرسالة بما فيها فلا مانع من الاتحاد وقدموا هذا الرأي للبطريرك والملك فصدقا عليهِ

اما الغربيون فقبلوا بحكم الروم بفرحٍ جزيل على انهم لوجود عدة قضايا لم يبحث بعد فيها جهارًا ولم تثبت استصوبوا عقد جلسات أُخرى للتنقيب عنها

٥

وضرب الملك لعقد الجلسة التابعة اليوم الحادي والعشرين من اذار فشغل ادومنيكي كل الجلسة بفصاحةٍ عن ايمان اللاتين بشأن انبثاق الروح القدس مستشهدًا الآباء القديسين الغربيين ثم استأنف الموضوع في جلسة أُخرى اتيًا بعددٍ كبير من نصوص الآباء الروم وقرّ رأي حاضري هذه الجلسة على عقد مجتمع فوق العادة في كنيسة القديس فرنسيس في ٢٦ من الشهر نفسهِ للمقابلة بين كتب الآباء القديسين

تأتي وهو من الآب مصدر الابن بالبساطة وهو المصدر الاول للروح القدس لان الابن يصدر الروح القدس »

ثم قام معترضاً نيقية اساريون وذكر نصوصاً كثيرة من الآباء الشرقيين في شأن انبثاق الروح القدس وشرح معانيها حيث كانت هذه النصوص يمكن انتقادها وعند ذلك اعلن ... الجلسة ... وجوب الاجتماع في اليوم التالي للبحث في هذه النصوص والشهادات و... رأي الاخير فيها

لكن البوحة تصححة البطريرك تأجيل هذا الاجتماع الى يوم الجمعة من اسبوع الفصح واجتمع عند البطريرك آباء الروم مع الملك يوحنا وبعد مباحثة طويلة قرّ رأيهم ان يرسلوا الى البابا وفداً مؤلفاً من الفلاسفة يسيدورس وبساريون واثنين من الشمامسة حملة الصليب وزعيم حفظة الصحف وكبير خدمة الكنيسة . وقد وُكل الى هذا الوفد ان يبلّغ البابا من قبل الملك والبطريرك وسائر آباء الروم ان الشرقيين يرون ان مسألة الخلاف قد فحصت وانتقدت لكنهم لا يتركون من عوائدهم شيئاً فاذا رأت قداستة وسيلة للاتحاد فليوضحها لهم

٧

فلما عرض هذا الوفد على البابا ما عُهد اليه فيه اجاب البابا « قولوا لجلالة الملك ولاخينا البطريرك ولكل الكنيسة الشرقية ان خصم المسألة ... وسائل فقط اولاً : ان كنتم لم تقتنعوا اتمّ الاقتناع بالبراهين الكثيرة التي اوردناها لكم من شهادات الانجيل والآباء القديسين عن انبثاق الروح القدس من الآب والابن فاعلنوا ان كنتم بعد على ريب من امر فنكفيكموه

ثانياً : ان كانت بيدكم بعض شهادات من الكتاب المقدس والآباء مضادّة لنا فقدموها

منبثق من الابن كلهم هراطقة » فاجابهُ مرقص بالايجاب فتميز بساريون من الغيظ وصرخ بصوت عالٍ استغفر الله عن هذا التجديف . فيا للعجب هل الآباء القديسون الذين كتبوا عن انبثاق الروح القدس من الابن نعدهم هراطقة ؟ فلتخرس الشفاه الكاذبة التي تناقض اقوال القديسين . فاسمعوا يا اخوتي وتأمَّلوا أفمن الممكن ان يكون القديسون الشرقيون والغربيون متناقضين فيما بينهم والناطق بافواههم واحد فقط وهو الروح القدس كلَّا ان هذا لا شك من المستحيل وان كنتم على ريب من ذلك فافحصوا كتبهم تروا ان لجميع القديسين معتقدًا واحدًا بعينهِ» . فعارضهُ مرقص قائلًا : «وما يُدرينا ان كانت كتبهم قد حرّفت » . فاجاب بساريون « وهل من احد يتجاسر ان يقول ان خطبًا ومواعظ برمَّتها قد أُفسدت او ان كتبًا كثيرة حاوية تفاسير مسهبة عن الانجيل والكتاب المقدس وصحفًا لاهوتية عظيمة قد تلاعبت بها ايدي التحريف والتصحيف فاذا اطرحنا هذه المواعظ العظيمة والكتب والتفاسير الجليلة فما يبقى انا الا صحف خاوية ليس فيها الَّا ورق ابيض »

وطال الجدال والمناقشة على هذا المنوال امدًا مديدًا على غير طائل ثم فُضَّت هذه الجلسة الخصوصية ولم تأتِ بثمرة تذكر وكان اكبر سبب لتعويق الاتحاد انحراف اميال البعض من رجال البلاط الذين لم يكونوا يودون الاتفاق مع الكنيسة الرومانية لاغراض في النفس وكانوا يحركون بعض الاساقفة على وضع العقبات دون نجاح هذا المشروع الجليل

ثم اجتمع آباء الروم ايضًا عند البطريرك يوم الاربعاء الكبيرة فافتتح الكلام مطران ميتلين قائلًا : علينا ان نختار احد امرين اما ان نتحد مع الغربيين اذا كان ايمانهم قويمًا واما ان نجهر بانهم مشاقّون ونرجع الى القسطنطينية . ومع ذلك قولوا لي ألا تقبلون كلكم كتاب القديس مكسيمس . فاجابوا كلهم بقبولهِ . فقال : ان القديس مكسيموس يشهد صريحًا ان الروح القدس ينبثق من الابن واستشهد على النور بكلام

فكان لهذا الكلام في القلوب احسن وقع ولم يعترضه احد من الآباء . اما [illegible] الجواب [illegible] على وسائل الاتحاد فقام حينئذ غريغوريوس [illegible] القسطنطيني [illegible] لانكلتري في المجمع وقال [illegible] سعادة [illegible] المسيحيين [illegible] شديدة للانشقاق [illegible] يضحي [illegible]

[illegible] ليقنعوا من [illegible] ذكره يقول ان الشرقيين يرون في هذه [illegible] الاجراءات [illegible] حتى [illegible] بحث فيه طويلا ووضحت وجوهه [illegible] فجزموا [illegible] فيها كل [illegible] ان الغربيين قد وضحوا جلاء ان الزيادة المضافة على قانون الايمان مطابقة لنصوص الآباء القديسين فهم لا يلومونهم [illegible] اما الشرقيون فلا يقبلون مطلقا ان يضيفوها على قانونهم بل يحفظونه تماما كما تسلموه من آبائهم . وقصارى الكلام ان [illegible] ولاجتماعات والشهادات والاقسام لا تجدي نفعا فما ينتظره الشرقيون [illegible] راجين منه ان يسعى الى الاتحاد من طريق آخر [illegible] فيسمح لهم بحل المجمع فيرجعوا الى بلادهم »

فرسل [illegible] الجواب [illegible] الى المجمع [illegible] جواب [illegible]

٨

[illegible] وقد خطب فيهم مطران نيقية فابدع واجاد في خطبة [illegible] ينطق به [illegible] الحكماء

ثالثاً: ان كانت عندكم براهين من الكتاب والآباء تثبت ان رأيكم اقرب الى الصواب وادنى الى التقوى فاشهروها

رابعاً: ان لم ترغبوا في اتخاذ هذه الوسائل المذكورة فلنجتمع كلنا في مكان واحد ويقوم احد الكهنة فيحتفل بالذبيحة الالهية ثم نحلف كلنا الشرقيين والغربيين ان كلاً منا يقرّ بالحقيقة حسب ما يلهمهُ اليهِ ضميره ثم نقترع ونحكم اخيراً وفقاً لاغلبية الاصوات»

فرجع الوفد وقدّم جواب البابا لجمعية آباء الروم فحظيت الوسائل الثلاث الاولى بالتم القبول لدى الاغلبيـــة واتفقوا على القول الآتي: « ان جواب البابا صوابي في كل فروعهِ الاولى الثلاثة لانهُ لا يمكن ان ننكر ان آباء كثيرين من الكنيسة قالوا بانبثاق الروح القدس من الابن ولم يُرَ منهم احد ينكر هذا الانبثاق. ولا قبل لنا ان نقول ان تعليمنا اقرب الى الصواب والتقوى من تعليم الغربيين لان كلا التعليمين في كتب الآباء القديسين الشرقيين والغربيين واحد ولا يمكن ان يكون احدهما احسن من الآخر فيجب اذن ان نتحد معهم في ايمان واحد

امّا ما قيل في الواسطة الرابعة من الحلف والاقتراع في الكنيســة فيظهر الآن غير موافق لانّا لم نرَ مجمعاً مسكونياً اتخذ هذه الوسيلة لفض المشاكل منهجاً »

فقال مطران ميتيلين اذاً لمَ لا نزال نخوض في مضمار الجـدال والخصام ولا نهتم في بتّ المسألة ونهائها فقد رأينا بعد الفحص الدقيق ان تعليمنـا مستقيم وان الزيادة التي اضافها الغربيون الى قانون الايمان لمزيد الايضاح انما هي مستقيمة ايضـاً لانهم اخذوها ايضاً مثلنا عن كتب الآباء فضلًا عن ان قانون الايمان مبني على الكتاب المقدس واضافة « والابن » عليه مأخوذة من اقوالهِ فاذن قانون ايماننا مستقيم وقانونهم كذلك فليس الا ايمان واحد ومعتقد قويم واحد والله واحد بثلثة اقانيم في كلا القانونين. ولا ندعنّ الوقت يمضي سدًى فلننضم معاً الى وحدة كنيسة الله ولنقطع كل مناقشة. هذا جوابنا نعرضهُ على قداسة بابانا

لاجتماعات العمومية فانقسم آباء الروم الى شطرين بعضهم ذهب الى ضرورة عقدها وبعضهم الى الخلاف وطال الجدال حتى فضت هذه الجلسة الخصوصية على غير طائل

ثم بعد يومين عقدت جمعية اخرى فاتفق جمهور آباء الروم على ان ينتخب من كل من الكنيستين عشرة آباء ... في التوفيق بين اقوال الآباء القديسين من ... الكنيستين

٩

فرضي الجميع بهذا الرأي فعقدت في اليوم التالي جلسة اولى من عشرة آباء من كل من الكنيستين وحدثت فيها بعض مناقشات في امور مختلفة واشتد الجدال لكن الجمهور اجمع على وجوب المطابقة بين نصوص واقوال الآباء القديسين الشرقيين والغربيين وقد توالت جلسات هؤلاء الآباء ففحصت فيها كتب الآباء الشرقيين والغربيين وقوبلت مع بعضها فوجدت بينها المطابقة في كل الاحوال. وفي الجلسة الاخيرة التي اجتمع فيها هؤلاء العلماء طلب العشرة الشرقيون من الغربيين ان يعطوهم شرح ايمانهم بشأن الروح القدس مسطوراً على قرطاس فدفعوه اليهم. وهاك ما كتب فيه « انّا بقولنا ان الروح القدس منبثق من الآب والابن لا نريد وجود مبدأين وعلتين لبثق الروح القدس بل بالعكس نؤمن ونعترف بانهُ لا يوجد الا علة واحدة ومبدأ واحد للانبثاق ونحن نحرم كل من يقول او يؤمن بما يضاد هذا التعليم »

فلما قرأهُ آباء الروم عقدوا ثلاث جلسات بحضرة الملك والبطريرك ليتداولوا في الجواب عليها فاتفقوا على ان يبعثوا الى الغربيين بهذه الكتابة الآتية « بما ان الغربيين يقرّون ان الآب هو المبدأ الواحد للابن والروح القدس ويطلبون منا ان نعرض عليهم صورة ايماننا نقول إنّا نعترف ايضاً ان الآب هو المبدأ الواحد للابن والروح القدس الذي ينبثق من الآب والابن وفقاً لما كتبهُ آباء الكنيسة القديسون »

والفصحاء وقد اثبت فيها بعشرة فصول اتفاق كلتا الكنيستين واتحادهما في الايمان القويم اما الاختلاف الحاضر فليس الا ظاهراً في الكلام ولكن من طيّه اتحاد التعليم والايمان في الجوهر

ثم القى العلاّمة جرجس سكولاريوس على الجمعية ثلاث خطب برهن فيها بفصاحة بليغة عن ضرورة اتحاد الكنيسة واتفاق العقائد في الجوهر بين الشرقيين والغربيين

ولا يخفى ما لخطب هذين العظيمين من آباء الروم من الاهمية والتأثير وذلك ليس فقط من حيث تبيينهما بصراحة وفصاحة وجوب الاتحاد الذي هو الغاية الوحيدة لعقد هذا المجمع بل ايضاً نظراً لما كان لهذين العالمين من كبير المكانة وعلو المنزلة بعين الآباء ولما رشحتهما العناية الالهية في المستقبل ليرتقيا في مناصب الكنيسة السامية فان بساريون قد ذاع فضله بين الشرقيين والغربيين فرقّاه البابا الى المنصب الكردينالي في الكنيسة الرومانية. أمّا سكولاريوس الذي لم يكن في المجمع الّا عالميًا فقد انتخبهُ الروم بطريركاً على القسطنطينية باسم جناديوس بعد سقوط عاصمتهم بيد محمد الفاتح و يؤكد كثيرون من ثقاة المؤرخين الروم ان هذا البطريرك قد عاش ومات بالاتحاد مع الكنيسة الرومانية التي كثيراً ما نفعها في هذا المجمع لتوطيد الوفاق بين الكنيستين

واشتدّت وعكة البطريرك يوسف في ١٥ نيسان لكن لم يكن ذلك علّةً لتأجيل الاجتماعات بل كانت تعقد عنده كجاري العادة وكان الملك يحضرها بشخصه

و بينما كان آباء الروم مجتمعين عند البطريرك وفد عليهم جواب البابا مع ثلاثة كرادلة و بعض اساقفة ورؤساء اديرة من الغربيين فقال الكردينال يليانس « ان مراد البابا ان تتوالى الجلسات العمومية لتجلى المسائل التي تحتاج ايضاً الى التبيان » فاجابه الملك ان المسألة قد بُحث فيها بحثاً كافيًا وصارت واضحة. فالحّ الكردينال بوجوب عقد

فيه [illegible] هذه العبارة الجليلة وهي : «اذا لم ترد حالتكم عقد الاتحاد

[illegible] الكنيسة الشرقية فتجتمع الاكليروس كنيسة رومانية» فوقع

[illegible] في قلب [illegible] جميع الشرقيين يجتمعون

في [illegible] الاجتماع

١١

و[illegible] [illegible] الاحبار

[illegible] عظيم الذي هو

[illegible] الافتراق [illegible] في ذلك امرين مهمين

[illegible] الاتحاد [illegible] موفق [illegible] ترقين بعيد

[illegible] في [illegible] الامرين [illegible] كل

[illegible] من ان تبدوا [illegible] يكون مضاداً خلاص [illegible]

فلا ريب ان الانشقاق [illegible] شيء يسير في جنب خلاص النفس

[illegible] جيداً حتى اذا رأيتم الاتحاد غير مضاد للخلاص فلا تهملوه

لان [illegible] خطايا [illegible] افتراق الكنائس [illegible] الاتحاد [illegible] من حظ

يهوذا [illegible] الذي خان سيدنا يسوع المسيح

فهتف الاساقفة بصوت واحد : «كل من لا يرضى بالاتحاد في الايمان المستقيم

الذي فليكن مبسلا»

ثم [illegible] الحاضرين [illegible] قال : «تعرفون

يا اخوتي ان هذه [illegible] وترددت [illegible] بين

الكنيستين لانه لا يخفاكم انا فحصنا كتب [illegible] فوجدنا [illegible] كل

المطابقة لاقوال ونصوص [illegible] الشرقيين ومن المستحيل ان تكون [illegible] لان

القديسين هم دائماً في اتفاق ولا يمكن ان يختلفوا لان روح القدس الذي يوحي اليهم لا

١٠

وبعد تبادل هاتين الكتابتين عُقدت جمعيات كثيرة فوق العادة لشرح هذا التعليم وبما ان مسألة الخلاف لم تحسم حسمًا نهائيًا دعا البابا اليهِ يوم عيد العنصرة جميع اكليرس الروم لترويج الاتحاد والقى عليهم خطابًا جاء فيهِ بذكر ما عاناهُ حتى ذلك اليوم من المشاقّ لاعادة الوحدة بين الكنيستين وذكّرهم بعقد الجمعيات الكثيرة وتشكى بجبٍّ اوي من انهم لم يكونوا يجرون في هذه الجمعيات حسب الواجب من المداومة والمثابرة ثم حرَّضهم على ان يبذلوا قصارى اجتهادهم في ايجاد الاتحاد الذي يكون ينبوعًا مفيضًا لخيرات عظيمة روحية وزمنية في كل العالم المسيحي

فاجاب ايسيدورس مطران الروسية على البابا قائلًا : ان قول قداستكم هو عين الحق لكن لا يخفى انه لا بدّ لجميع المشروعات الكبيرة من ان يحول في سبيلها بعض العُقُبات والعوائق . ومع ذلك في بحر هذه المدة الطويلة التي قضيناها هنا لم ندخر جهدًا في ترويج عمل الاتحاد العظيم بل كنا دائمًا مشتغلين في هذا المشروع المهم تارةً في الجلسات العادية او الخارقة العادة وطورًا في اجتماعاتنا الخصوصية الشرقية وحينًا في ابحاث ومناقشات إما بيننا وإما مع بطريركنا وإما مع سلاطيننا . لكن اذا لم يكمل العمل حالًا فلا عجب لان كل المشروعات العظيمة تقتضي زمانًا مديدًا وتعبًا طويلًا وها نحن الآن ذاهبون للتداول مع بطريركنا في هذا الشأن

وبعد القاء بعض خطبٍ وجيزة كهذه قام الاساقفة الشرقيون وذهبوا الى البطريرك ليبسطوا لهُ ما جرى في اجتماعهم عند البابا

فانتخب البطريرك اربعة من المطارنة مطران الروسية ومطران نيقية ومطران لقدمونية ومطران ميتلين وامرهم باخبار الملك بكل ما حدث عند البابا والتماس رأيه فذهبوا وبعد ان قصوا عليه الخبر التمسوا منهُ ان يتنازل لقبول عقد الاتحاد بين الكنيستين فظهرت على الملك امارات التردُّد في الامر لكن بعد مداولات طويلة قال

١٢

وفي يوم ... في صباحه عقد الآباء الشرقيون جلسة خصوصية قرأوا فيها شهادات القديسين ابيفانيوس واثناسيوس وكيرلس وغريغوريوس النيصي وانسطاسيوس (الذي من جبل سينا) وغريغوريوس اللاهوتي ويوحنا الدمشقي وكثيرين آخرين من الآباء القديسين في انبثاق الروح القدس من الآب والابن حتى ان جميع الحاضرين قنعوا بالحقيقة ثم اجتمعوا ثانية بعد الظهر على الترتيب والشكل الذي صار صباحه

وفي الجلسة التي تلت المختصرة الآباء الشرقيون اجتمعوا عند البطريرك مخصوصة فخطب العلامة سكولاريوس خطبة بليغة ظهر فيها ان الآباء الغربيين والشرقيين متفقون كل الاتفاق فيما بينهم في مسألة انبثاق الروح القدس لانهم كانوا جميعاً يؤمنون ويعترفون انه منبثق من الآب والابن ومن الآب بالابن كمن مبدإ واحد ومن ثم ينتج ان لا داعي للشقاق بين الكنيستين فعليهما ان ترجعا الى الاتفاق كما كانتا قبلاً . ثم قدم كتابين قد الفهما من زمان طويل احدهما كان موضوعه ضرورة اتحاد الكنيسة التي هي واحدة وغير منقسمة والوسائل التي تمكن بها البلوغ الى هذه الغاية . والكتاب الثاني يثبت ان الروح القدس منبثق من الآب والابن ووضح ذلك بشهادات من الكتاب المقدس والآباء الشرقيين والغربيين مبيناً الاتفاق التام بينهما

فلما انتهى هذا العلامة من شرحه هذا اخذ الآباء يبحثون في الكتب التي اعطاها الآباء الشرقيون ثم اعلنوا اخيراً ان لا حاجة لمداومة البحث والتنقيب في هذه المسألة فقد وضحت وضوحاً جلياً

ثم اتُّفق ان يبدي كل من الحاضرين رأيه فابتدأ البطريرك وقال : بما ان جميع كتب الآباء القديسين شرقيين كانوا وغربيين تقول ان الروح القدس منبثق من الآب والابن ومن الآب بالابن وبما ان العبارة الاخيرة يفهم منها ان الروح

يستطيع ان يوحي اشياء متناقضة وبما ان اولئك وهؤلاء هم قديسون مكرمون في كنيستنا فيترتب علينا بل يجب ان نصدقهم ونؤمن انهم متفقون كما علمنا ذلك بالامتحان حديثاً . فما هو رأيكم الآن اذن ايها الآباء المحترمون » فاجاب جميع الآباء « هكذا نحن نؤمن »

فقام حينئذٍ مطران نيقيـة وقال « اذا كنتم تؤمنون ان القديسين متفقون مع بعضهم فلمَ لا تؤمنون مثلهم بان الروح القدس منبثق ايضاً من الابن » . ثم جاء بايرد عدّة شهادات من القديس ابيفانيوس والقديس كيرلس وغـيرهما من آباء الشرق المعظمين بعضها يثبت ان الروح القدس منبثق من الآب والابن وبعضها من الآب بالابن . وبعد قراءة هذه الشهادات المنقولة من الآباء الشرقيين انتصب مطران ميتلين وقرأ نصوص الآباء الغربيين الخمسة الذين يقولون بجلاء ووضوح ان الآب والابن هما مصدر واحد للروح القدس الذي ينبثق من الآب المصدر الاول وفي الوقت نفسهِ من الابن الذي هو مساوٍ للآب في الجوهر وهكذا يكون الروح القدس منبثقاً من الآب والابن معاً

فلما سمع الآباء الشرقيون هذه الشهادات والنصوص الغربيـة اقتنعوا بصحتها وهتفوا قائلين « بما أنّا لم نكن نعرف كتب الآباء الغربيين كنّا في ريب امّا الآن وقد نظرناها وقرأناها فنحن بها قابلون »

فقال لهم الملك بما انكم تقبلون هذه النصوص فليبدِ كلٌّ منكم رأيه فيها بموجب ذمتهِ فحينئذٍ اجمع البطريرك والاساقفة على الاعلان انهم يقبلون كتب الآباء الغربيين ويعترفون بانها مستقيمة الرأي اعتقـاداً انهم كلهم كانوا مستنيرين بنور الروح القدس الذي هو واحد فمن الضرورة ان كتاباتهم تكون حقيقية ككتب الآباء الشرقيين

وبعد ان اعتمد الشرقيون على هذا العزم وبتوه بتاً انفضت الجلسة

نفسي ، فتبت رأيت في مخطئ ، (بنسبتي لهم هذا القول) وعرفت ان الغربيين لا يقولون بعلتين [illegible] للانبثاق كما [illegible] نحن ، ثم اخذ يشرح مبادئ ، لان كل [illegible] واحدة في جوهره وان الروح القدس ينبثق من الآب والابن كما [illegible]

[illegible] جميع الاساقفة [illegible] ما عدا [illegible] وجمهور [illegible] خصوصا [illegible] على رفضه لا مرقس الافسسي

١٣

و [illegible] الذي كان يوجد [illegible] مراتب [illegible] ورؤساء الاديرة والشمامسة [illegible] وحاملي [illegible] فيهم [illegible] وخطب فيهم قائلا [illegible] اطلعت على آرائكم الذي ابديتموها في جمعيات المعقودة في [illegible] حيث [illegible] نفسي رأيي الخصوصي وكذلك [illegible] ايضاً قرأت [illegible] كثيرة [illegible] وغيرها [illegible] قد صادقوا على رأي الغربيين وقد [illegible] جميعاً ان لفظة بالابن [illegible] في مشاكلة لفظة «ومن الابن» . فالآن ارى ان اغلب الاساقفة على اتفاق وقبلوا جميع كتب الآباء الغربيين القول فيها ان الروح القدس منبثق من الآب والابن ومع ان كثيرين منكم قد ابدوا رأيهم خطأ منذ يومين في [illegible] البقية يحذون حذوهم وبعد ذلك نبت المسألة بحسب رأي الاغلبية ،

فاجاب الاساقفة ان على البطريرك ان يبدي رأيه اولاً فقام البطريرك وقال :

«اما انا فلا اغير ولن اغير [illegible] وبما ان الغربيين يعلمون [illegible] التعليم بانبثاق الروح القدس لم يستنبطوه من عندهم بل اخذوه من الكتاب المقدس [illegible] في [illegible] مستقي الايمان القديسين وعلمن ان عبارتنا بالابن [illegible] الابن مع الآب مصدر انبثاق الروح القدس وهذا السبب الذي اتحد واشترك مع الغربيين ،

فلما انتهى البطريرك اعلن الاساقفة انهم جميعاً على رأيي ونعتقد نفسه اي

القدس منبثق من الآب والابن فاني ارتئي بوجوب تصديق كتب الآباء الغربيين والاتحاد مع كنيسة رومية . لكنا نحافظ على كل عوائدنا ولا نضيف الزيادة التفسيرية « والابن » على قانون ايماننا ولو كنا مع ذلك نؤمن ان هذه الزيادة صوابية حقيقية وذات ايمان قويم

فقام الملك وقال: « ان من واجباتي بحسب كوني سلطاناً ان ادافع عن اعتقادات الكنيسة واتبع رأي الاغلبية الجمهورية وفقاً للقاعدة القديمة لانه من الممكن ان يسقط اثنان او ثلاثة في الخطإ ولكن من المستحيل ان الكنيسة باسرها تقع في الضلال. ثم بما اني اعتبر هذا المجمع مساوياً لسائر المجامع المسكونية وانا مقتنع بحقيقة ما يعتقد بالروح القدس فاثبت واقبل اتحادنا مع الغربيين واجعل ذلك بشرط ان لا نجبر على إضافة شيء على قانون الايمان ولا نغير شيئاً من عوائد كنيستنا »

فقام مطران الروسية ايسيدورس الذي كان ايضاً نائباً عن البطريرك الانطاكي وقال: « ان كتابات الآباء القديسين الغربيين هي مستقيمة الايمان ومقبولة . والروح القدس منبثق ايضاً من الابن . والآب والابن هما مصدر واحد ومبدأ واحد لانبثاق الروح القدس وعليهِ فاني اتحد معكم وهذا هو اقرار ايماني امام الله وامامكم »

وعقبهُ مطران نيقية بساريون واعترف مثلهُ بالايمان القويم وخطب خطاباً تقويا جليلًا اثبت فيهِ ان لا خلاص للمسيحي الذي لا يؤمن بانبثاق الروح القدس من الآب والابن

ثم ابدى كل من الاساقفة رأيه بحسب مقامهِ فطابقوا كلهم الرأي القويم الا اربعة منهم وهم مطارنة هرقلية وافسس وموغبازية وانخيالس فانهم اعلنوا عدم اقتناعهم بانبثاق الروح القدس من الابن

فلما طلب من مطران ميتايين ابداء رأيه قال: « اني منذ حداثتي كنت مضاداً الغربيين باقوالي وكتاباتي اعتقاداً انهم يقولون بمبدأين لانبثاق الروح القدس لكن بعد

خميرًا جريًا على عادة كل كنيسة بشرط ان يكون الكاهن مرسومًا
... الذبيحة في مكان مقدس

... وهي ... نفوس ... قبل الدينونة
... نفس ...
... اخذ ... تتحدر
... الى ...
... في ... ولكنها تستطيع ان تنجو منها

... الاربعة ... حقوق كنيسة رومية
... وغربيون في كل القضايا ... تثبت ... كنيسة
... تحكم ... في ... الكبرى دون مساعدة
... فرجع ... الاربعة الى البطريرك دون ان ... في ذلك
المناقشة ... الشرقيون ... بهذه الكلمات : يعترف
... ما كان له من حقوق قبل الافتراق وانه نائب يسوع المسيح
... زعيم الرسل ورئيس كل الكنيسة الاعظم »
... من الشرقيين شرح ... الكلمات التي ... بعد كلام
... هذا خبز ... وما في الكأس ...
... القدس » فاجاب الشرقيون ... كلام يسوع
... هذا هو دمي » ... تقديس الخبز والخمر وتحولهما الى
... من الروح القدس ... جسد ... يسوع المسيح ...
... في الطقس الغربي ... تقديس الخبز والخمر تقولون
... لتقادم بحضرتك بيد ملاك ... » . ففي الغربيون ...

انهم اقروا بان الروح القدس ينبثق من الآب والابن كمن مصدر واحد ومبدإٍ واحد كما اثبت ذلك جميع معلمي الكنيسة

فكتب الآباء هذه الاثباتات خطاً كل منهم بيده الّا مطران افسس الذي امتنع هذه المرة ايضاً عن ابداء رأيه

وفي رابع حزيران اجتمع الاساقفة الروم مرة أُخرى بحضور الملك والبطريرك ليوقعوا هذا صكّ الاقرار العام الذي ابدوه فكتبوا منهُ ثلاث نسخ واحدة للبابا وواحدة بقيت بيد الملك والثالثة اخذها البطريرك

وكان هذا الصك مشتملاً على ثلاثة امور اولها: انهم يتحدون مع الغربيين . وثانيها انهم يستصوبون الزيادة التفسيرية على قانون الايمان وثالثها انهم يعترفون ان الروح القدس ينبثق من الآب والابن كمن مبدإٍ واحد

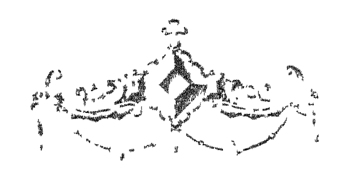
فلما اخذ البابا هذا الصك قرأهُ امام الكرادلة واستحسنهُ وتعانق الغربيون والشرقيون متبادلين التهنئة بالاتفاق على اهم المسائل الخلافية وبعث البابا بثلثة كرادلة الى الملك ليبلغوهُ انهم عقدوا الاتحاد التام بين الكنيستين في القضية الاولية التي طال عليها الجدل

١٤

وفي ثامن حزيران اختار الشرقيون اربعة مطارنة وهم مطران الروسية ومطران نيقية ومطران طرابزون ومطران ميتلين ووكل اليهم من قبل البطريرك والملك والمجمع الشرقي العام ان يذهبوا الى البابا ليفحصوا لديه سائر المسائل الخلافية لاتمام الاتحاد

فلما قدم المطارنة الاربعة الى البابا عُقدت جمعية حافلة حضرها بعض الاساقفة الغربيين فأخذوا في البحث اولاً عن مسألة تقديس جسد الرب بالخبز الفطير فاتفقوا بسهولة ان لصحة تقديس جسد الرب يجب ان يكون الخبز خبز قمح لكن لا فرق فيهِ

[illegible] عدة جمعيات [illegible] وتعيين امتيازات [illegible] لأن
[illegible] في [illegible] ببعض الامتيازات فجمعيات [illegible] بنوع [illegible] حسبها
[illegible] كنيسة الاسمى
[illegible] كنيسة
[illegible] ويكون [illegible] باقي
[illegible] الانطاكي
[illegible] الارثوذكسي



الجواب وهكذا انحلت هذه الجلسة وعاد المطارنة الاربعة الى البطريرك والملك ليعرضوا عليهما النتيجة

١٥

في اليوم نفسهِ الذي عقدت هذه الجلسة (اي تاسع حزيران) فاجأ الموت البطريرك يوسف فقبض الى رحمتهِ تعالى الّا انه قبل موتهِ ببضع ساعات شعر بدنو اجلهِ فطلب قلماً وقرطاساً وكتب بيده نفسها الى الملك ما يلي :

يوسف

برحمة الله تعالى رئيس اساقفة القسطنطينية رومية الجديدة والبطريرك المسكوني

لما حضرتني ساعة الوفاة وشعرت بدنو اجلي لوفاء الدين العمومي المضروب على كل البشر كتبت وختمت بيدي صورة ايماني التي أُطلع عليها جميع اولادي فانا أُومن واعترف بما تؤمن به وتعلمهُ كنيسة يسوع المسيح الكاثوليكية الرسولية التي هي كنيسة رومية القديمة واعتقد بكل قضايا هذا الايمان واعترف ان بابا رومية القديمة الطوباوي هو ابو الآباء والحبر الاعظم ونائب يسوع المسيح تحقيقاً لايمان المسيحيين واقرّ ايضاً بمطهر النفوس وبياناً لايماني بما اعلاه كتبت هذا ووقعتهُ

في تاسع حزيران سنة ١٤٣٩

فلما كان اليوم التالي أُقيم له مأتمٌ بهي غاية في الاجلال والاكرام كما يليق بدرجتهِ السامية ولما شيعت جثته الى القبر مشى وراءها جميع الكرادلة والاساقفة الشرقيين والغربيين وكل الامراء والنبلاء وجمهور الشعب ودُفن في فلورنسة داخل كنيسة القديسة مريم الجديدة الى جنوبيها قرب الخزينة

٢

وجانيوس الاسقف عبد عبيد الله

[illegible]

[illegible] خرتنـا
[illegible] الكنيسة الشرقية جميعها

[illegible] الذي كان يفصل الكنيسة الشرقية من الغربية [illegible] ورسخت قواعد [illegible] حجر الزاوية [illegible] الذي ضم الشعبين الى واحد وجمع بين الخاطئين ووثقهم برباط المحبة والسلام الغير المنفصم وقد [illegible] الحزن [illegible] وتبدد ظلام الخصومة المستطيل وضاء [illegible] كوكب السلام اللامع المرغوب جداً

فلتفرح الكنيسة [illegible] التي كان بنوها في خصام مستمر وتراهم الآن قد عادوا الى الاتحاد والسلام تلك التي كانت في حال انفصالهم تذرف العبرات السخينة فلتشكر الله الآن بابتهاج لا يوصف لاجل اتفاقهم العجيب. وليسر المؤمنون كافة ويهنئوا امهم الكنيسة الكاثوليكية لان الآباء الغربيين والشرقيين [illegible] شقاق وخصام طويلين تجشموا مخاطر البرّ والبحر ووافوا بابتهاج الى هذا المجمع العمومي قاصدين الاتحاد المقدس والمحبة القديمة وقد نجحت آمالهم لانهم بعد البحث المدقق العنيف حصلوا برأفة الروح القدس على الاتحاد الكلي المقدس. فمن يستطيع ان يوفي شكر الله على هذه الاحسانات ومن لا يتعجب من غنى رحمته الالهية واي قلب [illegible] لا يلينه تعاظم صلاح الله وتودده الغير المتناهي. ان الاعمال الالهية عجيبة وليست من ثمرات الضعف البشري. ولهذا يجب علينا ان نقبلها باحترام عظيم ونشكر الباري تعالى لاجلها

فالشكر لك ايها المسيح الهنا وملك المجد ولك التسبيح يا ينبوع الروح الذي انعم على عروسه الكنيسة الكاثوليكية بهذا الاحسان العظيم. واظهر عجائب جودته في عصرنا

الفصل السابع

تقرير الاتحاد بين الروم واللاتين

١ تأليف صك الاتحاد النهائي وتوقيعهُ وقراءتهُ ــ ٢ ــ نص الصك ــ ٣ ــ تواقيع آباء الروم التي بذيلهِ

١

بعد ان انتخب الشرقيّون والغربيون عشرة علماء من كل فريق ليؤلفوا صك اتحاد الكنيستين النهائي ثم يعرضوه على جمهور الآباء ليوقعوه اجتمع هؤلاء العلماء العشرون في رابع تموز في كنيسة القديس فرنسيس وكتبوا الصك باليونانية واللاتينية وعرضوه للتنقيح على البابا والملك والاساقفة الشرقيين فغيروا من عباراتهِ بعض التغيير ثم اثبتهُ الجميع بالاتفاق العام

وفي اليوم الخامس قدّم هذا الصك ليوقع رسمياً فوقعهُ البابا وكل الاكليرس الشرقي والغربي والملك وجميع الامراء والنبلاء الروم الذين حضروا المجمع

وفي سادس تموز اجتمع البابا والاكليرس الشرقي والغربي مع الملك وسائر بطانتهِ في كنيسة مريم العذراء المسماة «ليبراتا» فاتشح البابا باثوابهِ الحبرية وكذا جميع الاكليرس واحتفلوا بقداس حبري بهي وقبل ان يبتدئ البابا بتقدمة الذبيحة حسب الطقس الروماني رنّم مغنو الملك صلاة للروح القدس موقعة على الحان الموسيقى اليونانية ورنّم اللاتين تسبحة شكر لاتحاد الكنيسة الغير المنقسمة وبعد القداس صعد البابا الى عرشهِ الذي على يمين المذبح وجلس الملك على منصتهِ فقرأ مطران نيقية صورة صك الاتحاد النهائي باليونانية وتلاها كردينال سنت سابين باللاتينية وهذه ترجمتها :

ما يكون للابن اخذه من الآب الذي منه ينبثق الروح القدس

ونحكم ايضاً بان زيادة لفظة والابن في قانون الايمان كانت زيادة حسنة وواجبة وصواب من حيث انها تفسير حقيقة من حقائق الايمان ولانه كان ضرورة ان تضاف في ذلك الوقت

ونحكم ايضاً ان جسد المسيح يتقدس من حنطة سواء كان فطيراً او خميراً ويقدس بهما جميعاً ويجب على الكهنة ان يقدسوه باحد هذين الشكلين كل حسب كنيسته الغربية والشرقية

ونحكم ايضاً ان الذين بعد ان تابوا حقاً قد توفوا في حال محبة الله قبل ان يفوا بثمار تليق بالتوبة عن خطاياهم الفعلية والاهمالية يتطهرون بعد الموت بعذابات المطهر ويستفيدون نجاتهم من هذا العذاب باعمال المؤمنين الاحياء اعني تقدمة القداس الالهي والصلوات والصدقات وغير هذه من اعمال المحبة التي يفعلها المسيحيون لاجل اخوتهم المؤمنين حسب قوانين الكنيسة وان نفوس الذين بعد قبولهم سر المعمودية لم تتدنس بادناس الخطيئة ونفوس المؤمنين الذين بعد ارتكابهم الخطيئة قد تطهروا منها سواء كانوا احياء او امواتاً تدخل نفوسهم حينئذ بعد الموت حالاً الى السماوات وترى الله على ما هو واحداً وبثلاثة اقانيم غير ان الذين يكونون اكثر استحقاقاً يشاهدونه تعالى بنوع اكمل . اما نفوس الذين يموتون في حال الخطيئة المميتة مفعولةً كانت او اصليةً فقط فنحكم بانها تنحدر حالاً الى الجحيم حيث تتعذب بعذابات متفاوتة

ونحكم ايضاً بان الكرسي الرسولي المقدس والحبر الروماني خليفة الطوباوي القديس بطرس هامة الرسل ونائب المسيح الحقيقي ورأس الكنيسة كلها وابو ومعلم جميع المسيحيين . وبان سيدنا يسوع المسيح اعطاه في شخص الطوباوي بطرس سلطاناً مطلقاً عاماً لرعاية الكنيسة العامة وتدبيرها وسياستها جميعها كما هو مذكور في اعمال

يخبر الجميع بعظمه . لان اللاتينيين والروم بالتئامهم في هذا المجمع العام المقدس قد بحثوا بكل اجتهاد بحثاً دقيقاً عن انبثاق الروح القدس. وقد جاؤوا بشهادات الكتب المقدسة واقوال الآباء القديسين الشرقيين والغربيين الذين منهم من يقول «ان الروح القدس منبثق من الاب والابن» ومنهم من يقول «انه ينبثق من الاب بالابن» غير انهم كلهم يريدون معنىً واحداً ويعبرون عنهُ بالفاظ مختلفة. اما الروم فأكدوا انهم لا يريدون بقولهم عن الروح القدس انه منبثق من الآب نفي الابن (من مشاركة الاب في البثق) لكن لما خيّل لهم ان اللاتينيين بقولهم عن الروح القدس انه ينبثق من الاب والابن يؤمنون بمبدأين ونفختين امتنعوا عن القول ان الروح القدس ينبثق من الاب والابن

واما اللاتينيون فأكدوا بالخلاف اي انهم بقولهم عن الروح القدس انه منبثق من الاب والابن لا ينفون كون الاب ينبوع كل اللاهوت ومبدأهُ للابن والروح القدس ولا يجعلون مبدأين او نفختين بل يعتقدون بمبدإٍ واحد فقط ونفخة واحدة بالأقة الروح كما اعتقدوا دائماً . ولما كان مرجع هذه العبارات الى معنىً واحد حقيقي اتفقوا اخيراً بنية واحدة وروح واحد على الاتحاد الاتي ذكره اتحاداً مقدساً محبوباً من الله

فباسم الثالوث الاقدس الاب والابن والروح القدس وبتثبيت هذا المجمع العام الفلورنسي المقدس نحكم بانه يجب على كل المسيحيين ان يعتقدوا بحقيقة هذا الايمان ويقبلوه فيعترفوا جميعاً بان الروح القدس هو من الآب والابن منذ الازل ويتخذ جوهره ووجوده من الاب والابن وينبثق من اثنيهما انبثاقاً ازلياً كمن مبدإٍ واحدٍ ونفخة واحدة معلنين ان الاباء القديسين بقولهم ان الروح القدس ينبثق من الاب بالابن لا يريدون معنًى آخر بل يعلمون ان الابن هو كالآب علة اقنوم الروح القدس كما يقول الروم ومبدأ وجوده كما يقول اللاتينيون وبما ان الآب منح لابنهِ الوحيد عند ايلاده كل ما للآب

وكان في ودنا ان نذكر اسماء جميع آباء هذا المجمع لما يترتب على ذلك من الاهمية للدارس في ذكر الابرشيات التي كانت وقتئذٍ مزهرة لكن لما كان كتابنا هذا للشرقيين مخصوصاً سنكتفي من تسمية الآباء اللاتينيين مكتفين ان نذكر بالتفصيل اسماء الآباء الشرقيين واحداً واحداً وهي :

١ انطونيوس مطران رئيس اساقفة هيرقلية ورئيس كنيسة المدينة كلها والنائب عن الكرسي الرسولي كرسي الكلي القداسة فيلوثاوس البطريرك الاسكندري وقّعت

٢ غريغوريوس الراهب المتقدم معه البروتسنجلوس الكبير معهم المعترف التابعين (وكان معهم المعترف الثالث) النائب عن الكرسي الرسولي كرسي سيدنا فيلوثاوس البطريرك الاسكندري وقّعت

٣ ايسيدورس رئيس اساقفة كييف وكل الروسية نائب الكرسي الرسولي كرسي دوروثاوس بطريرك انطاكية القديس قد وقّعت مثبتاً بيده

٤ ديسيثاوس رئيس اساقفة مونمباسية نائب الكرسي الرسولي كرسي يواكيم بطريرك اورشليم القديس وانا وقعت ايضاً

٥ دوروثاوس رئيس اساقفة طرابزون وقّعت ايضاً

٦ مطروفانس رئيس اساقفة كيزيك وقّعت

٧ بساريون برحمة الله رئيس اساقفة نيقية وقّعت

٨ مكاريوس رئيس اساقفة نيقوميدية وقّعت

٩ مثوديوس الحقير رئيس اساقفة لاكدمونية وقّعت

١٠ اغناطيوس رئيس اساقفة طرنوو وقّعت ايضاً

١١ دوروثاوس رئيس اساقفة ميتيلين ونائب رئيس اساقفة صيدا وقّعت ايضاً

١٢ دميانس رئيس اساقفة فلاخ وبغدان ونائب رئيس اساقفة سبسطية وقّعت

المجامع المسكونية وفي القوانين المقدسة . ثم نجدد النظام الذي رسمتهُ القوانين للبطاركة فالبطريرك القسطنطيني يكون الثاني بعد الحبر الروماني الكلي القداسة والبطريرك الاسكندري يكون الثالث والبطريرك الانطاكي يكون الرابع والبطريرك الاورشليمي يكون الخامس وليحافظ على كل حقوقهم واختصاصاتهم

أُعطي في مدينة فلورنسا في الجلسة العمومية المنعقدة احتفاليًا في الكنيسة الكبرى في اليوم ٦ من شهر تموز سنة ١٤٣٩ لتجسد الرب وهي السنة ٦٩٤٧ لخليقة العالم والتاسعة من حبريتنا

٣

وكتب صك الاتحاد على صفيحة كبيرة باللغة اليونانية من الجانب الايمن واللاتينية من الجانب الايسر وتحت النص اللاتيني تواقيع الآباء اللاتينيين من كرادلة ومطارنة واساقفة ورؤساء اديرة وعددهم ١١٦ في مقدمتها توقيع الحبر الاعظم هكذا : « اوجانيوس اسقف الكنيسة الكاثوليكية قد حددت ذلك ووقعتهُ » وبجانبهِ هاته الآية الداودية شعار البابا « اللهمَّ انت معيني وملجئي لا تهملني يا الهي » وتحت النص اليوناني تواقيع آباء الروم بخط ايديهم في اولها توقيع ملكهم يوحنا هكذا « يوحنا باليولوغوس الملك الامين امبراطور الروم بالرب يسوع المسيح »

وهذا الصك نفسهُ قد حُفظ ككنز ثمين في كنيسة فلورنسة ولا يزال فيها حتى يومنا هذا (١)

---

(١) ان مطران فلورنسة نقل رسم هذا الصك المحفوظ عنده بالفوتغرافية وبعث بصورتهِ الى البابا لاون الثالث عشر كهدية نفيسة في عيد يوبيلهِ الكهنوتي وقد اسعد الحظ كاتب هذه السطور في اثناء مروره بايطاليا في ايلول عام ١٨٨٩ بالحصول على صورة من هذا الصك عينهِ وفيه قرأ تواقيع كلٍ من آباء المجمع كما خطتها ايديهم منذ ٤٥٠ سنة

١ [illegible] سيوس رئيس دير وقت

٢ [illegible] رئيس دير [illegible] سيوس [illegible] وقت

٣ [illegible] كريس [illegible] رئيس [illegible] وقت

هؤلاء هم [illegible] شرقيون [illegible] وقعوا صورة الايمان والاتحاد النهائية
[illegible] فسر [illegible] حينئذ [illegible] رسالة تجمع كافة
[illegible] لا يجمع [illegible] رومة [illegible] مرقس [illegible] امامهم
[illegible] يكون فخف مرقس من [illegible] على اقدام
[illegible] يتوسط بينه وبين الاساقفة فلا [illegible] الاثنين
[illegible] حتى يرجع الى
قسطنطينية وهناك [illegible] الاساقفة

١٣ يوسف الحقير رئس اساقفة اماصية وقعت

١٤ ناثانائيل رئيس اساقفة رودس وجزائر سكلاد (اليونانية) وقّعت

١٥ كالستس رئيس اساقفة درستاس وقعت ايضاً

١٦ متى رئيس اساقفة مالمينيك وقعت

١٧ جداديوس رئيس اساقفة ساوى وقعت

١٨ دوسيثاوس رئيس اساقفة دراما وقعت ايضاً

١٩ بساريون رئيس اساقفة نيقية بموجب وثيقــة في يدي مذيّلة بختم الشماس مانويل كبير قيمي الكنيسة(كريسوكوكوس) أوقع هنا رأيه واعلن انه مطابق لنا وتابع لكل المدين هنا

٢٠ ثاوذوريكس الشماس كبير الاحتفالات (سكيفوفيلكس سكنتينوبولوس) وقّعت

٢١ ميخائيل باسموس رئيس الشمامسة كبير محافظي الاوراق (خرطوفيلكس) وقعت

٢٢ سيلنسترس اسيوبولوس (ديخيوفيلكس) وقّعت

٢٣ جرجس الكبادوكي الشماس (بروتوذيكوس) وقعت

٢٤ قسطنطين كبير الكهنة والنائب في الفلاخ والبغدان وقعت

٢٥ موسى الراهب المكرّس وقيّم الكنيسة المكرم من الجبل المقدّس من الدير الكبير وقّعت

٢٦ دوروثاوس الراهب المكرّس والنائب المكرّم من الجبل المقدس الكبير من ثاتباد وقعت

٢٧ جيرونتيوس راهب مكرس ورئيس سابقاً على دير المسيح القادر على كل شيء وقّعت

٢

[illegible]

٣

[illegible]

الفصل الثامن

سفر الملك يوحنا مع الآباء الشرقيين من ايطاليا وانتشار الاتحاد بين الروم

١ توديع الملك يوحنا للبابا ـ ٢ ـ عملة صفيحتين ولريتين تخليدًا لذكر الجمع ـ ٣ ـ وصولهُ الى القسطنطينية وحزنهُ على وفاة الامبراطورة امرأته وعناد اخيهِ ديمتريوس ـ ٤ ـ امتداد الاتحاد في كل كنائس الروم ـ ٥ ـ الرسالة العامة التي بعث بها مطروفانس البطريرك القسطنطيني الى جميع الابرشيات تأييدًا للاتحاد ـ ٦ ـ الرسالة التي كتبها فيلوثاوس البطريرك الاسكندري للبابا اوجانيوس الرابع سرورًا بالاتحاد

١

بعد ان تم الاتحاد على هذا المنوال بغاية الحب والاتفاق اشتاق الملك ان يسافر الى عاصمته ليتدبر شؤونها بعد ان تركها نحوًا من عشرين شهرًا اي منذ ٢٠ تشرين ثاني من سنة ١٤٣٧ فودَّع البابا الذي اعرب لهُ عن عواطفهِ الابوية وارتياحهِ الشديد الى عضده ولم يدعهُ ينفق درهمًا من مالهِ في ايابهِ الى تحت سلطته وعلاوةً على ذلك ارسل معهُ ٣٠٠ جندي لخدمتهِ الى حيث شاء دون ان يكلفه باداء شيء لهم واهدى اليهِ مركبين حربيين كبيرين للدفاع عن القسطنطينية ووعده انه يبعث اليه بعشرين مركبًا من اقوى السفن الحربية منها عشرة يبقيها عنده ستة اشهر وعشرة أُخرى سنة كاملة ووعده ايضًا بان يبذل ما في وسعهِ من الوسائل لدى ملوك الغرب ليحدوهُ على محاربيهِ

فخرج يوحنا من عند البابا قرير العين طيب الخاطر شاكرًا مما سمع ورأى وسافر من فلورنسة بمعية جميع الشرقيين في ٢٦ آب سنة ١٤٣٩ فشيعهُ الى باب المدينــة جميع الكردينالية ورافقهُ ثلاثة منهم الى آخر تخوم فلورنسه فسار برًّا الى البندقيــة ومنها ركب البحر في ١١ تشرين الاول

و [illegible] يوسف مطران موتون الذي صنف في ذكر [illegible] ودوروثاوس مطران [illegible] قيصر [illegible] كتبة دفاعاً عن اللاتين قويم [illegible] العلامة سكولاريوس [illegible] في القسطنطينية [illegible] جناديوس ومنهم [illegible] ذكر بطريرك يوسف [illegible] على رسوم مجمع مؤيداً لها [illegible] القسطنطيني [illegible] رسالة عمومية الى كل [illegible] اسقفيته هاك ترجمتها [illegible] الرشية ميشوني وهي [illegible] مخطوطة خطاً باليونانية في مكتبة [illegible] مرقص في البندقية :

٥

مطروفانس

برحمة الله رئيس اساقفة القسطنطينية رومية الجديدة والبطريرك المسكوني

الى جميع المؤمنين ميشوني الآباء الروحيين من الكهنة والرهبان الجزيلي الاحترام والاولاد الاعزاء الاعيان (الارخندوس) وكل شعب الرب المدعوين مسيحيين فلتكن لكم جميعكم النعمة والسلام من الله

ان بحكم الله الممتنع التعبير عنه وانتخاب المجمع ("السينودس") المقدس قد ارتقينا من درجة مطرابية كيزيك الجزيلة القداسة الى منصة البطريركية القسطنطينية الكلية السمو وتقلدنا زمام الرئاسة على نفوسكم لذلك نكتب لكم ذلك كي تصلوا لاجلنا وتذكرونا في ذبيحة القداس الالهي حسب العادة المألوفة

وبما انا ذهبنا الى ايطاليا للاتحاد المقدس بين كنائس المسيح وجب علينا ان نفيدكم بالايجاز عن هذا الاتحاد لانكم ستعرفونه تماماً باطلاعكم على الصك النهائي الذي تلي في نهاية المجمع

فاعلموا اذن انه بنعمة الله قد تم اتحاد المسيحيين ولم يبق بيننا وبين اللاتين

نيقية وايسيدورس مطران الروسية اللذين ابقاهما البابا في رومية ليرقيهما الى مصف الكرادلة

اما سرور الملك يوحنا بهذا الاتحاد السعيد فقد تنغص بالحزن على قرينتهِ الملكة مريم كمنين التي توفيت في العاصمة قبل وصولهِ بشهرين وزاد في الطين بلة ما اثار عليهِ من الدسائس والقلاقل اخوهُ الصغير ديمتريوس الذي كان قد صحبهُ الى المجمع ونال من التجلّة والاكرام اوفر نصيب لكنهُ كان يظهر من نفسهِ العناد وعدم الرضى بالاتحاد مع الكنيسة الرومانية وبُعيد وصولهِ الى وطنهِ طفق يلقي بذار الفتنــة بين الشعب مغرياً الرعية على الهيجان ضد اخيهِ . ومما حمــلهُ خصوصاً على هذا العدوان انه رغب في الاقتران بابنة امير لسبوس فمنعــهُ اخوه يوحنا وقسطنطين وامهُ الملكة وسائر الآل الملكي فجنَّ غيظاً وتملأ غضباً . ناهيك عن انه كان حاقداً جداً على قسطنطين اخيهِ لانهُ كان يراه محبوباً لدى الملك يوحنا مقرباً اليهِ مرشحاً لخلافتــهِ على العرش القيصري شديد الغيرة على الايمان الكاثوليكي وقد بذل قصارى جهده في اجراء تحاديد المجمع المسكوني وتوطيد الاتحاد بين كنيسة الشرق ورومية حتى استحق ان يبعث اليهِ البابا برسالة لطيفة يهنئهُ بها ويعدهُ بمساعدة الكرسي الرسولي لهُ دائماً ولا سيما حينما يدعوه الله الى تولي تخت السلطنة

٤

وليس بسهلٍ إدراك ماذا كانت وقتئذٍ قوة هذا الحزب المضاد الاتحــاد لان بين آراء المؤرخين الروم واللاتين بوناً بعيداً لكن جلَّ ما نعلم علم اليقين ان الكنيسة اليونانية كانت يومئذٍ متحدة كل الاتحاد بعروة الايمان الكاثوليكي في مقدمتها الملك يوحنا واخوه قسطنطين مع اشهر الاساقفة واعظمهم علماً وتقوى ولقد ودّ كثيرون لو كان جاء بساريون وايسيدورس من رومية لتوطيد اخوانهم بالايمان على انه وُجد بين الآباء العائدين الى القسطنطينية علماء فطاحل قاوموا مضادي الاتحاد بشهامة

٦

[illegible]

[illegible] البلاد المصرية

[illegible] والإنسان

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الروح

[illegible] ومن

[illegible]

[illegible] روح

[illegible] كل على

[illegible] فلسفة

[illegible] الروح

[illegible]

[illegible]

(١) [illegible]

[illegible]

ادنى شك . . . بل نحن كلنا بلا خلاف واخوان لانه بعد مناقشات عنيفة ومباحث طويلة صارت في مجمع فلورنسة المقدس بشان القضايا المتسببة التي اوقعت الخلاف بيننا ظهر من تصفح نصوص كثيرة من تآليف عظماء القديسين الغربيين الذين نكرمهم نحن ونقبلهم معلمين للكنيسة ان ما يقولهُ اللاتينيون الان عن الروح القدس هو . . . التعليم القديم الذي لهؤلاء الرجال الطوباويين القديسين . فلهذا السبب قد اتحدنا معهم وصرنا الآن بنعمة الله رعيَّة واحدة لراعٍ واحد هو مخلصنا يسوع المسيح ونذكر من الآن فصاعداً اسم السيد اوجانيوس الكلي الطوبى في الذبيحة جرياً على العوائد الكنسيَّة

فيجب عليكم انتم ايضاً أن تقبلوا هذا الاتحاد المقدس وتشكروا الله على السلام والاتفاق بين المسيحيين وتذكروا اسم البابا الكلي الطوبى كما نذكره نحن انفسنا واخيراً ان تحفظوا وتقبلوا كل ما هو مكتوب في صك المجمع النهائي المحدد بقداسة واعلموا انَّا مع ذلك لا نزال نحفظ كما حفظنا سابقا كل طقوسنا الكنسية في تقديس جسد المسيح وفي كل فروضنا وفي تلاوة قانون الايمان بدون ان نغير . . ادنى تغيير . هذا ورحمة الله وبركتنا لتكون معكم دائما

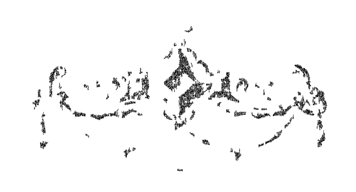
في شهر حزيران من سنة الخلاص ١٤٤١

فيبين من هذه الرسالة العامَّة التي ارسلها البطريرك القسطنطيني الى جميع الابرشيات الخاضعة له ان الاتحاد قد توطدت دعائمهُ وثبتت اركانه وأُذيع في كل البلاد المطيعة لبطريرك القسطنطينية الآمر بوجوب اتباع تحديد المجمع كما ذُ . . بعدئذٍ في جميع الابرشيات الخاضعة لسائر البطاركة الشرقيين الثلاثة وهاك تأييدا لذلك ترجمة الرسالة التي بعث بها البطريرك الاسكندري الى البابا اوجانيوس الرابع .

[illegible] و [illegible] بان نكون مسوسين تحت سلطة وقوة قداستك وان نكون [illegible] تتولى [illegible] كي الغبطة فان جميع الامم [illegible] فهم اولاد الله يدعون. [illegible] لاحد [illegible] المسيحيين وملوك [illegible] لاتحرز [illegible] فقط [illegible] حتى مع جميع الابرار آمين.

[illegible] القسطنطينية [illegible] كلي [illegible] المطارنة [illegible] يرفض قبول [illegible] جميع [illegible] وهرطقيا ويبتعد عن شركة الكنيسة الكاثوليكية المقدسة [illegible] على موطئ قدمي قداستك [illegible] تحت نعمة والغبطة [illegible] وجميع من تحت سلطانك من المؤمنين ولتكن بركة قداستك معنا دائما آمين

فيلو[illegible]س برحمة الله تعالى
بابا وبطريرك مدينة الاسكندرية العظمى
وسائر القطر المصري



بواسطة المكرمة الكلية الكمال مريم ام الله والطوباوي مرقص الرسول الانجيلي وجميع قديسي الله آمين

« لقد علمت حقارتنا بالاعمال الشهيرة التي صنعتها قداستك المجلة وبلغت الينا مع ولدنا بالروح الاخ البرتس احد رهبان القديس فرنسيس الذي دفع الينا كتاب قداستك فلدى ترجمتهِ عرفنا منهُ ما كان في المجمع المسكوني المقدس وكيف جميع الآباء ونواب البطاركة القديسين مع ملكنا الكلي الجلال يوحنا باليولوغ وكل احبار وعلماء الشرق والغرب قد احتفلوا بالاتحاد والسلام في الكنيسة الكاثوليكية كلها بالمحبة الكاملة بنفس واحدة وايمان واحد ونبذوا الشقاق والعداوة . وهكذا محبة الله والسلام قد سطعا في عبادة الله المشتركة بنعمة ورحمة ورأفة ربنا يسوع المسيح الذي لهُ المجد الى ابد الابدين . آمين

« فلمَّا تصفحنا ايها الاب الكلي الكمال رسالتكم المقدسة حمدنا وشكرنا يسوع المسيح على هاتهِ الموهبة العظيمة التي منحها كنيستهُ الكاثوليكية وما اعظم ما كان فرحنا ايضًا اذ عند قدوم الاخ البرتس الى الاسكندرية انتهت الينا الرسائل من مدينة القسطنطينية العظمى من قبل الملك الكلي الجلالة ومن الآباء نوابنا ومن كثيرين من النبلاء الاعيان فقرأْنا كتابكم وكتاب الملك باللاتينية واليونانية وقابلناهما عبارة فعبارة وكلمة فكلمة فوجدناهما متفقين كل الاتفاق مذيلين بتواقيع الآباء والاخوة القديسين المطارنة الشرقيين والغربيين وبختم قداستك الجليلة وختم الملك الكلي العظمة فعقدنا العزم نحن وسائر اساقفة القطر المصري ان نذكر اسم غبطتك في كل كنائس المسيح قبل كل البطاركة كما هو مسطر في القوانين المقدسة . اما انا ايها الاب الكلي الغبطة فأقبل بمزيد الاحترام والاكرام مراسيم المجمع المقدس وارسمها على صفحات قلبي باحرف لا تمحى قاصدا اقتفاء آثار قداستك والمجامع والقوانين الرسولية . وفضلًا عن ذلك نؤدي الشكر مع كل الشعوب المسيحيَّة لله الكلي الصلاح على افتقادنا بهذه الهبة

[illegible] سورية . في مصر فخرف و متج

[illegible] مصر و فلان [illegible]

[illegible] وقد نشر

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] و [illegible]

[illegible]

[illegible]

٢

[illegible] في

[illegible]

في [illegible] وهي :

يوحنا

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] نفسه [illegible] الارض [illegible] المقدسة [illegible] كال

[illegible]

طريق [illegible] حياة [illegible]

الفصل التاسع

فائدة المجمع الفلورنسي لسائر الطوائف الشرقية

١ اصلاح سهو بعض المؤرخين ــ ٢ ــ رسالة يوحنا بطريرك القبط للبابا اوجينيوس الرابع ــ ٣ ــ خطاب نائب بطريرك القبط للبابا وقدوم وفد الحبشة من القدس ــ ٩ ــ براءة البابا لجميع قبط ــ ٥ ــ دوام اتحاد القبط ــ ٦ ــ وصول وفد الارمن الى المجمع لطلب الاتحاد ــ ٧ ــ براءة البابا للارمن ــ ٨ ــ ختام المجمع باتحاد سائر الطوائف الشرقية

١

يظهر مما سبق ما افظع الخطاء الذي ركبهُ عدة مؤرخين بذهابهم الى ان تحديدات هذا المجمع لم تحظَ بالقبول في المشرق وان الاتحاد لم يتأيد الّا ان زعمهم هذا بحت اختلاق ومحض بهتان وكفى بما سبق بيانه الى الآن تفنيدًا لهُ وتزيده دحضًا بما سنأتي من البينات المسفرة عن ان الاتحاد لم يتوطَّد فقط في مملكة الشرق وكل كنيسة الروم بل قد امتد الى الارمن والقبط والكلدان واهل الحبشة حتى يمكن ان يقال ان الكنيسة في ذاك الحين صارت يومًا كلها كاثوليكية وعم الرأي القويم الشرق باسره

ويجدر بنا هنا ان نبين ان مجمع فلورنسة العظيم قد جاء بفائدة كبرى لا لكل هذه الطوائف الشرقية الخاضعة لصولجان ملك الروم فقط بل امتدت ايضًا الى سائر اطراف الشرق المجاورة المملكة الرومانية وذلك

ومن الغريب انّا وجدنا اكثر مؤرخي هذا المجمع قد ذهلوا عن ذكر رجوع القبط حينئذٍ الى حضن الكنيسة الّا انّا بعد البحث والتنقيب رأينا انهم ذكروه ولكنهم جمعوا بينهم وبين اليعاقبة الاسيويين زعمًا انهم امّة واحدة لان المجمع الذي كتبت اعماله باللاتينية قد سمى الاقباط باسم اليعاقبة جمع يعقوبي نسبة لرجل اسمهُ يعقوب قد احياء رفات الهرطقة الاوطيخية وجاب بلاد سورية ومصر وقوّى كلمته بين اتباعه

[illegible] فخضعنا بفرح في نقطة الاتحاد والسلام . ليكتب ابن العذراء كلنا بين
يديه [illegible] في سفر [illegible]

[illegible] ذكرها هنا خطأً فيعوض
[illegible] لك

[illegible] ذهب [illegible] بنفسي ارسالت
[illegible] رئيس دير [illegible] مشهور بعلمه ودماثة خلقه
[illegible] في شيء كثيرة فتتنازل [illegible] قداستك وتستمع
[illegible] فيحفظ الرب الاله قداستك سنين طويلة لخير
المسيحيين [illegible]

أُعطي في القاهرة في ١٢ ايلول عام ١٤٤٠ حسب [illegible] وهي بحسب القبط
عام ١١٥٧ من تاريخ الشهداء وسنة ١٤٤١ لتجسد الالهي

٣

فلما وصل نائب البطريرك القبطي الاب اندراوس رئيس دير القديس انطونيوس
الى فلورنسة قبله البابا (وقد كان باقياً في المجمع) بالسرور والاكرام فدفع اليه كتاب
بطريركه في غاية الادب وتلا بين يديه خطاباً عربياً فترجم الى الايطالية ثم الى اللاتينية
واليك قطعة منه :

اني لدى مقابلتي بين عظمتك السامية ودناءتي ايها الاب الكلي الغبطة
أخذني الرهب والاندهاش وان قصرت بهذا الكلام الذي انطق به التمس ان
تشملني بذيل العفو . كيف لا اجزع وانا التراب والرماد اتكلم امامك
انت وكيل الله على الارض ونائب المسيح وخليفة بطرس [illegible] ورأس ومعلم
الكنيسة العامة الذي اعطي مفاتيح الفردوس تفتح وتغلق [illegible] لمن تشاء انت
رئيس الملوك واعظم المعلمين . فعند افتكاري بهذه الامور رجفت مذعوراً في المثول

السيد اوجانيوس بابا مدينـة رومية الكبرى الراعي الرسولي لكل الكنائس المسيحية رئيس الكراسي المسيحيَّة الوحيد والموقر ورئيس الآباء والكهنة وطبيب النفوس السقية « . . . ان كتاب قداستك الكلي الشرف وصل الينا بواسطة ابنـك المبارك الكاهن الجزيل الاحترام البرتس فقبلناه بغاية ما يمكن من الفرح والاجلال وكان لنا كعطر زكي انبأنا ان يدك كانت مباركة حتى خطت اصابعها حروف الرسالة المشرقة التي بعد ان ترجمناها الى لغة السوريين (١)عن يد بعض البنادقة الحذاق امرنا فقرئت في كنيسة الكليَّة القداسة مريم البتول ام الله التي في محلة الزويلة بحضور اخوتنا الاساقفة المحترمين واولادنا المباركين الكهنة والشمامسة المؤمنين وجميع الشعب وقوف

فلا قِبل لنا ان نوضح لقداستك يامجد الكهنة واباهم وان نصف الفرح العظيم الذي شمل الجميع وتلألأ على وجوههم ساطعًا مشفوعًا باصوات التهليل التي كان الشعب يجاهر بها فهذا اليوم لدينا عظيم جدًّا وهو لا شك اليوم الذي ذكرهُ النبي قائلًا « هذا اليوم الذي صنعهُ الرب فلنفرح ونتهلل بهِ » ولكن قد امتزجت مع هذا الفرح الوسيم الدموع والعبرات وطلبنا من الله ان يطهر عقولنا وبصائرنا ويخرجنا من الظلمات الى هذا النور الكلي البهاء الذي لا ينطفىء ابدًا . وبعد ان اسدى كهنة الله وجميع الشعب الشكر لله القادر على كل شيء قد شكروا جميعهم لقداستك وتضرعوا الى الله ليحفظك ايها الاب الاقدس لسياسة كل المسيحيين ليعلمهم الله بشخصك حتى اذا دانوا للايمان

(١) يريد بها اللغة العربيَّة التي كانت منتشرة وقتئذٍ في بلاد مصر وهي التي كان يعرفها كثيرون من سكان البندقية لكثرة معاطاتهم وحروبهم مع العرب الذين كانوا قد منكوا سورية منذ قرون طويلة واجبروا اهلها على تعلُّم لغتهم العربيَّة والتكلم بها وحدها

...مرة ... و ... روه ... ب ... له اول مصرية
حكـ الاصوات ... يسمى ... اي حملة حتى اليوم ولا تزال تحفظه
كما ستمه ... اطوبويان ... الرسل ... و ... كنائس الحبشة ...
... مدة من ... الحكمة ... التعليم ولم ... على الاساس الاول ...
... عن الكنيسة الرومانية ... ومعاملتها قد ... ان ...
ردة للامه وعيشة ... المسيحيين كما ترى ذلك ... في فرق من لزوم ولا ...
وفيما ... الحبشيين والتحد وقد انفصلنا ... من نحو تسعة قرون ... على ان لنا ...
حزانا تعزية ... و ... كثيرا لان الله ... من ... الروم والارمن الى وحدة
... الكاثوليكي هو ... اي المملك ان تدعوا الى الاتحاد بواسطة ...
العزيز ... الرهب ... ومتاهل ... بركة ... واياكم على رأي
واحد في كنيسة الله ... فانا الذي ... وتراه ... في ... قد ...
... الاحوال ... على ... قداستك رسولا و ...
... من ذلك من الاوراق التي ... من ...
البطريرك ... وكما يؤيد ذلك ايضا ... الذي على ...
هذا الاتحاد ... الشرف في الايمان المسيحي

وقع هذا الخطاب ... في قلب الاب الاقدس وجميع آباء ...
... من ارتياح ... القسطنطينية الى الاتحاد مع رأس الكنيسة ...
... في بلاد ... البابا ... باسمه الى بطريرك القبط

وفيما كان ... يهتمون باعداد هذه البراءة وصل الى فلورنسة ...
... الحبشة قدم من اورشليم ... الاب ... الراهب رئيس ...
الحبشيين ساكني القدس قد ... رسائل ... لنا المقام ذكره ...
... مع ارسالها دون علم بطريرك القبط ...

٥

[illegible] الكاثوليكية [illegible] لانهم

[illegible] من بعض الآثار في

[illegible] نحو ثلاثة [illegible]

[illegible] الكنيسة كما

[illegible] حبشة [illegible] واحد [illegible]

[illegible] حبشة [illegible]

[illegible] رفقة [illegible]

[illegible] في [illegible]

[illegible] يكون [illegible]

في حبشة [illegible] كبير [illegible] مساعدين له

[illegible] في كرسيه [illegible] ولكن حدثت حينئذ ثورة شديدة في بلاد الحبشة حالت

دون مساعي هؤلاء [illegible] ثمرة

و[illegible] من تضللات اكثر [illegible] اشارة الى [illegible]

في مجمع [illegible] من [illegible] معمول [illegible]

طوائف شرقية ولاسيما الارمنية في [illegible] كرسي [illegible] فقط

٦

في شهر ايلول سنة ١٣٤١ وصل الى فلورنسة رسل [illegible]

[illegible] الارمن [illegible] فلورنسة [illegible] وهم

[illegible] والاحبار

[illegible] الاحبار [illegible] في [illegible] الكنيسة

الكاثوليكية والتمسوا منه [illegible]

مجمع فلورنسة المقدس . السابعة بشأن كلمات التقديس ونوع الخبز الذي يجب استعماله في الذبيحة الالهية . الثامنة بشأن الزواج وسواعية اعادته بعد موت احد الزوجين بشرط الّا يكون ثمّة موانع قانونية

وبعد ان قرئت هاته البراءة علانية باللاتينية والعربية قال نائب بطريرك القبط :

ايها الاب الكلي القداسة اوجانيوس الرابع الحبر الاعظم في الكنيسة المقدسة الرومانية والجامعة نائب المسيح الحقيقي وخليفة الطوباوي بطرس وانتم يا آباء مجمع فلورنسة المسكوني الكلي القداسة اني انا اندراوس رئيس دير القديس انطونيوس المرسل من الاب الموقّر السيد يوحنا بطريرك القبط بعد اطلاعي على هذه القضايا التي قرئت على مسمع منكم وعلى قضايا اتّحاد الروم والارمن وبعد ان تمعنت فيها طويلًا اقرّ واعترف ان كل ما في هذه القضايا مطابق للحقيقة الالهية والكاثوليكية . فاذن باسم البطريرك المشار اليهِ وباسم جميع القبط وباسمي اقبل وارضى بالتقوى والاحترام الفائقين براءة المجمع المقدس الكلية الافادة وبكل ما فيها وايضاً بكل ما يؤمن ويُعلم الكرسي الرسولي المقدس والكنيسة الرومانية واستشهد على ذلك قداستكم واقبل باحترام الآباء والعلماء القديسين الذين تقبلهم الكنيسة الرومانية وانبذ وارفض الناس والاشياء الذين تنبذهم وترفضهم وعد ان البطريرك وكل القبط وانا ايضاً نطيع كابناء خاضعين دائماً بامانة لقوانين واوامر قداستك والكرسي الرسولي

وكانت البراءة مذيلة بتواقيع البابا واثني عشر كردينالًا كان عاشرهم الكردينال بساريون

وكان بودنا ان نذكر شيئاً من الرسالة التي بعث بها البابا الى ملك الحبشة لكن لمـا كانت قد كتبت بعد رجوع البابا الى رومية لتكون لها اهمية اكثر لم نقف عليها بين اعمال المجمع الفلورنسي وقد بحث العلماء عنها طويلًا فلم يروا لها اثرًا حتى يومنا هذا

[illegible] كذلك [illegible] سادساً: شرت هم
[illegible] التي كانت خاضعة
[illegible] فنشأت [illegible] عياد لا من
[illegible] يوحنا [illegible]
[illegible] ميكل

[illegible] وجميع شعب
[illegible] والسريان و [illegible]
[illegible] واعلنوا [illegible] جميع
[illegible] كرسي الرسولي [illegible]

٨

[illegible] اتحاد [illegible] والقبط واهل حبشة [illegible] اتحاد اليعاقبة السريين [illegible] سورية وما بين النهرين وذلك ان بطريرك السريان عناطيوس اوفد مطران [illegible] عبد الله الى رومية حيث تمّ البابا اعمال المجمع الفلورنسي ليقدّم خضوعه [لكرسي] الرسولي فقبل البابا هذا بفرح جزيل وبعد عقد الاجتماعات اللازمة اصدر براءة نفيسة [للسريان] فسر فيها اخص قواعد الايمان في ما يتعلق بانبثاق الروح القدس وسر التجسد والاعتقاد بان في المسيح طبيعتين ومشيئتين فتقبلت هذه البراءة بسرور وافر وهكذا تمّ اتحاد السريان

وتتمة لهذه الحوادث المتفرعة عن المجمع الفلورنسي العظيم الذي غمر شعوب الشرق بنعمه العميم لا بدّ من ذكر شيء عن ارسال مطران رودس موفداً من قبل الكرسي الرسولي الى الشرق لاياب الى طهارة الايمان بعض الشعوب التي كانت لحد ذلك الحين متمسكة بالهرطقات القديمة فلما بلغ رسول البابا اليهم قبلوا دعوة الحبر الاعظم الى الاتحاد فقدموا الخضوع التام للكرسي الرسولي كما يفهم ذلك من البراءة التي ارسلها

[illegible] كبيرة [illegible] سرور وسألهم الشوق ان يساعدوا في حسن الكنيسة الكاثوليكية ويعتنوا [illegible] الذين اتوهم ثم دعا لهم ان تكون العاقبة صالحة ووعدهم إن [illegible] يسعى [illegible] عدتهم وامدادهم ايما احتاجوا اليه

[illegible] الرسائل التي بعث بها بطريرك الارمن مؤرخة في الخامس والعشرين من [illegible] عام ١٥٣٨ وهو يقول فيها انه ارسل هذا الوفد لارجاع السلام والمحبة والاتحاد كما كانت موطدة بين البابا القديس سلفسترس وبين القديس غريغوريوس المنور وبين قسطنطين الكبير وطرطاش (تيريداتس) ملك ارمينيا . فلما قرئت هذه الرسائل في المجمع عيّن البابا ثلثة كرادلة وهم اسقف اوستية والبركاتي وجوليان دي سنت سابين مع كثير من العلماء للمداولة في مسألة الارمن

فكانت الجلسات تعقد يوميا ومدار البحث فيها إمّا على اغلاط الارمن وإما على المشاكل التي كانوا مرتابين بها

٧

ولما انجلى صبح الحق بعد شهرين واتفق الفريقان اصدر البابا براءة هذا استهلالها :

« افرحوا بالرب انه يعقوب يا جميع المدعوين بالمسيحيين . . » ثم جاءت على حل المسائل التي جرى فيها البحث . اولاً : امرت بان يرنّم في كنائس ارمينيا كلها قانون الايمان النيقوي الذي كمّله المجمع القسطنطيني الاول مع اضافة انبثاق الروح القدس من الابن . ثانيا : اقتضت منهم قبول المجمع الخلكيدوني المسكوني والتسليم بتحديداته بشأن طبيعتي يسوع المسيح في اقنوم واحد وذكرت هنا تحديد الوهيّة الروح القدس وعقيدة الكنيسة بتجسد الكلمة كما شرحها شرحاً وافياً سامياً القديس كيرلس الاسكندري ولاون الكبير . ثالثا : شرحت عقيدة المشيئتين كما حُددت في المجمع المسكوني السادس . رابعاً : حدّدت بانه لا يجب فقط قبول المجامع الاولى الاربعة فقط بل ايضاً سائر المجامع المسكونيّة وان يكرّم البابا لاون الكبير كقديس عظيم عمود الايمان

[illegible] ايسيدوروس في بلاده ثم وصف الاحتفالات التي جرت في استقبالهم ..

ثم [illegible] التي جرت بين الفريقين ... اخيراً ذكر الصورة الالهية التي

[illegible] ثم الاتفاق بين الروم واللاتين

[illegible] في مدينة فلورنسا

في [illegible] الحبر الاعظم البابا اوجانيوس

[illegible]

[illegible] ثم بطريرك الاسكندرية ثم ايسيدوروس

[illegible] ثم دوسيتاوس نائب بطريرك اورشليم ثم

[illegible] وتحت كل منها [illegible] اخيراً تثبيت الاتفاقات

[illegible] ثم رتلوا تفرح السموات [illegible]

[illegible] انتهى

[illegible] في فوائده اولاً ان كاتبه هو العبد الحقير [illegible] الانطاكيين

[illegible] موسى [illegible] من معمورة قارا سنة ١٥٠٠ للتجسد [illegible]

[illegible] بتصرف وتحرير قال: «هذه نسخة كتاب المرسل من المجمع

[illegible] مطران [illegible] ودوس [illegible] مطران بيروت كتبها

في دمشق [illegible] سنة [illegible] للتجسد الالهي حضر من [illegible]

يوحنا [illegible] ومن يدي السيد اوجانيوس البابا

رومية [illegible] نائب [illegible] على [illegible] الانطاكية [illegible] ورئيس كهنة

[illegible] انتخب [illegible] في خدمت من [illegible]

[illegible] اوجانيوس الاجتماع

[illegible] والاساقفة الروم [illegible] مسكونة

شرقاً وغرباً .. قاموا نحو سنتين يتباحثون في [illegible] وكتبوا في ذلك نسخة

الحبر الاعظم البابا اوجانيوس الى حص رؤسائهم وهي محفوظة في اعمال مجمع فلورنسة الذي عقدت جلستهُ الاخيرة في غرَّة آب سنة ١٤٤٤ في الكنيسة اللترانيــة امام آباء المجمع بحضور الحبر الاعظم وختمت باتحاد سائر من تبي خارج حضن الكنيسة المقدسة من الطوائف الشرقية

تذييل للفصل التاسع

بعد نشر ما سبق في رسالة الكنيسة الكاثوليكية وفي اثناء المباشرة بطبعهِ هنا على حدةٍ بعث الينا احد المطارنة الاجلاء يستلفتنا الى مطالعــة ما كتبهُ بطريرك الروم الانطاكي مكاريوس الكاثوليكي الروح في كتابه الخطي المعروف بالاغرافوس في تاريخ سلاطين الروم بشأن ثمرة المجمع الفلورنسي في سورية وفحواهُ انه في سنــة ١٤٤١ حضر ناثانائـيل مطران رودس الى مدينة دمشق لدى البطريرك دوروثاوس الانطاكي ومعه كتابات الاتحاد التي كان قد تسلَّمها قبلًا من البابا اوجانيوس الرابع ومن الملك يوحنا الباليولوغوس واشتهر الاتحاد ومن دمشق توجَّه هذا المطران لدى البطريرك الاورشليمي ولدى البطريرك الاسكندري واخــيرًا يشير المؤرخ الى «ان الشيطان باغض الخيرات وحاسد المؤمنين اجتهد وهدم هذا الاتفاق» لكنَّا بحثنا على نسخة لهذا الكتاب في بيروت فلم نعثر عليهِ فاكتفينا بنشر استلفات سيادته

ثم ارسل لنا حضرة الفاضل القس كيرلس رزق احد اكليروس الروم الكاثوليك البطريركي الخاص يقول انه عثر في احدى المكاتب الشهيرة للروم الغير المتحدين في اورشليم على مخطوطين عربيين قديمين احدهما كتب في اواخر القرن الخامس عشر بيد نعمة الله ابن يوسف خوكاز وعزون بن جبرائيل عزون بعنوان اعمال المجمع الفلورنسي

وفي اوله وصف المؤلف المصاعب والاخطــار التي قاساها الشرقيون مع

[illegible] في [illegible] منقحة فكان [illegible] وقبل القرن الثامن عشر [illegible] في [illegible] ست [illegible] حتى [illegible] جدد [illegible] في [illegible] بمعارضة [illegible] على [illegible] وخوف [illegible]

[illegible] من ذكر بعض [illegible] الذين [illegible] القرن الخامس عشر الذي [illegible] بطريرك [illegible] ثم بطريرك [illegible] ثم بطريرك [illegible] في القرن السادس عشر [illegible] في القرن السابع عشر بطريرك [illegible] ثم [illegible] الثاني ثم [illegible] الاول ثم مكاريوس الثالث [illegible] في القرن الثامن عشر [illegible] ثم [illegible] ثم بطريرك [illegible] ومن بعده [illegible] في يوم [illegible] فيه [illegible] على [illegible]

[illegible] في قوته [illegible] على

بما اتفق بينهم وارسلوها الى الجميع والى الكرسي الانطاكي عن يد السيد كير نثنائيل وفسرها بالمام الله السيد مخائيل مطران بيروت في تاريخهِ اعلاهُ وهاك اولها:

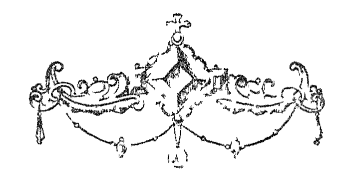
اوجانيوس عبد عبيد السيد المسيح المهتم بسائر الامور المختصة ببيعة الله تذكارٌ مؤبداً لبني المعمودية... وكان هذا باشارة الملك المنتخب بين زمرة الملوك القديسين السلف فخر وجمال بيعة الله... ايها الشعب الطاهر المستقيم بني المعمودية المقدسة الى الاخوة الاباء المعلمين الموجودين ببلاد سوريا المحترمين... لتفرح السماوات وتتهلل الارض......تمَّ الاتفاق بين جمهور الاباء الملتئمين ...وبعد المباحثة بين الروم واللاتين فكان الروم يقولون المنبثق من الاب بالابن على قول القديسين .. وانهم اقروا اخيراً انهُ يتخذ من الاب ايضاً معتقدين كاعتقاد اللاتين اذ فهموا انهم بذلك يريدون نفخة واحدة ومبدأً واحداً لكنهُ سُمح لهم ان يقولوا قانون الايمان بدون هذه الزيادة والابن بشرط ان يعتقدوا بها ويضعوها في كتبهم وقد رسمنا ان هذا الاعتقاد هو الواجب الاعتقاد بهِ من الجميع...(ثم ذكر سائر القضايا) وختموا المجمع باجمعهم... وانصرف كلٌّ الى موضعهِ (انتهى). فهذا ما سبب في سوريا فرحاً عاماً عند الجميع لما نشر» (انتهى كلام الكاتب)

فهل من شهادة اقوى من شهادة ارثذكسي سوري معاصر المجمع عالم بما نال اهل سوريا من الفرح وهو احدهم من مكان قريب لدمشق حيث أُذيع المجمع لان قارا على بعد بضعة عشر فرسخاً شمالي شرقي الشام ثم قال الاب المشار اليهِ: ان هذا السينودوس المقدس لم يكن ليذهب بلا ثمرة ادراج الرياح لانه فضلًا عن الحقائق التي اثبتها وجعلها بمأمن من كل مضادة ظفر بالمرغوب بان اتم الاتحاد بين الكنائس ولو نهزة يسيرة على وجه الاطلاق اما الكرسي الانطاكي المقدس فنالهُ منهُ اوفر نصيب اذ قبل فيهِ باكرام وفرح كما سبق ثم حفظ لهُ اثراً جليلًا في كل قرن من حين انعقادهِ حتى اوائل القرن الثامن عشر في عهد الطيب الذكر البطريرك كيرلس

الفصل العاشر

١

كنيسته تتم الاتحاد عام الدثور ليصير فرحها كاملاً ويتمجد الله بالوحدة الإيمانية والروحية آمين



[illegible] السلطان كان [illegible] يجمع كل قوته لمقاومة حملات [illegible] ومن ذلك ان يوحنا كورفين امير ترنسلفانية الملقب [illegible] في [illegible] حرب فهي مشهورة [illegible]

٣

[illegible] كاستريوت المشهور باسكندر بك [illegible] في [illegible] السلطان [illegible] وصار يحارب [illegible] في [illegible] السلطان [illegible] بشأن اخوته [illegible] فنفق [illegible] اسكندر بك كان يحارب [illegible] جيوش العثمانية [illegible] العثمانيين حتى هزمهم [illegible] على [illegible] السلطان [illegible] التي اغتصبها السلطان من ابيه واخوته [illegible] قتلا في [illegible] فترك اسكندر بك العسكر [illegible] المدينة الكبيرة [illegible] وتحصن فيها حتى تمكن من دفع كل هجمات [illegible]

[illegible] في [illegible] قوة [illegible] بعض [illegible] التي حازوها فتحصنوا في [illegible] قيصر [illegible] هذه ان [illegible] من القسطنطينية [illegible] بولونيا والمجر [illegible] حرب [illegible] نفقات الحرب فيها [illegible] ولاسيما لان كثيرين من امراء المسلمين في اسيا الصغرى [illegible] عن رقابهم وكان في مقدمة هذه [illegible] قرمانية التي [illegible] وحرك سائر الامراء

ولما كان يُسأل عما تَمّ بهِ اللاتين من آثار الاكراه على التوقيع: « أجادوك بالاسواط او طرحوك في السجون او انزلوا بك النكال بتباريح العذاب » كان يصمت خجلًا ثم يجيب معتذرًا بانه اسوء حظهِ سقط في احبولة المواعيد التي كانوا يزينونها له فاخذه الطمع بنوال الهدايا والاموال الغزيرة ٠ وكان يصرخ بعد هذا القول: « لتقطع هاته اليد التي وقّعت هذا التجديف وليستأصل من شأفتهِ هذا اللسان الذي نطق بهِ »

وكان هذا الحزب يتقوى شيئًا فشيئًا بدسائس مرقص الافسسي واعوانهِ حتى مات فضعف حزبهُ كثيرًا كما سنرى الّا انه عاد فنما وقويت شوكتهُ بعد موت الملك قسطنطين باليولوغ وفتح القسطنطينية

٢

وقد سبق الذكر ان ناصر هذا الحزب كان ديمتريوس اصغر اخوة الملك يوحنا وقد جاشت في صدره عوامل الحسد من اخيهِ قسطنطين الموعود بخلافة اخيه يوحنا فأخذ يبرم الدسائس والفتن ويلقي النزاع والشغب في المدينة فلم تنجح مساعيهِ لضعف حزبهِ وسقوط كلمتهِ بين الروم فخرج يستغيث باعداء وطنه مستنجدًا اياهم لمحاصرة القسطنطينية وكان قد جمع تحت امرتهِ جيشًا صغيرًا مؤلفًا من اخصاء اعوانهِ وبعض المفسدين فزحف بهم على العاصمة لفتحها عنوة وخلع اخيهِ يوحنا وخلافتهِ في كرسي المملكة الّا انه لم يفلح ايضًا في خيانتهِ هذه لان سكان المدينة ادركوا مآربهُ فوصدوا ابوابها ورمموا الاسوار ودافعوا اشد الدفاع فارتد المحاصرون خائبين ولم يستطيعوا ان يأتوا المدينة بضرر بل دمروا ضواحيها وخربوها تخريبًا ٠ فلما عاد ديمتريوس بخفي حنين اراد التقرُّب من السلطان مراد فطردهُ وازدراه

اما اخفاق حملة الاتراك هذه المرة مع ديمتريوس فلانّ الجيش الذي سيّره السلطان لم يكن كبيرًا وذلك لسببين اولهما ان السلطان مراد لم يكن يريد ان يفتح القسطنطينية احد غيره انما كان يحب ان يقع الانقسام بين رؤساء الروم فيتسنّى له

السلطان [illegible] ورفع رأسه على حربة على مرأى من الجيوش فانخلعت قلوب الغربيين [illegible] وخارت عزائمهم فولوا الادبار فتأثرهم العثمانيون وقتلوا منهم خلقاً كثيراً [illegible] في [illegible] آخرين وقتل كثيرون [illegible] في [illegible] حرب كهذه تكون [illegible]

[illegible] هذه [illegible] الجسيمة [illegible] فبعث يوحنا [illegible] السلطان مراد

٥

اما [illegible] هذا الخلاف الذي [illegible] البابا نفسه [illegible] الروم [illegible] مرقس الافسسي الفرصة [illegible] الاتحاد الذي [illegible] بين الشرق والغرب واخذ [illegible] الاتحاد [illegible] الذين حضروا المجمع وطوراً على [illegible] نفسه

[illegible] غريغوريوس البروتوسنجلوس [illegible] فلم يتمالك ان [illegible] عن افترائه [illegible] مرقس على [illegible] فقال له ما الذي حملك على قذف هذه [illegible] ان البابا [illegible] وفيه [illegible] كنت [illegible] لما صورت [illegible] على لوح كبير وقدمته له مشفوعاً بخطاب [illegible] وفاقاً: «[illegible] في هذا الخطاب [illegible] الاب ابرهيم [illegible] تبارك [illegible] الآتين من اقاصي الشرق»

[illegible] يوحنا باليولوغ [illegible] هذه [illegible] واذن باقامة مناقشة علنية بين مرقس الافسسي ومطران كورتونا فلم [illegible] مرقس هذه المرة اذ غلب امام الجمهور بقوة [illegible] خصمه [illegible] حتى ان [illegible] من هذا الانقلاب كان على رأي المؤرخ [illegible] سبب موته حزناً [illegible] قبل وفاة الملك يوحنا الا ان

على اقتفاء اثره فزحف السلطان مراد بجيش جرار على الثائرين لاخماد هيجانهم وقهر المتمردين فاغتنم الامراء المسيحيون فرصة غيابه وتفرّق شمل عساكره فتحالفوا على استرداد المدن التي كان قد فتحها

وكان البابا اوجانيوس قد جهز حينئذٍ عمارة قوية من سبعين سفينة وعقد لواءها لابن اخيهِ كردينال فلورنسة فرنسيس كندلميري فجاء بها الى بحر اليونان وارسى في مضيق الدردنيل ليسدّ في وجه السلطان باب الرجوع الى اوربا وكان لادسلاس ملك المجر مسالمًا وقتئذٍ للسلطان مراد فحل عرى السلم وعقد النية على الحرب لسببين اولهما رسالة انتهت اليه من القيصر يوحنا تحضهُ على انتهاز هذه الفرصة الملائمة لانقاذ البلاد ثانيهما خطبة حماسية القاها الكردينال جليان سفير البابا على مسمع من جميع عظماء الأمّة المجرية. فزحف لادسلاس بجيشه على مدينة وارنه واحتلها عنوة ثم عزم على افتتاح ادرنة ثم المسير الى القسطنطينية للمدافعة عنها لكن حال دون قضاء مأربه عدة موانع اخصها ان اسكندر بك لم يستطع ان يصل اليه ليتحد معهُ لان امير الصرب حجر عليه الاجتياز في ارضه ومنها ان السلطان مراد قد تغفل عمارة البابا فعبر مضيق الدردنيل وعاد الى اوربا بكل جيوشه

فلما بلغ ذلك لادسلاس اخذ منهُ الغم كل مأخذ حتى نزل به داء اليم الزمهُ السرير واوقفهُ في وارنه انتجاعًا للشفاء اما السلطان مراد فزحف بخيله ورجله من ادرنة حاضرة مملكته على وارنه فحمي وطيس القتال فتفرّقت عساكره ايادي سبا وكاد يركن الى الفرار لولا ان اثنين من حرّاس رأسه منعاهُ

٤

غير ان لادسلاس اسكرته سورة الظفر فدفعتهُ الحمية الى ان يهجم على السلطان مراد فيقتلهُ بيده فركب جوادًا بمقدمة نخبة من ابطال رجالهِ واخترق الصفوف مشرعًا السنان حتى وصل الى محلّة السلطان وكاد يطعنهُ فكبا جوادهُ فاسرع احد حرّاس

١٠

كثيرين من المؤرخين الحديثين يرتؤون تأجيل موت مرقص الى مبادئ تملُّك قسطنطين باليولوغ. هذا ولما كان يوسف مطران موتون قد اذاع دحض افتراءات مرقص في ايام قسطنطين اثرنا ان نتكلم عن وفاة مرقص في ترجمة هذا الملك العظيم

٦

ولم يكن قسطنطين حين تغيب السلطان مراد عن اوربا الا واليًا لبلاد بلوبونيس على انهُ لم يدع هذه الفرصة تضيع سدًى فجمع رجال حزبه وان قليلين عددًا وشرع يوسع نطاق ولايته بهجومه على اراضي السلطان والاستيلاء عليها فاسعده الحظ بان دخل ولاية بيوتية وفتح حاضرتها مدينة تيب ثم تملك جبل بندوس واثار جميع سكان تلك الضواحي لينقضوا على تسالية واهتم في الوقت نفسه بتقوية بلاده وتحصينها ولاسيما ترميم السور العظيم المقام لاغلاق باب الدخول في بلوبونيس فقد جدد بناءه بحجارة ضخمة متينة متشبكة بعضها ببعض بكلاليب حديدية وكان سمكه خمسة اذرع وكان محصنًا بخمس قلع منفصلة عن بعضها بمسافات متساوية وحفر في سفح جانبه الخارجي خندقًا عميقًا واسعًا يملأ من ماء البحر وكان هذا الخندق يصل بحر ايجي بالبحر اليونيَ فتضحي به ولاية بلوبونيس جزيرة منفصلة عن اليابسة

فلما بلغ السلطان مراد هذه الامور غضب غضبًا شديدًا لما يعرف من شجاعة قسطنطين وشدة بأسه فسار بجيوشه الجرارة تتبعها عجلات كثيرة عليها صفائح نحاسية لعمل المدافع كما يخبر بذلك المؤرخ التركي خوجه افندي فلما اتمّ جميع المعدات الحربية امر الجنود فسدوا الخندق ثم حمل بهم على السور المحصن وجعل يرشقهُ بقنابل المدافع فخرقتهُ بخروق جمة وتهدم جانب كبير من القلاع المتينة ثم هجموا هجمة واحدة فاحتلوا القلاع ودوَّخوا البلاد. وذهب بعض المؤرخين الى ان العثمانيين قد استعملوا المدافع للمرة الاولى في هذه الموقعة الَّا ان ذلك مردود بما جاء عنهم انهم قبل ست وعشرين سنة اي عام ١٤٣٢ قد استخدموا المدافع لضرب القسطنطينية وبلغراد

[illegible] وعقد صلات سياسية متينة

[illegible] في [illegible] تاريخ [illegible] ذكراً جميلاً جليلاً لا ينازعه فيه منازع

[illegible] المسيحية كلها وفتح الشرق

[illegible] وعجز الاهل

[illegible] الكبير . وقد

[illegible] حتى [illegible] قروا انه

[illegible] المسيحيين قد عدت موته

[illegible] في سبيل دينه ووطنه

[illegible]

وحسن تدبيره المملكة واصلح كثيراً من شوائبه لانّ الايام عركته والتجارب والبلايا حنكته فاتخذ الاستقامة منهجاً والعدل سبيلاً لكن حلت بقومه وحلفائه رزايا جديدة أضرمت منهُ الفؤاد حتى علّق عليها بعض المؤرخين قصف حياته بعد مدة يسيرة واعظم هذه الخطوب ما حل بالبطل يوحنا الهوني امير ترنسلفانية الذي انتخبهُ المجر بعد موت الملك لادسلاس كفيلاً لمملكتهم في غضون قصور ملكهم الطفل فان السلطان مراد وولي عهده محمد وكان عمره حينئذٍ تسع عشرة سنة فقط زحفا على المجر بمائة وخمسين الف مقاتل ولم يكن المجريون وقتئذٍ الّا خمسين الفاً فتصافّ الجيشان في سهل قوصوه (في بلاد الصرب) في ١٨ تشرين الاول سنة ١٤٤٨

وحارب المجريون يومئذٍ ببسالةٍ غريبة فلم يسعدهم الحظ بالغلبة بل سقطوا جميعاً محصودين بمنجل المنون في ذلك السهل الواسع ولم يفلت منهم الّا نزرٌ يسير اركن الى الفرار مع يوحنا الهوني

فعدّ السلطان مراد هذه الغلبة اكبر الانتصارات التي حازها فاذاعها بابهة عظيمة في جميع الافاق ولاسيما في القسطنطينية .

٨

وعاش الملك يوحنا بعد هذه الموقعة المهولة سنة واحدة قضاها حزيناً كئيباً وفي آخرها توفاه الله بداء النقرس في ٣١ تشرين الاول عام ١٤٤٩ فكانت مدة ملكه بعد موت ابيهِ ثلثاً وعشرين سنة وثلثة اشهر ومن حين توّجه ابوه وجعله شريكاً له في الملك في حياته ثلاثين عاماً

مات يوحنا باليولوغ عن غير عقب ذكر عن ٥٨ عاماً قضى اغلبها في المحاماة عن وطنه والمحافظة على شرف امته . أجلْ لم يشتهر في الحروب اشتهار شقيقه قسطنطين الذي بذل نفسه عن شعبه حتى اراق آخر نقطة من دمه في حصار القسطنطينيــة اما يوحنا فلم يفقد بهذا القصور شيئاً من مجده الذي حازه بحسن ادارته ودراية تصرفه

[illegible] لأنه عرف انك
[illegible] تقبل قسيمك
[illegible] لأخذوك
[illegible] سوف قد شكر
[illegible] حفظت
[illegible] قواك

[illegible] جهاك

[illegible] كم في
[illegible] نبذل
[illegible] جميع لاخير
[illegible] لساحات
[illegible] قسطنطينية
[illegible] رسولي
[illegible] في سبل
[illegible]

[illegible] عشرة
[illegible]
[illegible]

٣

[illegible] الدولة العثمانية
[illegible] ١٤٥١
[illegible]

لكثرة النوائب التي عركته والحروب والشدائد التي حنكته فطردوا اصحاب ديمتريوس وأجمعت آراؤهم قبل مجيء قسطنطين الى الحاضرة ان يوفدوا الى السلطان مراد رسولاً يخبره بانتخاب الشعب قسطنطين . كما الروم خشية ان يلتجيء ديمتريوس الى السلطان ويستجيره على اخيهِ كما صنع في ايام الملك يوحنا فارسلوا فرنتزيس المؤرخ الشهير فلما وفد على السلطان اكرم مثواه واستصوب هذا الانتخاب وحمَّلهُ هدايا ثمينة

فلما تمت جميع المعدات اللازمة بعث ارباب مجالس الاعيان بوفدٍ كبير الى لقدمونية مقام قسطنطين حاملين اليهِ شعار السلطنة فقابلهم في مدينة لقدمونية في سادس كانون الثاني عام ١٤٥٠ لكنه لم يذهب الى القسطنطينية الَّا في شهر آذار من السنة نفسها وروى المؤرخون ان استقبالهُ كان بابهة نادرة واحتفل بتتويجهِ قيصرًا احتفالاً لم يشهد لهُ مثال

٢

وفي هذه الغضون وردت الى الملك قسطنطين رسالة تهنئة من البابا نقولاوس الخامس فيها يحرضه ان يواظب على حفظ الغيرة عينها التي ابداها حتى ذلك الحين باجتهاد وامانة استحق بهما امتداح سلفهِ البابا اوجانيوس الرابع الذي كان قد بعث اليه برسالة طافحة ثناء وحبا ابويًا وهاك لمعة منها :

« اوجانيوس الاسقف عبد عبيد الله الى العزيز قسطنطين باليولوغ امير سبرتة السلام والبركة الرسولية

« قد بلغنا تشوقك العظيم وحرارة تقواك اكرامًا لله وغيرتك الشهيرة على الايمان الكاثوليكي تلك الاوصاف الحميدة التي تحملك على تعميم الاتحاد المقدس بين الكنيسة الشرقية والغربية في القسطنطينية وسائر بلاد الروم وقد انتشر هذا الاتحاد رسميًا بفرح عظيم وباتفاق متبادل . وهذا قد علمناه من اخينا كريستوف مطران

السنة الخامسة والسبعين من عمره لكن الارجح انه قبض عن ٤٩ عاماً فقط

كان السلطان مراد محبوباً من عموم رعيتـهِ حتى النصارى انفسهم لانهُ كان مزداناً بفضائل طبيعية جمة كالشهامة والعـدل والحلم وقد احرز مجداً عظيماً وحاز انتصارات جمة الا أنه حاصر القسطنطينية فارتدَّ عنها وحمل على المدينة الخطيرة كروي التي كانت في يد اسكندر بك فلم يفتحها وحينئـذٍ قال « ان كان الله مضاداً فلا تعمل الخليقة »

توفي السلطان مراد وترك عرش السلطنة لابنهِ محمد الذي خلفـهُ ولم يكن عمره سوى ٢٢ سنة وكان حين وفاة والدهِ في مغنيسيا فلم يُعلم احداً بشيء بل هب الى جوادٍ عربي كريم فامتطـاه وقال « من كان لي صاحباً فليلحق بي راكباً » ثم جرى ينهب الارض بسرعةٍ فوصل الى الدردنيل (غاليبولي) بعد يومين والمسافة بين مغنيسيا وغاليبولي تبلغ مائة وعشرين فرسخاً فاعلن حينئذٍ موت ابيـهِ وسافر حالاً الى ادرنه فلما بلغها امر فأُقيم لوالده مأتم غاية في الابهـة ونقلت جثتهُ الى بروسه (في اقليم بتنية) حيث مدفن سلاطـين آل عثمان ثم وفد عليه سفراء كثيرون من الامم المجاورة ليعزوه بوفاة والده ويهنئوه بخلافتهِ لهُ فاحسن وفادة الجميع وقبلهم برقة وبشاشة وانعطف خصوصاً الى سفراء الروم الآتين من قبل قسطنطين فبالغ في اكرامهم وقال لهم « انه مستعد ليجدد مع قسطنطين عهود الولاء التي عقدها والده السلطـان مراد مع الملك يوحنا . وحلف بالله والرسول والملائكة والقرآن انه لن ينكث البتة بهذه المواعيد التي تعهد بها للروم » ولم يتردد اجابةً لطلب وفد الروم في تعيين راتب وافر لاحد الامراء العثمانيين اورخان شلبي الذي كان نزيل القسطنطينية وهو احد اعقاب السلطان بايزيد الاول

وبعد انصراف سفراء الملك قسطنطين استقبل محمد وفود سائر ولايات الروم المبعوثين من قبل ولاة الجزائر الصغـيرة والاقاليم التي بامرة توما ودمتريوس اخوي

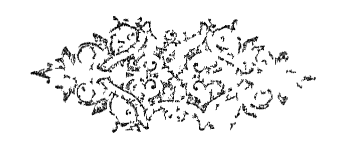
الفصل الثاني

١

مهما دام وفد الروم الى ارمينيا احسن ملكها وفادتهم واجزل اكرامهم ورغب جدًّا بتقربهِ من سلطانهم قسطنطين وقال لفرنتزيس « ان عادة الارمن ان يؤدي الرجال مهر العروس » ملمحًا الى انه لا يؤدي مهر ابنتهِ كما يفعل الروم . على انهُ لما كان راغبًا في عقد هذا الزواج وعد باعطائهِ اياها عند رحيلها على سبيل الهدية ستة وخمسين الف ذهب . وتعهد ايضا بان يبعث لها في كل سنة بثلثة آلاف ذهب تصرفها كيف شاءت وسمح لها بان تأخذ معها جميع الحلى والجواهر والحجارة الكريمـة التي كانت تتحلى بها في بيتهِ مع اثوابها الفاخرة . ووعد فرنتزيس انه عند رجوعهِ من القسطنطينية الى ارمينيا لزفاف ابنتهِ يخلع عليه ثلث حلل من الحرير الثمين تقدّر كل منها بخمسمائة ذهب . ولا يخفى ان حرير بلاد الكرج في تلك الايام كان يفضـل حرير الدنيا باسرها

فلما عاد فرنتزيس الى القسطنطينية ارسل الملك جرج معـهُ سفيرًا الى الملك قسطنطين حاملًا اليهِ صك عقد الزواج ليصادق عليهِ ويختمهُ بختمهِ فلما قرأ قسطنطين الصك رضي بكل ما فيهِ وذيلهُ برسم تلثة صلبان دلالة على قبولهِ

الّا ان هذا العقد الذي قُبل من الطرفين لم يتيسر اتمامهُ فعلًا ولم يؤتَ بالفتاة الى خطيبها بل لم تخرج من حجلتها في قصر ابيها لان الحرب انتشبت بعد قليل بين العثمانيين والروم وجلمت بعد سنتين موت قسطنطين وانقراض سلطنة الروم



وفي هذه الغضون مات مرقص مطران افسس الذي كان إمام المضادين الاتحاد وقد سبقت الاشارة الى تضارب آراء المؤرخين في حقيقة سنة وفاته اذ لم يوقف لها على نص صريح في كتبهم اما كيفيــة موته فمعروفة مشهورة وقد كتبها معاصره المطران يوسف اسقف موتون الذي قابلهــا بضدها اي ميتة البطريرك القسطنطيني يوسف الصالحة وهاك ترجمة نص هذا المؤرخ عن اليونانية :

« ان البطريرك يوسف كان يشتهي اتحاد الكنيسة المقدس لا خوفــاً من التهديدات ولا حرصاً على المجد والكرامة ولا رغبــة في الرجوع سريعاً الى القسطنطينية لكن لتنظر عيناه ما اشتهى كثيرون من البطاركة ان يروه ولم يروا فقرّت عينه بمشاهدة سلام الكنيسة واتحاد اعضاء جسم الرب معــاً فابتهجت بذلك نفسهُ ووقع بتقوى الله اتحـــاد الكنيسة معترفاً بانبثاق الروح القدس من الآب والابن وبطهر النفوس وبأن اسقف رومية هو رأس الكنيسة وبعد اذ فعل هذا جثا على قدميهِ وتلا صلواتهِ ورفع يديهِ نحو السماء وشكر الله وهكذا اسلم نفسهُ البارّة

« امــا انت (يا مرقص) الذي يشتم البطريرك يوسف وكل اكليروس الروم الذين كانوا معهُ (في فلورنسة) فلم تنل آخرة مثلهُ بل بالعكس قد تقيأت من فمك برازك حين فاضت روحك والحاضرة باسرها على ذلك شاهدة . فهكذا يعرف العدل الالهي كيف يعامل كلاً بحسب عملهِ وايمانهِ . فكما عوقب اريوس سابقاً بان دفع احشاءه من الاسفل هكذا انت قذفت برازك من فيك »

ويحسن بنا هنا ان نورد شيئاً مما كتبهُ هذا المؤرخ اي المطران يوسف اسقف موتون الرومي عن احوال الدين والكنيسة في تلك الايام الاخيرة قال :

« ان مرقص الافسسي بعــد ان رجع من المجمع عوضاً عن ان يهتم بالبحث والتنقيب ومطالعة كتب الآباء القديسين كما ادّعى لبناء السذّج والبسطاء لم يتشاغل الا بنسج اوهام باطلة وابرام دسائس مضرّة ليصد المؤمنين عن الكنيسة و يجذبهم الى

الكهنوت من الكنيسة جميعهم واحتفل بحفلة عظيمة بقداس الالهي حيث دعي
وذُكر البابا الحبر الروماني في نفس الكنيسة الجامعة ثم البطريرك القسطنطيني جرجس
المعين خليفة للبطريرك غريغوريوس وكتب الكردينال صك عهد الاتحاد المقدس فهذا هو العمل
العظيم الذي تم في القسطنطينية قبل ان تسعر نيران الحروب التي جرت عليه وعلى المملكة
بالسلطنة حول [illegible]

٣

ومن العجب ان بعض المؤرخين الغربيين يشيرون الى ان الروم في هذه
المدة نفسها قد انشقوا عن الكنيسة واضرموا ثورة شعبية ضد الاتحاد على انا نرى
هؤلاء المؤرخين في غلط مبين لانهم عوضاً عن ان يتخذوا الملك قسطنطين واكابر
الامة ورؤساءها مثالاً يقيسون عليهم حال سائر الامة قد نسبوا للامة كلها فعل بعض
السفلة الطغام الذين ثاروا في المدينة بدلاً كعوائدهم في سائر البلاد واليك الخبر
مفصلاً:

كان في احد اديرة القسطنطينية راهب مسموع الكلمة عند الشعب اسمه جناديوس
فذهب اليه قوم وسألوه عن رأيه في العمل العظيم الذي جرى لقسطنطين لتوطيد
الاتحاد ونشر اعمال مجمع فلورنسة المقدس فلم ينبس جناديوس ببنت شفة بهذا الشأن
بل اسفر عن التبرم والتقطيب وجهه ولم يبد رأيه لاحد ولا للرهبان الذين في ديره بل
كتب رقعة صوّب فيها سهام الطعن واللوم على عمل الاتحاد وعلقها على باب الدير
ورجع فاختلى في قلايته

وكتب هذه الرقعة على نمط النبوة ونسق الكتاب المقدس متوعداً ابناء وطنه
الروم لانهم تأولوا ... هم على الصفات البشرية الالهية وقد اقصوهم من الرب القادر
على كل شيء . وانهم تركوا تقليدات آبائهم متخذين ... وهم لا يعلمون مشورة ... تركوا

بما نشره اسقف موتون هذا وبما كتبهُ ايضاً بطريرك القسطنطينية غريغوريوس البروتوسنجلس الذي خلف البطريرك مطروفانس

٢

فيظهر من ثم ان لا صحة لما عزاه بعض المؤرخين اللاتين والروم من الاهمية الزائدة لمرقص مطران افسس بقولهم انهُ من بعد رجوعه من المجمع الفلورنسي قد نقض عهد الاتحاد وجذب الروم الى الشقاق. ويرد ذلك بما راينا من ان مرقص بعد ان طعن على المجمع وكتب ضده لم يلبث ان مات بُعيد وفاة الملك يوحنا بل ذهب البعض كما اشرنا انفاً الى انهُ مات قبلهُ فغاية ما امكن ان تصل اليهِ فتنتهُ ازعاج الافكار وبلبلة الضمائر موقتاً ليس الّا. دون ان يحصل على نتيجة رغبتـه في رد الناس الى الشقاق فان الرواة الثقات ينبئونا بان اشرف رجال الروم واغزرهم علماً وافضلهم سيرة قد استنفدوا الوسع في توثيق عرى الاتحاد واجراء اوامر المجمع المقدس ودافعوا بشهامة ضد خصومهم باللسان والقلم كالبطريرك مطروفانس بسلوكهِ وتعاليمهِ والمطران يوسف اسقف موتون والبطريرك القسطنطيني غريغوريوس البروتوسنجلس (الذي حضر المجمع) بتآليفهما المشهورة وهؤلاء الفضلاء نشطوا الملك قسطنطين ليسأل البابا نقولاوس الخامس ان يرسل الى القسطنطينية رجالاً علماء واتقياء يشتغلون في قطع دابر الشقاق وتوطيد الاتحاد والوفاق فاوفد البابا الكردينال اليوناني ايسدورس مطران كياف الى القسطنطينية وطنهِ حيث اشتهر منذ صبوتهِ باعمالهِ التقوية الجليلة ايَّام خدمتهِ الكهنوتية وبحميد مزاياه وسمو عقلهِ وسعة معارفهِ ولا سيما تضلعهِ من العلوم اللاهوتية

فبلغ الكردينال ايسيدورس الى القسطنطينية في شهر تشرين الاول سنة ١٤٥٢ فرحب بهِ الملك واكرم مثواه وبعد عقد عدة محافل لاهوتية حضرها كثيرون من مشاهير العلماء ضرب الملك موعداً لاشهار الاتحاد العام احتفالياً في الكنيسة الكبرى فلما كان اليوم المعهود ذهب الى القسطنطينية محفوفاً برجال الدولة واعيان المدينـة وكبراء آل

الباب الثالث

[illegible]

١

[illegible]

[illegible]

ينبوع الماء الحي واحتفروا لنفوسهم آبارًا مشققة وما شاكل ذلك من العبارات المزخرفة المنتحلة من اقوال الانبياء

فلدن قراءة هذه الرقعة جاشت في قلوب الجهلة والسذّج شعائر الشقاق واضرمت فيهم نار الفتنة وخرجوا من الدير يطوفون في الشوارع ويقذفون المطاعن على المجمع والاتحاد وبعد تجولهم في اكثر احياء الحاضرة دخلوا نوادي المسكرات وشربوا على ذكر البتول وكان بعضهم يستغيث بها لتنجي المدينة من محمد والبابا وفي هذه الاونة قيلت تلك العبارة المشهورة التي تناقلها المؤرخون وهي انهم يؤثرون صورة الهلال على صورة تاج البابا فلا ريب في ان هذه العبارة قد قيلت حقيقة ولكن قد غلط المؤرخون في نسبتها الى شعب الروم عمومًا فهي ليست على الصحيح الا قول اهل الثورة الذين من رعاع الشعب وسفلتهم وبرهان ذلك واضحٌ جليًّا من ان هذه الثورة انما طرأت ضدًّا لرغائب الملك واكابر الشعب وعظماء المدينة في حين كانوا عاقدين ذلك الاحتفال الباهر في الكنيسة الكبرى لتأييد الاتحاد بين كنيستي الغرب والشرق فيكون عمل غوغاء الشعب واهل الثورة حقيرًا لا عبرة فيه



[illegible] منهم [illegible] حيث [illegible] مراقبتهم جميع مراكب القسطنطينية وحبس من كان

فيها من [illegible] بعض [illegible] خصوصية وكان بينهم بعض الشبان

[illegible] في [illegible] ولا قتلوا نفوسهم

[illegible] ثلاثة ايام

وهكذا [illegible] يستطاع

وروى [illegible] حينئذٍ خمسة الاف

وتحت [illegible] وقد [illegible] في اليوم مع صاحبيه

ذراعين كاملين

٣

وكانت هذه القلعة الشاهقة مثلثة الزوايا وعند كل زاوية برج حصين فكان من جانب البحر برجان ومن جانب البر برج واحد وكانت جدرانها متينة سمك كلٍ منها ٣٢ قدماً اما جدران سائر القلعة فكان سمكها ٢٥ قدماً . وكان ظاهر القلعة كلها مغشىً بصفائح سميكة من الرصاص لصدم قنابل المدافع بحيث كان السلطان يستعمل منذ اربعمائة سنة ونيف ما يفعله المتأخرون بدعة حديثة من تصفيح المراكب الحربية وتسريع الحديثون فانه بتصفيح قلعته بهذه الصفائح جعلها شبيهة بالبوارج المدرعات اختراعات في ايامنا هذه

وقد انتهى بناء هذه القلعة في شهر آب عام ١٤٥٢ اي بعد اربعة اشهر كاملة فاقام فيها السلطان حاميةً من اربعمائة جندي وولى عليهم مقدماً اسمه فيروس آغا وأمره بان يجبر جميع المراكب الجارية في البحر الاسود ومنه ان تلقي مراسيها في اسفل القلعة وتخيم بخفض رايتها وتدفع ضريبة معلومة قد عيّن هو نفسه مقدارها . ورغبةً في اجراء هذه الرسوم وضع على البرج الذي من جانب البحر مدافع نحاسيــة ضخمة في كل جهاته

٢

لكن ما عتَّم ان وفد على السلطان رسل قسطنطين ينكرون عليهِ هذا العمل وقالوا له ان بناءهُ قلعة قريبةً جدًّا الى القسطنطينية مما يُخلُّ بالعهود السلمية ويُخشى منهُ إثارة حرب جديدة فرحَّب السلطان اولاً بالرسل وكلمهم ببشاشة وقال : من العجب ان ليس لي حتى الان موقعٌ حصين يصل اوربا بآسيا. وان بناء هذه القلعة ليس من شأنهِ ان يكدّر قسطنطين بل بالعكس يجب ان يفرحهُ لاني باقترابي من القسطنطينية استطيع ان اغيثهُ واعينهُ على قرصان البحر من اهل رودس واسبانيا والبندقية الذين يغيرون على متاجر الروم ومتاجرنا . فلم تنل هذه الاعتذارات قبولاً في عيون سفراء قسطنطين فطلبوا منهُ ان يكفَّ عن البناء بل ان يهدم ما بُني من القلعة فتميَّز السلطان من الغيظ ونظر اليهم شزرًا وقال « أليس لكلٍّ ان يبني في ارضهِ ما شاء وهل في الارض احدٌ اقوى واعظم مني يمنعني عن هذا الحق » ثمَّ أمرهم ان يخرجوا من وجههِ وينذروا الملك قسطنطين بانهُ ان ارسل سفراء آخرين ذبحهم لا محالة

فلما بلغ قسطنطين هذا الجواب اغتاظ غيظًا شديدًا وعزم ان يجمع عساكره ويهجم بهم على السلطان ورجالهِ . الّا ان كبراء الدولة اشاروا عليهِ بان لا يغضب السلطان ويقتحم هذا الخطر فرضخ قسطنطين لهذا الرأي واستمسك باللطف والمجاملة وتراءى انهُ صدَّق اقوال السلطان وغاياتهِ السلميَّة الظاهرة خوفًا من ان ينقضَّ وعمَّالهُ على الحقول فينهبوها ويحرقوها ويقتلوا اهلها ولذلك ارسل لجنوده وعملتهِ اسعافات مادّية وللسلطان نفسهِ مشروبات مرطبة ثم بعث اليهِ يطلب منهُ ان يحمي زروع وغلال الزرَّاع الروم الذين في الحقول المجاورة

فتظاهر السلطان بالخلاف لانهُ ارسل عساكره الى الحقول وامرهم ان يرعوا خيلهم وبغالهم في الزروع وان يقتلوا من يمنعهم عنها من الروم وبينما كان قسطنطين في قصره رأى سكان الحقول تائهين خارج بيوتهم وقد تأثرهم العثمانيون ليقتلوهم وتمكنوا من ذبح

وروى المؤرخ ويترس ان قطر هذا الثقب كان ثلاث اقدام ومحيطه تسع
[illegible] المدفع [illegible] حتى تميزه السلطاني وما
[illegible] لا يستطيعوا
[illegible] كان وزنها ١٢٠٠
[illegible] في حصار القسطنطينية
وروى بعض المؤرخين [illegible] ١٢٠٠ [illegible] من الاسود لصاب
[illegible] من [illegible] الاسود

ومن [illegible] السلطان غريب امر يجب غيره [illegible] وذهب في قلعة [illegible] (روملي حصار) واخذ يصل الليل بالنهار صحبة كثيرين من المهندسين الحربيين ليقف على اقرب الحيل واقوى الوسائل التي تمكنه من اخذ القسطنطينية. وكثيراً ما كان يبتكر هذه الذرائع ويعرضها على المهندسين حتى يتثبتوا من حذاقته وصابة بصيرته فقد رسم صورة القسطنطينية . واخذ يبحث عن انجع الذرائع وبين الجهات التي يتيسر فتحها فعين المحل الموافق لوضع المدافع والمكان المناسب من الاسوار لخرقه وهدمه بكامل المدافع والجهات التي يحسن حفرها وملؤها باروداً تحت الاسوار لتدميره ثم كان تارة يمرن الجنود في ساحة تبنى على مرأى منه وطوراً يمتحن كل المدافع التي صبت حديثاً . وحينئذ اهتم بنقل المدفع السلطاني الاكبر الذي عوني في جره مشقة باهظة. واختلف المؤرخون في عدد الثيران التي استخدمت لجره فقال بعضهم اقتضى تحريكه خمسون زوجاً منها وبعضهم ستون زوجاً وذهب آخرون الى انه لزم لجره مائة وخمسون زوجاً من الثيران . وكان يحرس هذا المدفع سائراً معه الف رجل منهم مائتان سبقوه لتمهيد الطريق ومائة وخمسون نجاراً رافقوه لاصلاح آلات الجر وبناء الجسور وما شاكل ذلك وعدد كبير منهم مشوا من عن جانبيه ليبقوه متوازن الثقل بشادّه بالحبال من الجانبين

واول مركب مرّ ولم يشأ ان يخضع لهذه الرسوم كان مركباً بندقياً اسم ربه رتسي فلما وصل الى اسفل القلعة جرى في البحر سريعاً الاان مدفعاً رشقه بكلة تقيل ستمائة ليبرة ففرقته اما ربانه فنجا من الغرق هو وثلثون من اصحابه راكبين زورقاً صغيراً لكن لما بلغوا الى اليابسة قبض عليهم العثمانيون وارسلوهم الى السلطان الذي كان حينئذٍ في مدينة ديديموتيك فأمر بهم فعلّق ربانهم رتسي على العود (الخازوق) وقطع رؤوس الباقين وحتم بان تبقى جثثهم بلا دفن لتكون مأكلاً لطير السماء . كما أخبر المؤرخ اليوناني دوكا الشهير الذي كان يومئذٍ في بلاط السلطان رسولاً موفداً من ملك لسبوس

وفي هذه الغضون كان رجال السلطان يخرجون الى الحقول ويغزونها سالبين ما وقع لهم من الاموال والناس حتى يصلوا الى اسوار القسطنطينية . فارسل قسطنطين يشكو الامر الى السلطان فاجاب بانه لم يكن ليرضى عن مثل هذه التعديات ولهذا أمر فأرجع المسبيّ كله الى اصحابه وقصد بذلك تسكين الخواطر وابقاء الراحة مستتبّةً في البلاد ريثما ينجز معداته ليحمل مرةً واحدة على القسطنطينية

٤

وبلغ السلطان ان في القسطنطينية رجلاً مجريًّا اسمه أربين كان يتعاطى صب المدافع وهو ماهرٌ في حرفته هذه بل فريد عصره فيها لم يسبقه فيها احدٌ من قبل ولم يجاره فيها مجارٍ في ايامه وكان يعمل عند قسطنطين الملك لكنه لم يكن يدفع له اجرةً وافية فجاء الى السلطان وبذل نفسهُ في سبيل خدمته فرحّب به واكرم مثواهُ واقترح عليه امتحانًا لمهارته ان يصبَّ له مدفعًا لم يصبَّ اكبر منهُ حتى ذلك اليوم . فقال له اجري ساصنع لك آلات مدفعٍ جديدة تكون قادرة ان تدفع حجرًا ضخمًا ان اصاب اسوار القسطنطينية جعلها هباءً منثورًا . ثم خرج من عنده وشرع في العمل واستمر ثلثة اشهر لعمل القالب لصب نحاس المدفع

الفصل الرابع

فتح السلطان محمد الثاني [illegible] القسطنطينية

[illegible] سلطان محمد ووحدانه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] سقط من الدار [illegible]

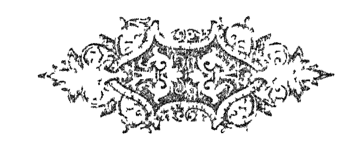
١

[illegible] دخول جيش عثمانية عاصمة الروم رسل قسطنطين يستنجد بالدول الغربية لكن لا جدوى وكان يتّفق على ملك فرنسا كرلس السابع لأنّ كثيرة من [illegible] من ملوك الفرنسيس قد رسلوا في أيام آبائه قوّاد مسيحيين وأبطالاً ذوي بأس ليدافعوا عن القسطنطينية منهم يعقوب دي لامرش حفيد القديس لويس الملك الذي [illegible] في القسطنطينية مشهوراً [illegible] بونيفس دي كستلن في عهد الملك اندرونيكس [illegible] نحو سنة [illegible] وفي أيامه كانت محاصرة من العثمانيين تحت إمارة ارخان فنصر [illegible] المحاصرين وأكرههم على رفع الحصار عن المدينة ثم بعد ثماني سنة وفد المرشال بوسيكو بصحبة ألوف من الفرسان المتطوعة وزحف بهم على السلطان بايزيد الذي كان قد حاصر القسطنطينية وكاد يفتحها فردّوه عنها وخلصوا المدينة . وكان في [illegible] قسطنطين بعض الشيوخ الذين شهدوا [illegible] هذه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] منهم [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] الذي [illegible] [illegible] اليه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الكتائب العسكرية في مملكة الروم

وقد ذكرنا في [illegible] الأول من هذا الكتاب ان [illegible] [illegible] أبا [illegible] وقسطنطين ذهب مع بوسيكو الى الملك كرلس السادس ملك فرنسا وقوي [illegible] [illegible] ولاكرام كان ملك [illegible] الى القسطنطينية [illegible] فرنسا [illegible]

٥

وبعد ان هيأ السلطان المعدات والتجهيزات اللازمة للحرب اجتهد في ان يقطع عن القسطنطينية كل امدادٍ يأتيها من الخارج ولا سيما من قبل شقيقي قسطنطين الاميرين ديمتريوس وتوما. فسيَّر ضدهما طرخان سنجق والي تسالية ومكدونية فاجتاح مع ولديهِ احمد وعمر شبه جزيرة المورة التي كانت باقيةً بيد الروم وعبر السور الذي كان على جرف الخراب وجعل يدمّر كل ما صادف في سبيلهِ مبتدئاً من اقليم اركادية وقد نابتهُ في المواقع بعض الخسائر وانكسر مرارًا بازاء جنود الاميرين حتى ان احمد ابنهُ البكر وقع اسيرًا في يد الروم وأُرسل مقيدًا الى سبرته الا انهُ لم يرتدَّ مع رجاله عن الحرب والتدمير ولو تحملوا اكبر الخسائر قياماً برغائب السلطان الذي لم ينو حينئذٍ فتح تلك البلاد بل رام إلهاء الاميرين بهذه المناوشات كيلا يتمكنا من إمداد اخيهما قسطنطين حين حصار الحاضرة



[illegible] وقد اختلفت [illegible] المؤرخين المعاصرين في عدد الجيوش العثمانية [illegible] ٢٥٠ [illegible] وقال آخرون ثلاثمائة الف وروى [illegible]

[illegible] عظمته [illegible] قبضة [illegible] وجعله [illegible] كله من [illegible] في [illegible] برؤية لا [illegible]

وكان السلطان محمد [illegible] في [illegible] وقد [illegible] مائة من الدراويش [illegible] السور [illegible] يتقدمهم [illegible] الشيخ [illegible] الدين الذي كان يحض الجنود على [illegible] القسطنطينية [illegible] بينهم [illegible] على [illegible] والقسطنطينية [illegible] ولا [illegible] السلطان في [illegible] ووصل [illegible] في [illegible] ١٤٥٣ [illegible] يضرب [illegible] كاليدريا [illegible] جنود حول السور [illegible] كنيسة [illegible] الى باب [illegible] على مسافة فرسخين

٣

ولا ريب في [illegible] القسطنطينية في [illegible] السنة [illegible] حدوث خوارق [illegible] ان [illegible] فهذه الأخبار [illegible] المؤرخون المعاصرون فتقول :

كان سور القسطنطينية في [illegible] على شكل مثلث [illegible] داخلان في البحر [illegible] الثالث وهو غربي من جهة [illegible] زاوية [illegible]

المصائب ونزلت بها النكبات والنوائب كما هو مشهور في تاريخها لان الملك كرلس السادس لما دخل على عقلهِ اختلال ولم يستطع القبض على زمام الملك اغتنمت الفرصة امرأتهُ ايزابلاَّ الالمانية المحتد وباعت مملكة فرنسا للانكليز بخيانةٍ فظيعة حتى ان كرلس السابع لما جلس على تخت المملكة لم يكن في ملكهِ الا مدينة او مدينتان فقط فاخذ يفتح سائر مملكتهِ بلدًا بلدًا بالحرب بمساعدة تلك الفتاة الفاضلة حنة دَرك الملقبة بعذراء أرليان الشهيرة

فلما وقعت القسطنطينية في مضايقها الاخيرة لم يكن كرلس السابع ليقوى على ارسال نجدة تخلصها لارتباكهِ في تدبير شؤون مملكته الداخلية بعد طرد الانكليز منها ولهذا لم يكن من الفرنسيس في الدفاع الاخير عن القسطنطينية الا عدد يسير من الفرسان انتظموا بين متطوعي العساكر البابوية

وكان جالسًا حينئذٍ على عرش بطرس البابا نقولاوس الخامس الذي كان من اشد المحامين عن الروم واعظم المساعدين على تخليصهم من الاعداء فجهز في مدينة انكونة التي تحت ولايتهِ عدة مراكب حربية وارسل الى دوق البندقية ودوق جنوا يحثهما على التسالم والاتفاق بينهما والاتحاد مع سفنهِ للمسير جميعًا الى مياه القسطنطينية والدفاع عنها انقاذًا للروم

وسنأتي على ذكر ما اتتهُ هذه النجدة البابوية متحدة مع البنادقة والجنويين وكيف اقتحمت الاخطار ودخلت مضيق القسطنطينية وهالت العثمانيين بشجاعتها الغريبة ومحاماتها عن الروم

٢

في اوائل شباط عام ١٢٥٣ زحف السلطان محمد بجميع جيشهِ برًّا حتى عسكر تجاه القسطنطينية وكان قد ارسل احد قواده المسمى كرازي باشا فنهب القرى والدساكر التي حول الحاضرة واحتل جميع ارباضها حتى اصبحت المدينة خاليةً من كل امداد

[illegible] انقراض سلطنة الروم [illegible] فيها كتب انه يجب ان [illegible] لان [illegible]

وقد [illegible] مضطرب قلوب [illegible] عظيمة التي [illegible] في [illegible] شعب [illegible]

٤

وبعد ان وصل السلطان وعسكر حول المدينة اضحت القسطنطينية محصورة من كل الجهات برية وبحرية فكانت سفن العثمانيين عمارات منتشرة في كل بحر مرمرا اما من جهة البر فكانت جنود السلطان محدقة بالمدينة على مسافة ستة آلاف قدم . فعسكرت الجيوش الوافدة من آسيا من الجانب الايمن حتى باب الذهب وبحر مرمرا اما الجيوش الاوربية فعسكرت من الجانب الايسر حتى باب فلاشرنس والمرفإ الداخلي (قرن الذهب) . ثم ارسل السلطان محمد زغنوس باشا احد ذوي قرباه الى البلاد التي في شمالي قرن الذهب لمراقبة الجنويين المتسلطين على غلطه منذ امد مديد ومنعهم عن نجدة الروم

فاصبحت المدينة مضيقاً عليها من كل الجهات الا من جانب (قرن الذهب) لان الاهلين لما احسوا بقدوم السفن العثمانية نصبوا زنجيراً حديدياً غليظاً فمنعوا كل مركب قريب من الدخول وكان طرفه في قلعة اكروبوليس في القسطنطينية وطرفه الآخر في احد ابراج غلطة المسمى فروبيدون . وكان هذا الزنجير مستنداً على عوارض خشبية ضخمة مركوزة في عمق البحر وكان من ورائه من جانب الداخل عدة مراكب

جانب الشمال فهي داخلة في مياه قرن الذهب وهو خليج يفصل القسطنطينية عن غلطة احد ارباضها وهذا الخليج يعدُّ من اجمل وآمن مرافئ الدنيا اما الزاوية التي من الشرق فمتوغلة في بحر مرمرا وكانوا يدعون هذا المرفأ بالخارجي مقابلةً لمرفإ قرن الذهب الداخلي . وكان السور من جهة البحر ذا جدارٍ واحد . اما من جهة اليابسة فكان ذ جدارين الخارج اقل ارتفاعًا من الداخل وكان حول الحائط الخارجي خندق واسع عمقًا وعرضًا مبني بالحجارة الصلبة وكان على طول الجدارين بين مسافة ومسافةٍ برج شاهق وعلى كل من الابواب قلعة حصينة وكان على رأس كل زاوية من السور برج عظيم اكبر من القلعة . واقوى واعظم واهم هذه الابراج كان برج اكروبوليس المبني على الزاوية الشرقية المعروفة بالقديس ديمتريوس واسمها اليوم رأس السراي ثم البرج المبني على رأس الزاوية التي بين المرفإ واليابسة واسمهُ الآن قلعة الخمسة الابراج ثم المبني على الزاوية الثالثة التي من جهة اليابسة وكان اسمهُ قلعة سيكلوبيون وفي محلّهِ يرى اليوم قلعة السبعة الابراج التي بناها السلطان محمد الفاتح . وقد اجمع اكثر المؤرخين على ان محيط سور القسطنطينية يومئذٍ كان اربعة فراسخ

هذه هي هيئة القسطنطينية قبل الحصار الا ان تحصيناتها لم تكن مجهزة كالواجب لان اثنين من الموكول اليهم تحصين الاستحكامات واصلاح ما فيها من الخلل كانا قد هربا ناهبين اموالاً جزيلة ولم يصلحا شيئًا ولكن لما دنا الخطر اهتم ارباب الامر بتجهيز الحصون وتعزيز الاستحكامات وترميم الخراب وكان اشد الناس اشتغالاً باصلاح هذه الشؤون الكردينال ايسيدورس اليوناني سفير البابا الذي بذل جهده في المحاماة عن وطنهِ وأصلح من نفقتهِ الخاصة ابراج انياس حيث سُجن يوحنا باليولوغ الاول أسيرًا وقد استفرغ همته في تشجيع الشعب وحضهم على الدفاع لان قلوبهم كانت قد انخلعت خوفًا وقد اخذ منهم الهلع كل مأخذ لاشاعة بعض نبوءات كاذبة بعضها كان ينذر بسقوط القسطنطينية مهما بُذل من الوسائل لتخليصها . وبعضها كان

مدة شرعوا وسدوا ما دفع المدفع شديد حتى آخر يوم من الحصار . وقد اشتهر
ايضاً في هذه الحرب الامير رخان التركي الذي كان نزيل القسطنطينية فقد حارب
بحماسة غريبة مع جنود الروم

٦

ولم يضرم السلطان نار الحرب الا بعد وصول جيوشه كلها باجمعها وكان يدربهم
تدريباً غاية في الدقة وانشأ حصوناً بين عدة متاريس يلوذون بها عند تلافي
ضرب الروم ونصب ١٤ صفاً من المدافع تضرب المدينة من كل الانحاء المختلفة
وكان بينها المدفع السلطاني الذي كان يديره صاحبه اوربان المجري وقد نُصب بازاء باب
كاليغاريا (اي باب عملة الاحذية) ووقع بالمدينة ضرراً جسيماً بخفة قنابل الثقيلة التي
كان يرشقها على السور وكان السلطان محمد وجيشه يؤملون الدخول الى القسطنطينية
بهذه الوسيلة ومن هذا الباب نفسه الذي امر السلطان بان تحفر تحته اسراب (لغوم)
لوضع البارود فيها والهدم ودك السور فلم يلتفت الروم بادئ ذي بدء الى هذه
الحفرة لانهم كانوا موقنين بان الاساس مبني على صخر صلد في منتهى الصلابة . لكن
احد المهندسين الالمان انتبه الى هذا الخطر العظيم وشرع يحفر من داخل السور تحت
ذلك الباب حفرةً بازاء حفرة العثمانيين وبعد تعب عنيف وصل الى محفر العثمانيين
واكرههم على الهرب بادخاله الدخان الى حفرتهم وايصاله النار المعروفة بالاغريقية «
الى معاقلهم فقتل منهم مئات ولم يتمكنوا من وضع البارود الممزوج للنسف والهدم . فلما
خابت هذه الحيلة امر السلطان بنقل المدفع السلطاني الى تجاه باب القديس رومانس
فصوبت القنابل على البرج الذي كان يحمي هذا الباب

ولم تكن مدافع الروم بضعيفة فانها كانت تقذف كتلاً حجرية وزن الواحدة منها
١٥٠ ليبرة وهي وان ادنى من مدافع العثمانيين كان لطلقها دوي شديد حتى تزعزعت
منه اركان السور فخافوا من ان يتأتى عن اطلاقها خراب في المدينة لذلك استصوبوا

حربية تحميه فلا يستطيع مركب غريب ان يتعدّاه . واستعمال وضع الزنجير الحديدي نسبة المرفإ قديم جداً يمتد الى ايام قيصر الروم ساقاريوس قبل ان بنى قسطنطين في بزنطية مدينته الشهيرة كما روى المؤرخ كسيفلينوس في ذكره حصار بزنطية في عهد الملك ساقاريوس . وروى المؤرخ ثاوفانس ان الملك لاون الايصوري نصب هذا الزنجير لما جاء العرب وحاصروا القسطنطينية فارتدوا عنها اذ لم يقووا على قطعه ويقال ان الصليبيين لما فتحوا القسطنطينية حملوا الزنجير القديم الى عكاء لكن الروم صنعوا زنجيراً اخر اضخم وامتن وكانوا آونة الحصار في غاية الاحتياج اليه لان عمارة قسطنطين لم تكن لتقوى على منازلة العمارة العثمانية

٥

وقبل ان نبسط الكلام عن الحرب والحصار يجدر بنا ان نأتي باسماء الذين تولوا قيادة الجيش واحسنوا المدافعة عن القسطنطينية فمن الروم نذكر اولاً الملك قسطنطين وسفير البابا المطران ايسيدورس اللذين كانا لا يألوان جهداً في الاهتمام في كل شيء ولبثا في معمعة الوغى حتى فتحت المدينة . ثم نذكر الغرندوق لوقا نوتاراس الذي سناتي على ايراد قصته المفجعة . ثم الامراء ديمتريوس كنتاكوزين ونيكيفورس وثاوفيلس الذين من آل باليولوغ ثم ثيودور كرستينس الذي كان شيخاً جليلاً مشهوراً بمهارته في الحيل الحربية وقوته التي لم تضعفها الشيخوخة . وكان بين المدافعين عن الحاضرة من دون الروم كثيرون من الاجانب الذين جاؤوا متطوعين لخدمة الانسانية من الفرنسيس والاسبانيين والايطاليين وكان اشهرهم يوحنا يستنياني احد القوّاد الجنويين الذي ولاهُ الملك قيادة الجيش برمته . وهذا الضابط الجنوي كان تحت امرته مركبان حربيان حصينان فيهما اربعمائة رجل ذوي بأس كان يتجول بهم في البحر وقد جاء اعمالاً خطيرة تشهد بحذاقته وتحنكه في فن الحرب فطلبهُ قسطنطين وأذن له بالدخول في مرفإ القسطنطينية الداخلي وسلمهُ قيادة الجيش واعداً اياه اذا انتصر على العثمانيين بانهُ يهبهُ جزيرة لمنوس

الفصل الخامس

حصار القسطنطينية

١ [illegible] ٢ قدوم عمارة مسيحية نجدة للروم [illegible] ٣ [illegible] ٤ [illegible] في حرق [illegible] ٥ [illegible] بين المدينة والسور [illegible]

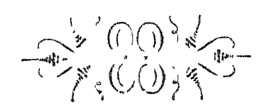
١

بعد ان تخرّب جانب كبير من الاسوار شرع السلطان في تجهيز حملة عامة على المدينة لفتحها فامر اولاً بان يردم الخندق الذي امام السور الواقع من جهة اليابسة فلبّى الجنود امره بحماسة غريبة لم يأت التاريخ بذكر مثلها فالمتحمسين للانتصار يردمون هذا الخندق طارحين فيه كل ما وقعت ايديهم عليه حتى خيامهم وحطامهم والآلات الدافعة التي يحتاجون اليها وان كان قد اتفق ان احدهم سقط في الخندق ولم يستطع الى الخلاص سبيلاً لم يلتفتوا اليه بل كانوا يرمون عليه الاخشاب والتراب والحجارة فيدفن في الخندق حياً

فلما فرغ الجند من ردم الخندق جرّ السلطان محمد برجاً خشبياً حصيناً على دواليب الى سور المدينة المضروب بباب القديس رومانس وكان هذا البرج ذا طبقات كثيرة في كلٍّ منها عدد وافر من العساكر الذين يرشقون النار والحجارة ليبعدوا المحصورين عن الاسوار وكانت بين ايديهم سلالم من الحبال في طرفها كلاليب حديدية يلقونها على السور فتعلق به ومن ثمّ يصعدون بها عليه . وكان البرج مغشى بجلود بقر طرية سخنت حديثاً لئلا يستطيع الروم حرقه وقد ستر بقطع كبيرة من اللباد متدلية من اعلاه لمنع نفوذ السهام والحجارة المرشوقة به من داخل المدينة

ان لا يطلقوا المدافع بل استخدموا ما بقي بين ايديهم من البارود القليل ادفع كلل رصاصية محشوة في نوعٍ من البنادق يسع بعضها نحو عشر كلل كانت تقتل خلقاً كثيراً وقد روى المؤرخ مخائيل دوكا ان الكلة كانت تصيب الرجل فتنفذ منهُ الى رجلٍ ثانٍ فثالث وتقتلهم

اما المدفع السلطاني الذي نقل الى تجاه باب القديس رومانس فقد الحق بالمدينة خراباً جسيماً الا انهُ انفجر بعد زمان قليل وتطايرت حطامهُ شعاعاً فقُتل بها عديدون من جنود العثمانيين الذين كانوا حولهُ وقتل بينهم المجري الذي صبهُ. فتأسف السلطان جدًّا واشفق ان تنفجر سائر المدافع فأمر بسدّها وعدل عن اطلاق القنابل



وكان السلطان واقفاً على رابية تشرف على البحر ينظر الى منتهى الامر فلما ابصر
ذلك ثار غضبه وشب في جواده وتقدم مسرعاً حتى وصل الى الشاطئ بقرب مراكبه
فاخذ يؤنب الجنود والنوتية والضباط ثم امسك بامير البحر المعقود له لواء جميع السفن
فسحبه على الارض وشرع يضربه بقضيب ذهبي كان في يده ولكن لم يغن عن اجتهاد
السلطان في تخليص عساكره وحمايتهم من الاتقاء فكانت العمارة المسيحية تتقدم
بسرعة الى الامام مغرقة ما اعترضها من السفن وما انتهت الى الزنجير الحديدي
السادّ مدخل المرفإ دلاه الروم الى البحر حتى عبرت سفن العمارة كلها داخلة قرن
الذهب دخلة الانتصار ثم رفع الزنجير كما كان ولما بلغت الى الشاطئ قابلها الروم
المنتشرون في تلك الجهة جماهير بمزيد الاكرام مصفقين تصفيق الفرح والسرور

٣

فوجه السلطان من ثم جل اهتمامه الى مشروع غريب لم يكن يخطر على بال وهو
ان ينقل السفن الحربية من البسفور الى المرفإ الداخلي مجرورة على اليابسة حتى اذا
بلغ مياه قرن الذهب انزلها وتمكن من مهاجمة المدينة بحراً فخطط اولاً لهذا العمل
طريقاً يمهده بين الاشواك والعليق وراء غلطه وينتهي على شط قرن الذهب
بازاء دير وكنيسة القديس قزما

وبعد رسم هذا الطريق وتمهيده غُطي بالالواح الخشبية مطلية بشحم البقر
والغنم حتى يتيسر للمراكب ان تزلق عليها بلا عناء . وروى المؤرخون ان طول هذا
الطريق كان فرسخاً ونصف فرسخ وقد جرّ السلطان عليه في ليلة واحدة تسعين
سفينة يسحبها الرجال بالحبال ولما وصل بها الى الشط انزلها كلها الى البحر وتمّ ذلك
كله ليلاً دون ابداء اقل صوت خشية ان يدري الروم فيوقفوا انزالها الى البحر خلافاً لما
ذكر بعض المؤرخين من ان السلطان اراد ان يجرّ هذه المراكب على البر باحتفال

وكان السلطان ملقياً جلّ اتكاله على هذا البرج الخشبي آملا انهُ بهِ ينال النصر والغلبة فلما تقدم البرج على الاسوار أُطلقت جميع المدافع من معسكر العثمانيين دفعاً للمحاصرين عن الدنو من الاسوار وعن الحاق الضرر بالبرج اما الروم فاستفرغوا جعبة الحيل لاحراق البرج فلم يستطيعوا يومئذٍ الى ذلك سبيلًا ودامت نار الحرب متاظية ذلك النهار كلهُ حتى المساء دون ان يتبيَّن وجه النصر لاحد الطرفين

وعند صباح اليوم التالي اخذ من العثمانيين العجب كل مأْخذ لما رأوا ان الخندق الذي ردموهُ قد أُعيد فتحهُ لان الروم تألبوا في الليل جمًّا غفيرًا فنبشوا التراب واخذوا الحجارة والاخشاب ورمموا السور وسدوا كل ما ثلم منهُ فاستعر القتال شديدًا وبرز كل من السلطانين محمد وقسطنطين في مقدمة جيشهِ مهيجًا حماسة وشجاعة الجنود ومغريًا اياهم على الاقدام نوالاً للظفر الَّا ان الروم تمكنوا يومئذٍ من احراق البرج الخشبي عن آخره فغضب السلطان غضباً عظيماً وعدل عن مهاجمة المدينة من جانب اليابسة الى الحمل عليها من جانب البحر ولكن كان دون هذه الحملة اخطار واهوال

٢

وبينما كان السلطان مشتغلًا في استنباط اسهل الطرائق للحملة البحرية نزلت بعمارتهِ مصيبة زادت غضبه اضطراماً وهي قدوم عمارة مسيحية صغيرة لنجدة الروم مؤلفة من بعض سفن اوفدها البابا ودوق جنوا تقلُّ رجالاً ذوي بأسٍ ومؤونةً وافرة من الحنطة والشعير والخمر والزيت والتمر والحمص والعدس وغير ذلك من البقول والمآكل الجافة وكان بينها سفينة للروم ارسلها قسطنطين لتشحن قمحًا من صقلية فامر السلطان بسفنهِ الحربية كلها فاجتمعت لمنع عبور هذه العمارة التي لما دنت ورأَت البحر مغطىً بالسفن ولا يمكنها اختراق صفوفها ما لم تتبدد كلها وقفت على مسافة منها واطلقت مدافعها على السفن العثمانية بإحكام حتى غرَّقت منها مراكب كثيرة واتلفت غيرها.

[illegible] وجيههم [illegible] سفينة وكانوا [illegible] واحدة [illegible] مع عمارة بندقية
وتقدموا [illegible] وكان كل شيء [illegible] من [illegible] يخرج لكن جنوبي غلطة
[illegible] [illegible] [illegible] الدقة [illegible] بضرب
فجعلوا [illegible] [illegible] [illegible] الاربعون في
[illegible] [illegible] حضرة الملك
قسطنطين [illegible] مائتين وخمسين اسيراً
فشنقهم في على السور

٥

وحدثت بين البنادقة والجنويين فتنة فكان البنادقة يتهمون الآخرين بالخيانة
وافشاء سر الحرب حتى تتهتكوا وحدثت بهم خسارة جسيمة [illegible] الجنويين وكانوا
يؤاخذون البنادقة على تقصير رقابة الدروب [illegible] وقد كانت كامنة في
صدور هذين الطرفين من قديم الزمان اشتد الخطب بينهم حتى افضى بهم الامر الى
شهر السلاح على بعضهم مقتتلين لولا ان الملك قسطنطين جاء بنفسه الى رؤساء
الامتين ونصح لهم ان يرتدعوا عن غيهم وبذل قصارى جهده في اصلاح ذات بينهم
مذرفاً عبرات على الخنادق المحدقة بالمدينة من قبل الحرب الخارجية وقال لهم
« الا يكفي ذلك العدو الذي يحاربنا حتى تهب شرر الحرب الاهلية ونجعل
نفوسنا [illegible] في يد الاعداء » فسكتهم حينئذ [illegible] [illegible] والتأم
الفريقان وعادوا متعاونين متضافرين في الحرب [illegible] كما كانوا
من قبل

وقد سبق القول ان الجنويين سكان غلطة كانوا قد عقدوا ميثاقاً سرياً مع السلطان
على ان لا يتداخلوا في الحرب بشرط ان يحافظوا [illegible] من ذوات
جودة [illegible] مع ذلك كانوا يبعثون [illegible] فيمدونهم بالقوت [illegible]

وابهة كما لو كانت جارية في البحر فقالوا: كان في مقدم ومؤخر كل سفينة ربان يامر الجنود بالتقدم والاسراع وكانت الرجال ترنم اغاني البحرية بجرّها السفن والادوات والمهمات الحربية. وفي رأينا ان لو صحت هذه الرواية لكان ذلك الاحتفال عند وصول السفن وانزالها الى البحر ابتهاجاً بتملُّك ذلك المرفإ الجديد او عند سحب السفن الاخيرة اليهِ

ولم يكن الجنويون سكان غلطة ليجهلوا هـذا المشروع الغريب الذي ابتدعهُ السلطان لنقل السفن برّاً الا انهم تواطؤوا معهُ بعقد ميثاق سرّي تعهدوا فيهِ بحفظ هذا السر طيّ الكتمان ووعدهم هو بانهم اذا لزموا الحياد لا يمسهم بضرر

٤

فلما رأى الروم السفن العثمانية في مرفئهم الداخلي هالهم امرها وتشاءموا بالخراب وداخلهم القنوط لان الاسوار من جهة البحر لم تكن حصينةً ولم يكن عندهم عساكر كافية للدفاع والكفاح الا انهم لم ييأسوا من رحمة ربهم بل جاهدوا الجهاد الحسن مشتغلين ليلاً ونهاراً بما من شأنهِ تعزيز المدينة وحفظها

ولم يقف السلطان عند هذا فقط بل جعل يهتمّ بعمل مشروع آخر يمكنهُ من الهجوم والاستيلاء على القسطنطينية فوصل صفائح والواحاً خشبية عريضـة ببعضها بكلاليب حديدية وحبالٍ غليظة ونصبها على الماء ممتدةً من الضفة الواحدة التي في غلطه الى الضفة الاخرى في اسفل اسوار المدينة بازاء باب كيناجيون حتى اصبحت كلها جسراً واحداً متيناً على خليج قرن الذهب واصـلاً بين البرّين تسهيلاً للعساكر والمدافع ان تمرّ عليهِ وتقتحم المدينة. ووضع في طرف هـذا الجسر بعض مدافع لتضرب السور وتدمرهُ وعزّز الجسر بسفن حربية قامت على جانبيهِ

فالتحمت الحرب اولاً بين السفن في المرفإ فكان النصر لسفن العثمانيين لكثرة عددها ولما رأى يستنياني قائد جيوش الروم قرب فوز العثمانيـين من هذه الجهة عقد النية على احراق سفنهم فانتدب لذلك عشرين شاباً من الروم وعشرين من الاجانب

الفصل السادس

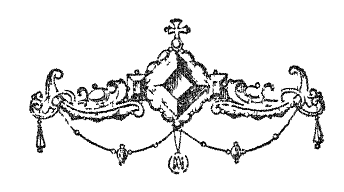
قوات [illegible]

[illegible]

١

ومن الحق علينا تفصيل [illegible] شبيهة في [illegible] الروم قبل سقوط مدينتهم [illegible] وشجاعة لا شك فيها [illegible] وصف مركز كل من رؤساء جيش المدافعين من الروم والفرنج . وكان الملك قسطنطين يتجول في كل نواحي المدينة [illegible] من موضع الى آخر متفقداً بنفسه جميع المراكز الخارجية والدفاعية في [illegible] منهضاً همة الجنود والقادة وقد [illegible] الخطط الخاصة حسب الحاجة وقد [illegible] من [illegible] موهبة شجاعة [illegible] والاضطرام في قلوب الغير حتى ان كلاً من [illegible] الذين كان يجب ان يقيم في المركز الاكثر خطراً اقدامه [illegible] قسطنطين نفسه الذي كان يتردد دائماً على ضعف [illegible] ويقيم [illegible] في [illegible] الذي كان [illegible] دون [illegible] كل قوات [illegible] وكان قسطنطين [illegible] رجال ذوي بأس من [illegible] ونخبة من [illegible] الجنوي يحمي جبهة السور [illegible] الذي [illegible] كنيسة سيدة ينبوع العجائب مع [illegible] من الجنويين . وكان [illegible] يحرس [illegible] قنصل اسبانيا في قسطنطينية يحمي [illegible] قلعة [illegible] مع بعض جنود من [illegible] الاسبانية ومن الروم . وكان سفير [illegible] في قلعة [illegible] مع جماعة من الايطاليين [illegible]

فلما بلغهُ ذلك امر باطلاق مدافعهِ على مراكبهم فأوفدوا اليهِ رسلًا يذكرونهُ بالعهد وتشكوا من انهُ نكث بهم فتظاهر بالاندهال من هذا العمل المنكر وقال انهُ انما اطلق المدافع على مراكب ظنها للقرصان تحمل قوتًا وذخائر للروم ولم يكن ليفتكر انها للجنويين ونصح لهم خشية ان يقع مثل هذا الاشتباه ان يبعدوا مراكبهم عن المرفإ فلم يرضخ الجنويين لمشورتهِ وتظاهروا بعدم فهمها فلم يخرجوا مراكبهم من المرفإ فاطلق المدافع على اكبر مراكبهم المعقود لواؤُه لامير البحر فاتلفتهُ واغرقتهُ فالتزموا بان يخرجوا بمراكبهم الى خارج الخليج



[illegible] حتى [illegible] الامر يستدعي [illegible] قبل [illegible] : [illegible]
[illegible] ذلك قسطنطين [illegible]
[illegible] منهما من [illegible]
[illegible]

[illegible] قسطنطين [illegible]
يستأثر [illegible] كل من [illegible] الاخر [illegible]
[illegible] مع الالتين [illegible] هذه [illegible] مرة [illegible]
[illegible] قسطنطينة [illegible] احتسر من [illegible] تاج [illegible]
[illegible] على [illegible] في [illegible] عليه هذا
القائد من [illegible] الحربية [illegible] في [illegible] الخصة التي
[illegible] حتى ان [illegible] جهده [illegible]
حزبه [illegible] الاموال [illegible] قسطنطين عن [illegible]

٣

الآن [illegible] في [illegible] في [illegible] جوتي
[illegible] القسطنطينية [illegible] الاول [illegible]
[illegible] على [illegible]
[illegible] بغتة في [illegible] في [illegible]
من كبير وزرائهم الذي اتهم بخيانة [illegible] الاسة [illegible]
منها ان جيشا [illegible] من جهة [illegible]
[illegible] قوة [illegible]

القائد الشهير نوتاراس متولياً حراسة المدينة من جانب السور الداخلي بازاء غلطة . وكان الباب الجميل يحرسه قوم من الكريتيين . وكان مينتو قنصل البندقية قائماً بالمحافظة على قصر الملك . اما سائر جيش الروم فكان متشتتا في المراكز حسب الحاجة إما لقيام مقام العساكر المنتزلة واما لاعانة الضعفاء واخائري القوى . واما الامير ديمتريوس كنتاكوزين والامير نيكيفورس باليولوغ فقد عهد اليهما في حراسة المدينة عموماً والسهر على راحتها وردّ الهجمات التي تفاجئهم من الخارج او تسكين الاضطرابات الداخلية ومعهم لذلك سبعمائة رجل . والمركز العام الذي كانت تجتمع اليه العساكر كلها كان بجوار كنيسة الرسل . وكان رهبان القديس باسيليوس وعديدون من طغمة الاكليرس يبذلون جهدهم في المدافعة عن المدينة مقتحمين الاخطار بانفسهم لسد نوافذ السور ودفع هجمات المحاصرين

وفي هذا الاثناء صفرت يد الملك قسطنطين من النقود ونزلت بهِ ضربة عسر المالية وكان الاغنياء يدفنون اموالهم و يتظاهرون بالفاقة لئلا تسلب منهم لسد حاجة المعوزين فالتزم ان يطلب من الاكليرس الاواني المقدسة لتكسر وتبذل في هذه الضيقة وقد اقسم ايماناً مغلظة بانهُ عند استتباب الراحة وارجاع السلام يرجع كل الذي اخذه . فاستخدم هذه الاموال الكنسية لدفع رواتب العساكر واغاثة الفقراء والملهوفين . ومع هذا كله كان سفلة الشعب وطغامهُ يذمون هذا البطل قسطنطين ويجتمعون على تقريعهِ فكان يستمع الاهانة باذنهِ و يغضي عن اصحابها بصبر جميل

٢

ومما زاد اشجان الملك قسطنطين اشتداداً الخصام الطارىء بين قائدي الجيوش يستنياني ونوتاراس فان يستنياني طلب من نوتاراس بعض مدافع وعدد حربية ليدافع بها عن باب القديس رومانوس حيث كان الملك يحارب . فابى اعطاءه اياها بحجة احتياجه اليها [illegible] . فثبتت من [illegible] [illegible]



لهذه الاشاعة الناجعة واخذ منها الذعر كل مأخذ وفسروا حينئذٍ هذا النور بانه نورٌ سماوي ودليل على المعونة الربانية التي يوتيها الله الروم

وقد عظم هذا الخطب بين الجيش فوهنت قوته ولم يقوَ على الحرب حتى ان السلطان الذي كان يعرف ان يفتح لكل مشكل مخرجًا التزم ان يبادر لتفنيد هذه الاشاعة وتعبير الحادث الجوي بخير له ولامته بقوله انهُ هو نفسهُ رأى هذا النور صاعدًا بسرعة في الجوّ فذلك دليلٌ على ان الله عضد الروم اولاً ثم هجرهم مهملاً

٤

وقبل يوم الفتح الاخير طرأ بعض موانع اوقفت الحرب اياماً وذلك ان الامير اسمعيل امير سينوب ولو مسلماً لم يكن ليحبّ ان السلطان محمدًا يستولي على القسطنطينية فاوفد الى القيصر في الخفية رسولاً يشير عليهِ بان يرسل من قبلهِ وفدًا الى السلطان يلتمس منهُ الصلح فهو يجيبهُ اليهِ لا محالة فارسل قسطنطين يسألهُ رفع الحصار عن المدينة وهو يؤدي لهُ في جنب ذلك ما شاء من التعويضات . فاجاب السلطان بانه يرضى بالصلح اذا تنزَّل له القيصر عن القسطنطينية وهو يتعهد لهُ بان يجعلهُ ملكاً على بلاد المورة كلها ويهب في الوقت نفسه اخويه توما وديمتريوس تعويضاً من املاكهما اقاليمَ يتولَّونها في البلاد الاسلامية وختم جوابهُ بهذه العبارة لا بدَّ من احد امرين: « إما أن احصل على القسطنطينية واما ان القسطنطينية تحصل عليَّ »

ومع ذلك جمع السلطان ارباب ديوانه وطلب من اعضائهِ المشورة فقام وزيره الصدر الاعظم خليل باشا الذي كان متحزّبًا للروم واشار عليهِ بوجوب الاجابة الى مطاليب قسطنطين مسندًا رأيهُ الى عدة اسباب اوضحها في الحضرة فكان لها وقع شديد في القلوب حتى ان السلطان نفسهُ ظهرت عليه سمات الميل الى مشورتهِ ولا سيما عند ما انذره بقرب وصول عمارة مسيحية نجدةً للروم من المغرب وقد صدق الوزير

[illegible]

٢

[illegible] في كل شيء [illegible] ولا [illegible]

[illegible] وكان في [illegible]

ان لا [illegible] عن شعبه [illegible]

[illegible]

ايها الاصدقاء [illegible]

ان شجاعتكم صارت [illegible] مشهورة [illegible] في كل [illegible]

[illegible] على قوة [illegible]

[illegible] كل شيء لانكم لا [illegible]

[illegible] في [illegible]

[illegible]

[illegible] من [illegible]

ان [illegible] اليوم تكون آخر [illegible]

وانتم ايها الابطال [illegible]

لاننا لا تطلبوا لكم وطنا غير وطننا [illegible]

الفصل السابع

في الحملة الأخيرة على القسطنطينية

١ـ صوم العثمانيين استعدادًا للحملة وتحميس السلطان لهم بخطاب شديد ـ ٢ التجاء الروم الى الصلاة وخطاب قسطنطين التحميسي للجنود ـ ٣ ـ ابتداء هجوم العثمانيين على السور وارتدادهم عنه اولاً ـ ٤ ـ اعتزال القائد يستنياني عن الحرب لجرح اصابهُ

١

في النهار السابق يوم الحملة العمومية امر السلطان جميع المسلمين بالصوم مدة اليوم كلهِ والتوضوء سبع مرات واراد ان يكون المعسكر مضيئاً في الليل بالانوار الساطعة وبعد ان افطر الجيش كلهُ وانشرحت نفسهُ وتقوت اعضاؤه امرهم فاجتمعوا نحو منتصف الليل وخطب فيهم خطبة حماسية اليك مؤدَّاها ملخصة كما ذكرها كتَّاب عصره:

«ايها الجنود اجمعون ها قد حان الآن اليوم العظيم الذي فيهِ تجنون ثمرة فائقة في اللذة والعظمة قد خبأَها لكم الله تعالى وحرمها لآبائكم الذين كانوا اليها تائقين. ها اليوم تدخلون دخلة انتصار الى هذه المدينة الشهيرة اعظم حواضر العالم باتساعها ووفرة ثروتها فستغنمون منها كنوزًا لا تطيقون حملها فاذا انتصرتم تمتعتم بملاذّ هذه الدنيا ونعيمها وان سقطتم باذن الله تحت سيف النصارى فستذهبون للتمتع بجنات تجري من تحتها الانهار كما وعد الكتاب بها للمجاهدين في سبيل الله واعلموا ان كل من يبقى منكم بعد الانتصار ينال جزاء جهاده مضاعف راتبهِ في حياتهِ كلها وفضلاً عن ذلك اني آذن لكم بنهب القسطنطينية فما تنالهُ يدكم مدة ثلاثة ايام بعد فتحها يكون لكم حلالاً اما أنا فلا اريد ان آخذ من الغنيمة شيئاً الّا اني ابقي لي ابنية المدينة فحذارِ من تدميرها. فتقدموا اذن بشجاعة وقوة واقتحموا الاهوال فاني اعدكم ان الذي يُقدم اولاً ويصعد على السور ناصباً فوقهُ راية الاسلام اغمره بالآلاء والنعم وارقيه الى ارفع

[illegible] في جنب
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
العثمانيين فكانوا [illegible] من [illegible]
خلاقين ماء [illegible] زيتاً [illegible] وكبريتة [illegible] يتخذون حجارة [illegible] وقطعاً
ضخمة من الصخور فكانت تقتل كل من [illegible] بنادقهم
ذات الطلقات [illegible]
ودامو على هذه [illegible] العثمانيين من
حوالي السور من جانب [illegible] من
الفريقين

٤

وما كاد [illegible] يرجعون [illegible]
العثمانيين المرة الاخيرة عن مدينتهم [illegible] حتى [illegible] حدث [illegible]
بالويل والخراب فان قائد [illegible] في [illegible] حرب [illegible] وحمية [illegible] من [illegible]
والذي احرز الانتصار في كل [illegible] ذكراً جميلاً
بغيرته على وطنه وجهاده حتى [illegible] بجانب [illegible] قرب
باب القديس رومانس. هذا [illegible] وقد قتل من
هاجمين بسيفه [illegible] كثيراً [illegible]
فتنحى عن موقع القتال [illegible] جرحه [illegible]
الذين كانوا قد جاهدوا حتى تلك الساعة جهاد الابطال [illegible] خمدت [illegible]

خيراتكم لانسا سنقتسم بيننا اموالنا التي ساعدتم على المدافعة عنها . والآن فقدموا جميعكم صلاةً اخيرةً لله تعالى وتوسلوا اليهِ ان يكفّ غضبهُ عن شعبهِ وليرجع كل منكم الى مركزه واسمعوا اخيرًا الى نصائحي التي اشير بها اليكم فاوصي اولًا الضباط ورؤساء الجيش بان يلزموا السكينة والفطنة والعساكر بالطاعة والنظام واوصيكم جميعًا بالشجاعة شجاعة الابطال وعلى الرب سبحانهُ الاتكال »

نطق الملك بهذا الخطاب وملء قلبهِ حسرات تجرح الفؤاد حتى تفتّتت من سماعهِ الاكباد وجرت من جميع الحاضرين سيول من العبرات حتى انـه هو نفسهُ لم يتمالك عند الفراغ من تذريف الدموع السخينة احرّ من الجمرات ثم عانق كل منهم رفيقـهُ معانقة الوداع دلالة على الاتحاد والاخاء وحلفوا بانهم مستعدون لبذل آخر نقطة من دمهم في سبيل الدين والوطن

ثم ترك قسطنطين الجيش وذهب الى كنيسة اجيا صوفيا الكبرى وسجد فيها على درجة الهيكل الملكي وصلّى بحرارة عظيمة ثم تناول القربان الطاهر بخشوع وتهيُّب واقتفى اثره بهذا العمل التقوي كبار رجالهِ الذين تبعوه الى الكنيسة . ثم التفت الى الشعب وقال لهم « ان خطاياي هي التي جلبت غضب الله على هذه الحاضرة فها انا اليوم مستعد للتكفير عنها بتضحية نفسي لهُ تعالى »

ثم ذهب الى قصره واجتمع برجال بلاطهِ وحاشيتهِ وخدامهِ وطلب منهم المغفرة عما عسى ان يكون اساء بهِ اليهم فاجابوه كلهم بزفرات متنفسين الصعداء . ثم ركب جواده وتفقد الاسوار والمواقع كلها ورجع الى مركزه الخطير عند باب القديس رومانس

٣

فعند الساعة الاولى بعد منتصف الليل امر السلطان محمد الجنود بالهجوم ولما انبثق الفجر حملوا كالاسد حملة عمومية على كل مواقع السور وفي هجومهم لم يكونوا يبالون بما يلاقون من الاهوال بل كانوا يقتحمون الاخطار ليتسلقوا الاسوار واخوانهم

الفصل الثامن

[illegible]

[illegible]

١

[illegible] ولكن [illegible] يستشفي وقومه [illegible] قسطنطين في [illegible]

[illegible]ة ونشطت وعاد الى ساحة الوغى وواصل الحرب [illegible]

[illegible] بلاصه وكاد [illegible] وقد تمكن من دفع الهجمات [illegible]

[illegible] يسيرة [illegible] باب [illegible]

[illegible] فبادر العثمانيون وهجموا بقوة دفعة واحدة [illegible]

[illegible]ربوا الى داخل المدينة [illegible] في هزيمتهم هذه [illegible]

[illegible] النظام فازدحموا جماهير غفيرة عند دخولهم [illegible]

[illegible] كبيراً وقتل المسلمون منهم خلقاً كثيراً [illegible]

[illegible] جميعاً والحقوا بسلطانهم قسطنطين [illegible] حتى [illegible]

[illegible] دمائهم

ويشهد جميع المؤرخين ان [illegible] قسطنطين [illegible]

[illegible] من شرف [illegible] تاريخ الحروب [illegible]

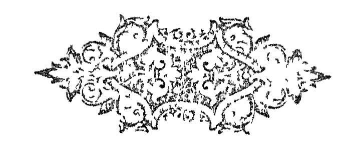
[illegible] عزيزاً مثل قسطنطين [illegible] العثمانيون [illegible] في

[illegible] وقفاً على [illegible] الجهاد موقف [illegible]

[illegible] والامراء محامين عنه باذلين حياتهم دونه [illegible]

وداخلهم القنوط من النصر وتركوا المعمعة ولحقوا بقائدهم واذ علم الملك الذي كان يحارب بالقرب منهُ اخذ منهُ الاضطراب كل مأخذ واسرع الى يستنياني وبذل قصارى جهده ليرجعهُ ورجالهُ الى مراكزهم الّا ان يستنياني ابى ان يرضخ لمشورة قسطنطين فركب زورقًا وسار في البحر الى غلطة ومنها الى جزيرة شيو (ساقص) حيث توفي بعد زمان يسير

وقد اجمع المؤرخون الروم واللاتـين على التنديد بيستنياني لاعتزالهِ في الساعة الاخيرة تنديدًا شديدًا اما نحن وان يكن يشق علينا ان نلوم رجلًا مات اثر جراحهِ في الحرب وبعد انتصارات جمة فلا نستطيع ان نطلب لهُ عذرًا بـل نستصوب رأي المؤرخين وتنديدهم لان المجاهدين والحالة هذه في سبيل تخليص تلك المدينة ولاسيما اذا كانوا ذوي مكانة رفيعة كيستنياني ملتزمون فرضًا لازبًا ان يبقوا في معمعة الوغى حتى آخر دقيقة من حياتهم. ولا شك ان يستنياني لو لازم موقعهُ في ساحة القتـال وسقط صريعًا بجانب قسطنطين لكان خلد ذكرًا مجيدًا ان يمحى الى الدهر ولعل المدينة كانت قد نجت سالمة



امتاز بينهم ثاوفيلي باليولوغ وفرنسيس كسين وديمتريوس كنتا كوزين ويوحنا الدلماتي هؤلاء الاربعة الابطال وكثيرون من اترابهم الشرفاء قد احدقوا بملكهم احداق السوار بالمعصم وحاربوا مدة طويلة دافعين صفوف العثمانيين الذين اكتنفوهم واخذوا يضربونهم من كل الجهات ولبثوا واقفين ارواحهم لخلاص سلطانهم حتى خارت عزائمهم وسقطوا جميعهم صرعى على اقدام سيدهم فبقي قسطنطين وحده ولم يثنِ عزمهُ عن المقاومة بل داوم مشرعاً سيفهُ على الهاجمين مخترقاً صفوفهم وضارباً بحسامهِ يميناً ويساراً حتى دنا الاجل فحمل عليهِ اثنان من الجنود الظافرة فضربهُ احدهم بسيفـهِ فقطع نصف وجهه وضربهُ الاخر فشق رأسهُ وسقط مجندلاً يخبط بدمهِ

٢

وقد تناقل روم القسطنطينية من الآباء الى البنين ان الموضع الذي سقط فيـهِ قسطنطين كان في الساحة الصغيرة التي لا يزالون يسمونها « ساحة القتل » وهي تقرب من جامع السلطان سليمان . ونرى ان هذا يقرب الى الصواب اكثر من اقوال الكتّاب المتأخرين لاتفاقهِ مع قولٍ آخر مفاده انه لما دخل العثمانيون السور الاول كان الروم قد اغفلوا احد ابواب السور الداخلي مفتوحاً فاقتحموه داخلين الى شوارع العاصمة واشتبك القتال في داخل المدينة فالتزم قسطنطين ان يعود ورجالهُ ليدافع عن الشعب وهذا الخبر الغريب من التصديق ايضاً يؤيد ما قيل عن مصرع الملك . ولا شك بان شعباً برمتهِ لا يمكن ان ينسى الموقعة الاخيرة التي بها سقط آخر ملوكهِ باذلاً حياته فداء عنهُ فهو ولا ريب الاحرى بالتصديق

ومن ثم يتبين لنا ان هذا الرأي هو الاكثر احتمالاً خلافاً لما كتب بعض المؤرخين استناداً الى اخبارٍ مختلفة وخصوصاً انهم غير متفقين في رأي واحد على الموضع الذي سقط فيهِ الملك فذهب بعضهم انهُ مات على السور في ابَّان الهجمة العموميـة على المدينة وذهب آخرون الى انه اختنق بازدحام العساكر حين انهزامهم من وجه العثمانيين

الفصل التاسع

١

من بين سائر القتلى الا بعد عناء شديد لانه كان قد خلع ثيابه الملكية منذ بدء الموقعة ليتمكن من الحرب بسهولة وخفة وقد تنكر لئلا يعرفهُ العثمانيون لكن وجدت جثتهُ اخيراً بين القتلى وانما عُرفت من الحذائين اللذين كانا في رجليهِ وكانا احمري اللون مرصَّعين بالذهب فقطعت هامتهُ المملوكة بضربة السيف كما سبقت الاشارة وجيء بها الى السلطان محمد وامر بتعليقها على رأس عمود المرمر الاحمر المعروف بالعمود الاوغسطي ثم انزلها وارسلها الى كثيرٍ من مدن آسيا لتعرض فيها دلالة على انتصاره العظيم لكنهُ أذن لمن بقي من خدام قسطنطين بان يأخذوا جثتهُ ويدفنوها حسب عادتهم المألوفة

تاريخ الروم الخوري تعريب حنا

« قد دخلتم الى كنيسة اجيا صوفيا كملاذ امين في حين ينقض عليكم غضب الله . وقد كنتم منذ يومين تعدون هذه الكنيسة مربعاً للهرطقة ولم يكن واحد منكم يدخل اليها خوف التنجس بمشاركة الاسرار الالهية مع اخوتكم الذين قبلوا الاتحاد لكن هذه الضربات الرهيبة التي تنزل بكم بغضب الله هي التي اسكنت روعكم وتجنبكم الى الاسلام اذ لو قدر ان ملاكاً هبط من السماء وكلمكم في نهاية هذه المصائب الشديدة قائلاً اذا قبلتم الوحدة الكنيسة فسأخلص مدينتكم لكنتم رفضتم مشورته او رضختم اليه رياء . والذين كانوا من خاصة الملك يقولون : نؤثر الخضوع للعثمانيين على الخضوع للاتين يعرفون ان قولي هو عين الصدق والصواب »

فهذه الشهادة التي جاء بها هذا المؤرخ الرومي الشهير الذي رأى كل ما كتبه تشرح لنا شرحاً بيناً عن حالة القسطنطينية الدينية في ايامها الاخيرة اذ ان فيها حجة دامغة تدحض آراء المؤرخين الغربيين الذين يذهبون الى انه لم يكن في القسطنطينية الا حزب ديني واحد وهو حزب الشقاق لاننا نرى جلياً ان الامة الروم كانت يومئذ منقسمة الى شطرين قويين يتنازعانها يخاصم احدهما الآخر حزب الاتحاد وحزب الشقاق فكان من الحزب الاول كثيرون من العلماء وعظماء الشخصيات دوكا المذكور والملك قسطنطين نفسه واكابر دولته وذلك ظاهر ظهور الشمس في رابعة النهار من هذه الشهادة التي يؤخذ منها ان كنيسة اجيا صوفيا كانت مخصوصة بحزب الاتحاد حتى ان لا احد من حزب الشقاق كان يقبل الدخول الى هذه الكنيسة خوفاً من التنجس باشتراكه مع اولي الاتحاد ومن ثم يتضح دليل قوي نضيفه الى الادلة الكثيرة الدامغة التي عثرنا عليها فهو يؤيدها ويثبت ما اهمل ذكره المؤرخون ولم يستطيعوا انكاره الا وهو ان قسطنطين آخر ملوك الروم كان كاثوليكياً قحاً من حزب الاتحاد

اما الذي اشكل على مؤرخي الغرب وجرّهم الى الخطأ فهو الثورة التي اوقد

واما القائــد الاكبر نوتاراس فلم يهرب بل تربص في قصره رجاء ان يكتسب صداقة السلطان باعطائهِ الاموال الوافرة التي كانت في بيتهِ وسنأتي على تفصيل مقتلهِ الفاجع

واما الامير التركي أُرخان تريل القسطنطينيــة الذي حارب مع الروم بشجاعة صحبة نوتاراس فلما فتحت المدينة أَيس من العفو فتنكر بزيّ راهب وطرح نفسهُ من اعلى البرج ليهرب الى البرّية فتجندل على الارض قتيلًا

واما يستنياني فبعد ان ضمد جرحهُ الثخين اراد الرجوع الى الحرب لكن لما بلغهُ انتصار العثمانيين سافر الى جزيرة ساقص حيث مات كما اخبر المؤرخ مخائيــل دوكا الذي يمتدح شجاعتهُ ويطلب لهُ في اعتزالهِ الحرب عذرًا خلافًا للمؤرخ فرنتزيس الذي لم يكن من اودّائهِ

واما القائدان الغربيان قنصل البندقية وقنصل اسبانيا فقــد ذُبحا مع اولادهما وكثيرين من جنودهما

٣

وقد لجأ عديدون من سكان الحاضرة الى كنيسة اجيا صوفيًا الكبرى حيث دخلوها ووصدوا الابواب فوافاها العثمانيون وحطموا بالفؤوس ابوابها حتى تمكنوا من فتحها وذبحوا فيها من الروم خلقًا كثيرًا الى ان جاء السلطان فزجرهم عن افراطهم وردعهم . وقد عدَّ المؤرخون هذه المذبحــة عقابًا انزلهُ الله بالروم لان كثيرين من الذين لاذوا بهذه الكنيسة عنــد الضيق كانوا قد ابوا في ايام السلام الدخول اليها والاشتراك مع الكاثوليكيين اعتدادَ أَن من دخلها وتناول القربان المقدس فيها يكون قد اشترك بنفس فعلهِ مع الكنيسة اللاتينية لان الملك واعيان مملكتهِ وسائر الكاثوليكيين كانوا يقيمون فيها الصلاة بالاشتراك مع الحبر الاعظم وسفــيره كما يؤخذ ذلك من شهادة المؤرخ الرومي المعاصر ميخائيل دوكا اذ قال :

احد رؤسها وكان الشعب يتفاءل بها. وقال الشعب الاسرائيلي ـ حتية للحسبة التي نصها موسى خلاصته اعتقد انها حرز حصين حارس القسطنطينية. ولما انتهى الى كنيسة اجيا صوفيا ترل عن جواده وخده الاندهال لدى رؤيته عظمة وبهاء تلك الكنيسة التي لم يكن اظرف ولا اجمل منها في زخرفها وهندسة متفقة على مر الكلام هياكلها وزخرفها وقبتها البديعة ولما دخل قدس الاقداس وقعت عينه على حجر كرة يقتلع قطعة نفيسة من رخام ثمين فهرع اليه وصرعه بسوطه وزجره قائلاً « الم يكفك يا خبيث انت ورفقتك اني ابحت لكم الاستيلاء على سكان وثروت القسطنطينية فدعوا ايديكم عن الابنية والحجارة لاني ابقيتها لي »

ثم امر السلطان اماماً فصعد المنبر وشرع يتلو الصلوات حسب السنة الاسلامية. ويزيد المؤرخون ان السلطـان ضحى كبشاً على المذبح الاكبر ونصب عرشه فوقه وجلس حين الصلاة. ويقول المؤرخ التركي خوجه افندي انه منذ ذلك اليوم صعد المؤذن الى القبة العالية وأذن داعياً المسلمين الى الصلاة

٤

ولما خرج السلطان محمد من الكنيسة توجه الى قصر نوتاراس القائد الاكبر حيث كان هذا يترقبهُ راجياً تخليص حياتهِ ونوال الحظوة في عيني الفاتح وكان متوحداً في احدى القلع فسلمها للسلطان صلحاً بشرط ان ينجو سالماً فلما انتهى السلطان الى قصره استقبلهُ بمزيد الاحترام والتملّق وقدم له كنوزاً وافرة قائلاً انه قد حفظها ليعطيهُ اياها فاغلظ له السلطان الجواب في بادئ الامر قائلاً « ماذا كنت تصنع بهذه الكنوز حين الحصار لِمَ لم تدفعها لمليكك حين الحاجة أفي نيتك ان تخدعني كما خدعته » ثم سأله « ألم يدفع امة الى يدي هذه الاموال مع شخصك واملاكك » فاجابه نوتاراس « بلى » فقال السلطان « اذن انت لا تعطيني الا ما يخصني » ثم امر بسجنه فطرح في

شرارها سفلة الشعب وطغامهم (كما سبقت الاشارة) منادين بعدم ا
والاغتصابات والمحارم التي ارتكبوها مقرّعين اتقياء الكاثوليك وفد
البطريرك القسطنطيني غريغوريوس الذائع القداسة ان يرحل عن الحا
الجور التي كان يقترفها اغبياء الشعب فلاذ برومية واقام فيها ولم يكـ
الى روم القسطنطينية حاضًا اياهم على البقاء في حضن الكنيسة الكا
والكتابة بعروتها الوثقى. ولكن فات هؤلاء المؤرخين ان يلاحظو
والاغتصابات والهيجانات التي ثارت ضد الاتحاد وضد البابا والبطريرا
نفسهِ ضد الملك قسطنطين لأنّا رأينا ان السفلة والرعاع كانوا يهيـ
كان يتظاهر بالتجاهل صابرًا صبرًا جميلًا باذلاً راحتهُ وكرامتهُ وحياته
والأمّة والوطن

فلا شكّ ان قسطنطين كان ومات كاثوليكيا ولا يتجرأ احد
ينكر ذلك دون ركوب خطإٍ جسيم لان كل ما اوردناه عنهُ نقلًا عن
والكتبة المعاصرين المدققين ينطق باثبات هذا الرأي ولا ريب في ا
المدقق يعتبره حقيقة راهنة ويعد خلافهُ غلطةً قد اصلحها التنقيب
عشر كما أُصلحت غلطات تاريخية كثيرة من قبلُ

وما دققنا في تحقيق كاثوليكية آخر ملوك الروم قسطنطين بالـ
حبًا بايضاح الحقيقة وحسمًا لمشكل تاريخي عظيم

٣

وقبل ان نأتي على فاجعة القائد نوتاراس الذي كان من زعما
للاتحاد نذكر مدخل السلطان محمد الفاتح الى كنيسة اجيا صوفيا فا
المدينة من باب القديس رومانس بابهة واحتفال عظيم مع وزرائهِ
اجتاز في ميدان القسطنطينية الاكبر طعن برمحهِ رأس الحية النحاسية

وارسل اليه جلاداً ليقتله مع ولديه الكبيرين وبقي ثالث اولاده الذي كان قد طلبه من ابيه فابى ارساله له وكان مختفياً عن الجند

فلما وصل الجلاد الى نوتاراس على باب القصر وقفه بضرب عنقه فالتمس منه ان يقتل ولديه قبله ليكون متأكداً موتهما في ديانتهم وتشجيعهم على قبول الموت بشهامة فصرع الجلاد عنق ولديه ثم جثي وصلى ثم لا ينطق حسب رواية المؤرخين بهذه الجملة المكررة «انت عادل يا رب» وانه لم يردد حديث ... العبارة الشهيرة التي يعزوها اليه اكثر الكتاب وهي «احب الي ان ارى القسطنطينية خاضعة للعمامة الخضراء من ان تخضع لتاج البابا» ومن المحتمل انه يكون ايضاً قد ندم عما فرط منه من قلة امانته لقسطنطين من حيث عدم اسعافه في ضيق بكنوزه التي كانت عنده ومن مضادته له بشأن الاتحاد مع الكنيسة الغربية

وكيف كان الامر فان المؤرخين كلهم اجمعوا على امتداح هذه الميتة الشريفة ولو كانوا قد سبقوا فنددوا ببعض اعماله المستهجنة واثنوا على شهامته ولقبوه بشهيد واجبات الوالدية. فلما قطعت هامته جيء بها مع رأس ولديه الى محل المأدبة

اما امرأة نوتاراس التي كانت طريحة الفراش فقد فاضت روحها حزناً واسفاً بعد موت بعلها بزمان يسير واما ابنته حنة فرحلت الى رومية بعد ان جمعت ما تيسر لها من ثروة ابيها ولما وصلت اليها رأت ان لابيها في هذه المدينة جانباً من المال كان قد اودعه فيها لاستدراكه ما سيكون من سقوط الحاضرة فجعلت تنفق هذه الاموال في سبيل اغاثة ومواساة اخوتها الروم الذين هاجروا الى رومية كما سيأتي بسط ذلك في محله

اما ابن نوتاراس الاصغر الذي كان عمره اربع عشرة سنة فقد اخذ الى قصر الحرم السلطاني الا ان اكثر المؤرخين يذهبون الى انه لما سنحت له فرصة مناسبة اغتنمها هارباً من القصر الى شقيقته حنة فعاش معها في رومية

السجن . ولكن احضره بين يديه ثانيــةً ووبَّخهُ ايضاً متهماً اياهُ انه كان علة تطويل الحرب وسبباً لمنع قسطنطين عن تسليم المدينــة فبرَّر نوتاراس نفسهُ وشكا وزيره الاكبر خليل باشا قائلاً انه كان صديقاً لقسطنطين وهو الذي اشار عليهِ بلزوم الشجاعة واطالة الحرب واطلعهُ حينئذٍ على اوراق كثيرة مكتوبة بخط الوزير الى الملك فانبسط قلب السلطان لهذا الخبر وانشرح خاطره لانه كان يطلب علة اكيدة على كبير وزرائهِ لقتلهِ لانه كان قد احسَّ بالخيانة من حين اذاع تلك الاراجيف المخيفة بين معسكر العثمانيين . وحينئذٍ هشَّ السلطان لنوتاراس وبشَّ وأَجلسهُ امامه وامر بان يؤتى اليهِ بامرأتهِ واولاده الذين كانوا قد أُخذوا اسرى في المراكب ولما حضروا دفع في يد كل منهم الف ذهب وارسلهم الى بيتهم مع نوتاراس قائلاً لهُ كن مطمئناً فاني ساقيمك حاكماً على المدينة وارفعك الى اعلى المناصب جاعلاً اياك في مرتبة اسمى شرفاً من التي كنت فيها في ايام قسطنطين

وفي اليوم التالي زار السلطان محمد بنفسهِ نوتاراس في بيتهِ حيث كانت امرأته مريضة فعادها السلطان وسلم عليها ببشاشة قائلاً لها «كيف حالكِ ايتها الخاتون اشير عليك بان لا تحزني بما المَّ بكم اذ لا بدَّ من الخضوع لاوامر الله واني لقادرٌ ان ارجع لكم كل ما فقدتموه اما انتِ فاعتني بمداراة صحتكِ » وحينئذ وقف بنو نوتاراس بين يدي السلطان يشكرونه على الطافهِ وآلائه السنية

ثم رجع السلطان واجتاز المدينة فرآها خاويةً خالية من السكان ودخل قصر الملك الشاهق واخذ يتفقد صاعاتهِ وغرفهُ وابنيتــهُ الفاخرة التي كانت قد نُهبت وفيما كان يتعهدها اورد لوزرائهِ مثــلاً من اقوال الفرس وهو « ان الرتيلاء بنت بيتها في قصر القياصرة والبومة نعقت في صاعاتهِ المذهبة » ثم اهتم بارجاع اثاث القصر وتزيينه كما كان اولاً . وفي تلك الليلة ادب وليمة عظيمة امام باب القصر لكبراء واعيان رجالهِ وفي آخر العشاء حدث ما اغضب السلطان على نوتاراس مما لا يسعنا المقام ذكره

الفصل العاشر

في نصب بطريرك للروم

١ — [illegible] السلطان نحو الروم [illegible] ٢ — [illegible] ٣ — [illegible] بطريرك [illegible] اختلاف المؤرخين في بطريرك جناديوس

١

ونفذ امر السلطان فلم يقتل وي [illegible] من سكان عين شاكي سلاح بل اسر منهم خلق كثير ويقول بعضهم ان السلطان نفسه قد افتدى بعضاً من اسرات الروم من ايدي جنوده . ما الذين نجوا من القتل والاسر فهجروا القسطنطينية هائمين على وجوههم في القفار والجبال او راكبين البحر خائضين اشق الاهوال فلما رأى السلطان ان العاصمة خلت من السكان واضحت دورها خاوية تنعق فيها الغربان رغب في استرجاع الروم الى مدينتهم وتأمينهم تحت ظله السلطاني فظن (وقد اصاب ظنه المرمى) ان اقوى وسيلة لذلك انما هي توطيد الهيئة الدينية ونصب بطريرك قسطنطيني كما كان سابقاً لعلمه ان الروم شديدو الاعتصام بدينهم فدعا كبار رؤساء الكهنوت وسألهم لمَ لم يأت بطريرككم ليهنئني كما فعل سائر الرؤساء والاعيان فاجابوه « ليس عندنا بطريرك » . وانما قالوا ذلك لا لان البطريرك القسطنطيني كان قد مات بل لان البطريرك غريغوريوس القاديس كان قد لجأ الى رومية قبل الحصار تفادياً من تعديات غير المتحدين عليه كما سبقت الاشارة فقال لهم السلطان بادروا اذاً الى انتخاب بطريرك جديد حسب عادتكم وائذنوني بكل الاحتفالات التي كان قسطنطين يعملها حين انتخاب بطريرك جديد وقدموه لي حتى افعل كما كان يفعل ملوككم . فاجتمع الاساقفة الموجودون وقتئذ في القسطنطينية وانتخبوا بطريركاً عليهم جناديوس الذي اجمعت آراء اكثر المؤرخين على انه كان هو نفس جرجس سكولاريوس الذي تقدّم الكلام عنهُ في القسم

وحبا بالحق الذي هو غاية مطلوبنا لا بدّ من القول ان المثالب المقرَّف بها نوتاراس نقلًا عن المؤرخين مستندة كلها الى ما كتبهُ المؤرخ فرنتزيس الذي طعن ايضًا على بستنياني ونسبهُ الى الجبن وعنهُ اخذ سائر المؤرخين على اننا نقول ان فرنتزيس ولو ذا صفات حميدة كان حقودًا يعنف اعداءهُ تعنيفًا شديدًا لا يخلو من التعصب الاعمى وكان نوتاراس عدوًّا الدّلـهُ لان فرنتزيس كان يلتمس من الملك ان يمنحه لقب مدبر المملكة « لوغوثيت » الذي كان حاصلًا عليهِ نوتاراس فعارضهُ في ذلك نوتاراس ولهذا لا نقدر ان نثق ثقة تامة بكل ما قال فرنتزيس عن خصمهِ

٥

ثم ان السلطان شدَّد على جنودهِ الامر بعدم قتل من لا يرونه شاكي السلاح وبهذا حقن دماء كثيرين من سكان الروم والفرنج لكنهُ اصدر امرًا بقتل كبراء الفرنج الذين عرف اسماءهم من نوتاراس ولم ينجُ منهم الا البندقي كونتاريني وستة من البنادقة فانهم لما بُسط لهم النطع ودنت آجال قتلهم تشفع بهم زوغانس باشا ثاني وزراء السلطان فعفي عنهم بعد ان وعدوا الوزير بدفع سبعة الاف دينار

ثم تقدم زوغانس باشا الى السلطان وشكا خليل باشا الصدر الاعظم الذي رأينا ان نوتاراس قد وشى بهِ ايضًا وطلب الى السلطان ان يبحث عن جرمهِ ابتغاء ان يتربع في منصبهِ . وكان السلطان الفاتح حانقًا على هذا الوزير الشيخ خليل باشا منذ صبائهِ لانه كان يجافيهِ وكثيرًا ما اشار على والده السلطان مراد ان يخلعهُ عن الولاية التي عهد اليهِ في سياستها في ايامهِ فلم يتردَّد لهذا السبب ولاسباب اخرى عن الحكم عليهِ بالقتل فسيق الى ادرنة وهناك أُذيق كأس الردى وقد منع ذوي قرباه ان يلبسوا الحداد حزنًا عليهِ

كان يتوق الى الاطلاع على جميع [illegible] وخصوصاً [illegible] اليونانية

٣

ولم يلبث البطريرك جناديوس طويلاً في كرسيه الجديد في كنيسة الرسل لانها كانت مكتنفة بمساكن [illegible] وقد رأى يوماً جثة قتيل مطروحة في الكنيسة [illegible] فحدثته نفسه الى السلطان [illegible] في كرسيه [illegible] ونقله الى كنيسة سيدة [illegible] حيث لا يزال كرسي بطاركة الروم حتى يومنا هذا

وقد مل البطريرك جناديوس الاقامة في كرسي [illegible] فاستقال من البطريركية بعد خمس سنين واعتزل في [illegible] حيث توفاه الله بعد حوالي

هذا وانا نطوي الكشح عن البطاركة [illegible] جناديوس الذين [illegible] على الكرسي القسطنطيني الاسلامية [illegible] لان تاريخهم [illegible] كتابنا هذا الموجز ولان [illegible] في ثلاث سنين [illegible] الاهواء الشخصية مما يفعم القلوب حزناً وغماً وفي [illegible] في عيون [illegible] صفحة التاريخ فنضرب عن كل ذلك صفحاً

٤

وانقسم المؤرخون في البطريرك جناديوس الى فئتين ولم يزالوا في شقاق ونزاع بشأنه فقد اجمعوا [illegible] انه هو نفس جرجس سكولاريوس الذي رافق الملك يوحنا الى المجمع الفلورنسي لكنهم يفترقون في هل كان هو ذلك الراهب جناديوس الذي [illegible] ثورة الشعب في عهد [illegible] قسطنطين يوم [illegible] الاتحاد [illegible] كما سبقت الاشارة ام كان رجلاً آخر غيره. وذهب الاكثرون الى انه كان هو نفسه وذهب

الاول اذ كان بمعيــة الملك يوحنا باليولوغ حين انعقاد المجمع الفلورنسي وسنأتي على بسط الكلام عنهُ بعد ذكر الاحتفالات التي جرت لهُ بعد انتخابه فقد رسمهُ مطران هيرقلية في كنيسة الرسل القديسين التي جعلها السلطان كرسيًا للبطريرك بعد ان حوَّل كنيسة اجيًا صوفيًا جامعًا للمسلمين

٢

ويؤكد المؤرخون ان جناديوس هذا لم يكن كاهنًا بل رجلًا عالميًا من صف نبلاء المدينة الَّا ان حل هذه المسألة منوطٌ بحل المسألة الاولى التي وعدنا بان نفرد لها بحثًا على حدة . اما الآن فنكمل سياق الاحتفالات البهية التي أجريت لهُ :

فلما سيم جناديوس بطريركًا سار على الفور الى السلطان يؤدي لهُ فروض التهنئة والاكرام ولما بلغ البلاط استقبلهُ السلطان بما لا مزيد عليــهِ من البشاشة والايناس والهشاشة حتى اذهل كل من كان من العثمانيين والروم انفسهم ثم قال « بما اني انا الآن جالس على سرير القسطنطينية يجب ان اعمل مع البطريرك ما كان قياصرة الروم يعملون معهُ » . فاخذ العكاز الرعائي الفضي المذهب ودفعهُ الى البطريرك قائــلًا لهُ (حسب رأي بعض كتاب ذلك العصر) الكلمات نفسها بحرفها الواحد كما استعملها ملوك القسطنطينية . لكن هذا الرأي مردودٌ كما رفضهُ كثــيرون من المؤرخين اما الاقرب الى الصواب فهو انه قال كما روى الاكثرون « كن بطريركًا حفظك الله تصرَّف بمحبتي وتمتع بكل الامتيازات والحقوق التي كان سلفاؤك بها متمتعين »

ولما انصرف البطريرك شيعهُ السلطان الى باب القصر وهناك وهبهُ جوادًا ابيض اركبهُ عليهِ وامر وزراءه واعوانه الباشوات ان يسيروا بمعيته باحتفال واجلال حتى كنيسة الرسل

وكان السلطان محمد كثيرًا ما يجتمع بالبطريرك جناديوس ويحادثه عن امور شتى وقد طلب اليه ان يكتب رسالة يشرح لهُ فيها الديانة النصرانية وبراهينها لانه

الفصل الحادي عشر

في ما عمل السلطان بالبلاد المجاورة بعد الفتح

١ [illegible]

٢ — سقوط مملكة [illegible]

١

انا لا نتحرّى البحث هنا في سائر الاعمال والحروب التي تمّمها السلطان محمد الفاتح اذ لا علاقة لها بموضوع تاريخنا لكن لا بدّ ان نتوقف قليلاً لنرى ما نعرف بعد سقوط مملكة الروم ماذا حلّ بسائر فروع آل باليولوغ الملكي ولاسيما توما وديمتريوس اخوي الملكين يوحنا وقسطنطين اللذين كانا متوليين على بلاد المورة. ههنا نحن نبسط الكلام عنهما وعن اصحابهما بالحزن متمثلين بالشام عن كثيرين من الذين هاجروا الى الغرب طاوين في صدورهم كنوز المعارف والعلوم التي غرسوها في ايطاليا اولاً ومن ثم امتدت الى سائر البلاد الاوربية واحدثت بالاثمار الشهية وما زالت تتزايد نمواً وازهاراً حتى يومنا هذا

فلما رأى توما وديمتريوس ما كان من سقوط القسطنطينية وما حلّ باخيهما قسطنطين داخلهما الخوف وعلما بانهما لا يستطيعان على مقاومة السلطان محمد بل وان لا بدّ يوماً ان ينالهما ما نال اخاهما فتألف قلبهما بعد ان كانا متنافرين وعقدا العزم على جمع كل ما يتمكنان من الكنوز والتحف والرحيل بها الى ايطاليا حيث يعيشان بسلام تاركين الديار تنعي من بناها

الا ان السلطان ادرك نيتهما فلم تَرُق في عينيه لانه خاف ان يتولى على بلادهما ملك آخر غيره فينشر عليه الحرب ويقاومه طويلاً فبعث برسل الى توما وديمتريوس يسكن جاشهما ويعدهما بالسلام والامان ليعيشا في بلادهما بالراحة والاطمئنان فسكن روعهما لان السلطان انجز وعده لهما فلم يثر عليهما حرباً مدة سبع سنين متوالية كان

آخرون الى انه غيره اي كان عصرئذٍ شخصان متفقان باسم جناديوس لكن مختلفان رأياً ومشرباً . وجرى على هذا الرأي الاب ممبور الذي عاش في القرن السابع عشر وكتب عن شقاق الروم . وذهب اليهِ ايضاً الاب بتسيبيوس اليوناني الذي أَلَّف في قرننا هذا التاسع عشر كتاباً عن الكنيسة الشرقية . على اننا لا نقطع بارجحية احد الرأيين كما لا يمكننا ان نجزم بان جرجس سكولاريوس بقي محافظاً على وديعة الاتحاد ولا حين نصب بطريركاً على القسطنطينية كما يحقق كثيرون مثبتين انه انما استقال من البطريركية لما عانى من الامتهان من قبل اهل الشقاق . ولا نستطيع ايضاً ان نؤكد انه بعد رجوعهِ من المجمع تقلَّب رأيه وانضم الى حزب المضادي الاتحاد

لكن لدينا ما يؤيد اعتصامهُ الدائم بعروة الاتحاد وهو ان التآليف الباقية منهُ هي جميعها موافقة للايمان الكاثوليكي مناقضة للشقاق . وهذه المصنفات هي : ١ً رسالة لاساقفة الروم تأييداً للاتحاد ٢ً الخطب الثلاث التي القاها في المجمع الفلورنسي وقد تقدم الكلام عليها في محلها ٣ً مقالة في انبثاق الروح القدس ضد مرقص الافسسي . ٤ً كتاب في الانتخاب والرذل ٥ً كتاب المحاماة عن مجمع فلورنسة

وكيف كانت الاحوال ان كانت البينات التاريخية لا تبتّ هذه المسألة فان الكتب الباقية تحملنا على ضعف الظن في ان جرجس سكولاريوس الذي سُمّي بطريركاً باسم جناديوس كان هو عين الراهب جناديوس الذي ذكر عنهُ المؤرخ دوكا الرومي « انه كان يكتب دائماً ضد المجمع ويؤلف اقيسة لابطال الاتحاد » . فهيهات اذن ان الذي كتب تلك المصنفات تأييداً للوحدة الكاثوليكية يصدق عنهُ انه غيَّر مبادئه واضحى عدوًّا للاتحاد ولاسيما اذا كان هذا الزعم غير مستند الّا الى اساس الشك والارتياب وليس لهُ ركن تاريخي يوثق به

مرمه ولا في البلاد تسير هذه الجنود. ويروى عن ثقة ... اركب حربه ...
يوماً ... من الاعداء في ... جيوش حرية " وقطر به
شزراً وقال له " لو كانت في لحيتي شعرة عرفت ... من امري كنت نتفتها
وطرحتها في النار "

وقيل ان يحمل السلطان محمد على ... جيوشه الى ... س
يحاربه خوفاً من ... أتي ... د ... مبيد ... يوم ... يلاد ...
تروجه ... داود كمنين. ثم ارسل ... قوده محمود باشا ... كر ... من ...
ليحصر طرابزون ويفتحها لكن ... كانت منيعة ... ... من ... شجاعة
ودفعت هجماتهم بشدة ثنين وثلاثين يوماً فعمد محمود باشا ... داود ان
يناجي الملك داود وجهاً الى وجه فلما اختلى به ... صرحة ... به ... انه
ان لبث مصراً على مقاومة السلطان ومحاربته ثم ... يد ... داهمة ... د
اسلم المدينة وخضع للسلطان ... عنده مقاماً رفيعاً وقدم ... مثلاً ... ذكر
من اشرف اسرات القسطنطينية و... دخل في دين الاسلام ... السلطان ... مة
رقاه الى اعظم المناصب حتى شرفه ... لقب الصدر الاعظم ... ملك داود
بقول محمود باشا وسلّم المدينة صلحاً لكنه ... حيث لا ...

٣

فنقل الملك داود مع اسرته الى القسطنطينية ثم ... به لدى السلطان انه كتب
رسائل يخابر فيها اعداءه ملوك ... حتى ... فلم ... هذه شكوى
بل عرض على داود اختيار احد شيئين اما ان يدخل في دين الاسلام واما ان يقتل
وكان الملك شيخاً جليلاً وأبى الا ايثار الموت على الحياة فقتل وحدا حذوه بنوه ...
كلهم فقتلوا في اثره وكانت امهم الملكة هيلانة من سلالة آل كنتا كوزين تشجعهم
على تجرع كأس المنون حتى آخر ساعة من حياتهم كما فعلت في العهد ... ... صالوه

متشاغلًا في غضونها ببعض مخاصمات ومناوسات مع اسكندر بك ويوحنا الهوني اللذين حاربهما بشجاعة غريبة لكن الحظ لم يسعده بالظفر عليهما

ولما كانت سنة ١٤٦٠ اغتنم السلطان محمد فرصة شقاق وقع بين الاميرين توما وديمتريوس للتدخل في امرهما وضم بلادهما الى سلطنتـــهِ وذلك لان ديمتريوس كان قد دخل مدينة سبرتة ووصد ابوابها متمكنًا فيها لكنهُ لما رأى السلطان زاحفًا عليهِ بجيوشهِ الجرارة انخلع قلبهُ وسلّم البلد صلحًا مذعنًا لكل ما رسم عليـــهِ من الشرائط وقضى سائر عمره ممقوتًا من اهل وطنـــه عائشًا في ادرنة تحت ظلّ السلطان الفاتح وكانت وفاته بعد احد عشر عامًا ٠ اما اخوه توما فكان ثابت الجنان وقد احسن الجهاد ولاسيما حين حوصر في قلعة كورنتس

لكن لما رأى توما ان قد دنا سقوطهُ اغتنم الفرصة فركب احدى سفن البنادقة هو وسائر بطانتهِ وسافر الى انكونه ومنها الى رومية حيث استقبلهُ البابا بيوس الثاني بمزيد الرعاية وكان حاملًا اليهِ هدية نفيسة الا وهي رأس القديس اندراوس الرسول الذي وُضع باحترام في كنيسة الرسولـــين بطرس وبولس. وقد نال التفات البابا فاخذ منهُ براءة عامة الى جميع ملوك المغرب تستحثهم على حشد الجيوش والتكاتف لمساعدة المنكوبين فلم تنجح هذه الوسيلة. فعاد الى ايطاليا واخذ يبذل قصارى همهِ في ملافاة فقر اخوتهِ الروم وغمرهم بالحسنات وبسط لهم كل ضروب الاعانات واجتهد في نشر العلوم والمعارف حتى توفاه الله سنة ١٤٦٥

٢

وتتمةً لاخبار انقراض سلطنة الروم نذكر شيئًا عن سقوط مملكة طرابزون الصغيرة التي كان جالسًا على سريرها يومئذٍ داود كمنين من سلالة قياصرة القسطنطينية :

ان السلطان الفاتح جعل يعدّ الجيوش ويجهز المهمات الحربية دون ان يطلع احدًا على

الفصل الثالث عشر

في بعض المهاجرين من علماء الروم

١ نزلاء فلورنسة وعقدهم حفلة ... جمعية ... ـ ٢ ـ ... ـ ٣ ـ بعض تآليفه

١

ونذيل تاريخ انقراض سلطنة الروم بذكر بعض مشاهير الروم الذين هاجروا الى ايطاليا ونشروا فيها معارفهم وفنونهم فاحيوا فيها قوام العلوم والصناعة فنجحت نجاحاً عظيماً وامتد نورها الى سائر اقطار المغرب حتى سمي ذلك العصر عندهم بعصر الانبعاث والتجدد

لما سقطت القسطنطينية تفرق اهلها ايادي سبا فرحل بعضهم الى صقلية وهاجر البعض الى البندقية وآخرون الى انكونا ومن ثم كان كثيرون منهم يرحلون الى رومية والى فلورنسة حتى جعلوا هاتين المدينتين العظيمتين عمرانًا مركزين تنبعث منهما اشعة شمس العلوم والفوائد الى العالم كله

اما الذين نزلوا فلورنسة فقبلهم بالترحيب والتكريم اميرها قزما دي مديسيس الذي كان قد ابرم علائق الوداد والصداقة مع بعض علماء الروم يوم حضروا مجمع فلورنسة وقد قدم له احدهم جميستس بليطون القسطنطيني نسخة خط من كتاب افلاطون فلما قرأه قزما شغف به ومن ثم عقد النية على تأسيس جمعية العلماء تنتمي الى افلاطون واشتد كلفهُ بهِ حتى عزم ان يعقد حفلة جامعة اكراماً له وقد ضرب لها موعداً اليوم الثالث عشر من تشرين الثاني فحضرها جميع محبي وتابعي فلسفة افلاطون من علماء الروم والايطاليان وذلك في قصر مصيف الامير الواقع وسط روضة بهية كان قد نصب بين اشجارها عمود رخام وضع فوقهُ صورة افلاطون وعلى رأسهِ اكليل

ام المكابيين السبعة وكان مصرعهم خارج اسوار القسطنطينية وقد امر السلطان بان تبقى اجسادهم بلا دفن مأكلًا للوحوش ولطير السماء امّا الملكة الباسلة فلبثت كل الليل ساهرة على جثث بعلها وبنيها مبعدة عنها الكلاب والطيور ويروى انها عند الصباح جاءت بمعول واحتفرت لهم لحدًا ودفنتهم فيهِ فلما رأى الحرّاس العثمانيون ما كان منها تعجبوا من هذه الجلادة والشجاعة الغريبة ولم يعارضوها بشيء

ووهبها لهذه المدينة قائلاً : «اني هب هبتي كتب الى هذه المدينة التي تسوسها الحكمة والشرائع ضاربة فيها اطنابها والفطنة والصدق ما كان فيها و فضيلة والاستقامة رتعة في جوانبها »

وكان بساريون همهُ في رومية تأييد الكنيسة الكاثوليكية بين الروم ونشر العلوم والمعارف وكان بالخصوص يبذل قصارى جهده لاعانة المكروبين من بني جلدته رامقا اياهم بعين المساعدة مادًّا هم يد الاسعاف كأب حنون كريم وقد جمع شمل الراهبات اللائي رحلن معهُ الى ايطاليا في دير واحد حيث تمكن من ممارسة جميع قوانينهنَّ وصلواتهن واعمالهن التقوية حسب الطقس الشرقي . وكان رئيساً على دير كروتافراتا (المغارة الحديدية) الواقع في ظاهر رومية في المحل المعروف بمصيف شيشرون حيث كان يجمع اليهِ كثيرين من علماء مهاجري الروم ويتباحث في فنون الادب والفلسفة بمجادلات ومناقشات مفيدة فكان ديره كمدرسة عالية يتلقى فيها عشاق العلم ما تتوق اليهِ انفسهم من المعارف ولاسيما الفلسفة التي لم تكن تقتبس عن افلاطون وحده كما في فلورنسة بل كان يضاف اليها فلسفة ارسطو الذي صحح كثيراً من اغلاط افلاطون معلمهِ وكان يفد عليهِ للزيارة جميع العلماء نزلاء فلورنسة ولاسيما الذين اشرنا اليهم آنفاً كجرجس الطرابزوني وجيمستس بليطون وغيرهم

٣

وقد ألف بساريون كتاباً في الفلسفة في ما وراء الطبيعة نمطاً لارسطو وترجمهُ الى اللاتينية وصنّف ايضاً كتاب ردّ ضدّاً لخصوم افلاطون والّف كتباً فلسفية كثيرة ورسائل وخطباً عديدة عن مواضيع شتى كانت غايتها مزدوجة اي اتحاد الروم بالايمان الواحد وتخليص القسطنطينية . و شهرها رسالته التي بعث بها الى الكسيس لسكاريس بشأن مجمع فلورنسة المسكوني وانبثاق الروح القدس وهي طويلة مثبتة في آخر اعمال المجمع شاغلة ستين صفحة كبيرة على قطع كامل وبما ان المقام يضيق دون

ذهب وهناك بعد ان جلس العلماء على مأدبة فاخرة قام كل منهم يتلو القصائد والنشائد اكراماً لافلاطون

ومن علماء الروم الفطاحل الذين هاجروا الى فلورنسة كان ثاودور غازا التسالونيكي وجرجس الطرابزوني ويوحنا ارجيروبولس وديمتريوس كلكنديلاس الذي كان استاذاً للامير يوحنا مديسيس واخيراً قسطنطين ويوحنا لسكاريس الا ان قسطنطين هذا كان قد اتى ايطاليا بكتب كثيرة من القسطنطينية بقي منها الى اليوم كتب المؤرخين هيرودوتس وثيكيديدس والشاعرين اوريبيدس وسوفكلس والفيلسوفين افلاطون وارسطو وهي مسطرة اغلبها بخط يده وقد علق على كتاب سياسة ارسطو الذي نسخهُ بيده الكلمات الآتية ترجمتها:

« شكراً عظيماً لله ينبوع كل خير. هذا الكتاب هو عمل قسطنطين لسكاريس البزنطي وخاصتهُ ثم يصير الى الذي يفهمهُ »

وقد عبثت بهذه الكتب ايدي الزمان فنقلت بعد التقلبات والحروب الى اسبانيا ووضعت في مكتبة قصر اسكوريال في مدريد حيث نقلت معها رسائل كثيرة كتبها قسطنطين الى اخوتهِ الروم الذين هاجروا الى ايطاليا وكتاب جليل الَّفهُ في التاريخ العام مختصراً حتى سقوط القسطنطينية وهو بعد ان ذكر موت قسطنطين ختم كتابهُ بهذه الالفاظ:

« بموتهِ ماتت مملكة الروم والحرّية والشرف والفصاحة وكل خير »

وقد نشأَ من فرع آل لكساريس رجل علاَّمة اسمهُ يوحنا اعتنى في اذاعة العلوم في فلورنسة ورومية وغيرهما

٢

اما مكتبة القديس مرقص في البندقية فكانت دون مكتبة فلورنسة بالغنى لكنها كانت واعية كتباً عديدة باليونانية والعربية وقد اسسها الكردينال بساريون اليوناني

فقط فهو لا يتميز من اقنوم الابن بشيء وعليه فلا يكون في الله إلّا اقنومان اثنان فقط »

وفي الفصل الثامن والتاسع يدحض الاعتراضات التي يوردها الخصوم ضد انبثاق الروح القدس من الكتاب المقدس والآباء القديسين

وقد انهى الكردينال رسالته بتحريضه سكان الشرق على أن يقرأوا بتأنٍّ وتفحص كتب الآباء القديسين الشرقيين والغربيين التي بعث اليهم بصحة رسالته هذه

ذكرها برمتها نقتضب منها فاتحتها لانها تدلنا على الاعمال التي كان بساريون يتشاغل بها في تلك السنين بشأن الوحدة ونلمع الى سائر الرسالة بوجه الاختصار

قال في اولها:

«بساريون كردينال الكنيسة الرومانية المقدسة الى الشريف والموقَّر لسكاريس محب الناس

« اني اعرف انك لا تهتم فقط بمطالعة العلوم البشريَّة بل انت ايضاً تنكبُّ على درس العلوم الالهية. ويلذُّ لك التأمل في الكتب المقدسة ولا ينثني عزمك عن البحث في حقيقة الايمان وكثيرًا ما سألتني ان اعينك على ادراك سبيلها فاعاقني عن اجابة سؤالك ثبوط همتي بنزول الشيخوخة وتركي هذه المباحثات والمجادلات التي كثيرًا ما تداولتها مع الروم اخوتي. لكن عوَّلت الان على استئناف هذه المجادلات معك لاني اعرف انك لست من الذين يؤثرون اوهامهم وجهلهم على الحق بل اعهدك بالعكس رجلًا ممتلئاً من الحكمة والتواضع تسأل لا لمماحكة بل رغبة في الوصول الى الحق. فعلى رأيي الخصوصي ان سلطان المجمع وحده كافٍ ليقنع ايًا كان ويجذبهُ الى قبول نتيجة المجمع بقلب متواضع وتصديقها بسذاجة وبدون مضادة اذ في اجتماع عدد كبير من رجال مزدانين بالحكمة والعلم والفضيلة حيث كان الروح القدس في وسطهم لا نستطيع ان نفتكر بان الحقيقة كانت مخفية»

ثم ذكره الكردينال برسالة بعث بها اليهِ قبلًا. وفي فصل ثانٍ ذكر لهُ كل تاريخ المجمع باختصار وقد جئنا على ايراده في القسم الاول من كتابنا. وبعد ان اورد بعض قواعد وبراهين لاهوتية مختلفة عن امور شتى ولاسيما عما تعلمهُ الكنيسة عن اقنوم الاب اوضح في الفصل السابع قضية انبثاق الروح القدس مسهباً عليها الكلام ومؤيدًا اياها بعشرين حجة دامغة واخصها تلك الحجة الشهيرة التي ذكرها القديس توما في تأليفهِ وهي لا تقبل ردًّا: «ان كان الروح القدس لا ينبثق الّا من الآب

فاسأل الله الذي يعلم كل شيء ان ليس فيه كلمة فتصغوا لاقوالي بتلك المحبة التي تحملني على ان اقول لكم ذلك الذي لا اخفيه شيء وعارف طوبا القلوب يشهد علي ان بعد عناية الهية محضة ما من شيء تدعوني ... قولي لكم ... مطمئنا اليه ولا تسمح لي الاحوال ... حالة ... وحي ... تم مضطرون في معرفته

١ عظمة الروم قديماً وحالاً

واذاً قبل كل شيء اذكر ... احوال ... اولادي الروحيين ما حل بهم اعظم ما كانت امتنا متزدانة به من الحكمة وسائر الفضائل ... بهجة ... و ... حسب العالم فان رجالنا كانوا المنشئين لا لاوي لكن لكل فلسفة وعلم فضلاً عن انهم رقوها الى اوج الكمال. وبينما سطعت كل قداسة وفيها قامت سلطنة عظيمة ... الآن في فرط التعاسة ودهاء المصيبة فلم نفقد السلطة فقط بل صرنا عبيد ...اء....

اما حظ الحكمة عندنا فاسوء اقبح واتعس اذ لم يبق لها بيننا من اثر ولا عين لان المرء لا يسعى وراءها ولا يجدها الا بعد حصوله على ما يقوم باود عيشه فيها يحيى اولاً وقد عرّينا من كل هذه الخيرات بسبب الاستعباد وما يليه من الفاقة صرنا لا نسأل عن حكمة ولا نفتش عن العلم. اما الفضيلة التي تقوم بسبل المتحابين بها وتجعلهم صلاّحاً وخليقين بكل ثناء فاعرف انها باقية الى ... وارغب ان تبقى دائماً. لكن كيف حدث ان اناساً ادباء فضلاء فقدوا على هذا الاسلوب الحكمة والسلطنة والحرية نفسها. لان علة هذه المصيبة الدهماء ليست من المصادفة ولا الاتفاق لا شيء ولا القدَّر اللهم ان لم يعتقد ان الحوادث ليست محسوسة من العناية الالهية وهذا مستحيل

٢ سبب هذه الحال

ان من الناس قوماً ينظرون الى انفسهم بعين الاتضاع والاحتقار فيفكرون ان علة مصائبنا وبلايانا انما هي ثقل خطايانا لكن ليس الامر كذلك فاننا لا نغضب الله

الفصل الرابع عشر

رسالة الكردينال بساريون العامة الى جميع الروم

١ ــ امة الروم قديمًا وحالاً ــ ٢ ــ سبب هذه الحال ــ ٣ ــ مداواة الاحوال ــ ٣ ــ كيف بُحث في مسألة الروح القدس في فلورنسة ــ ٥ ــ برهان على انبثاق الروح القدس ــ ٦ ــ ردّ اعتراض ــ ٧ ــ براهين حديدة لدعم الحقيقة نفسها ــ ٨ ــ اعتراض آخر ورده ــ ٩ ــ الكنيسة هل هي عند الروم وحدهم ــ ١٠ ــ الكنيسة الحقيقية هي الكنيسة الرومانية ــ ١١ ــ محبة الكردينال لاخوته وكيفية ادراكه الايمان الصحيح ــ ١٢ ــ حوابه على اعتراض بشأن الانبثاق ــ ١٣ ــ ادارة الكنيسة من رئيس واحد ــ ١٤ ــ اثبات سلطان البابا الاسمى بالحوادث ــ ١٥ ــ النتيجة

لما اختلّت احوال الكرسي القسطنطيني بما جرى من التقلبات في انتخاب البطاركة وعزلهم خلافًا للقوانين الكنسية اقام البابا الكردينال بساريون بطريركًا للقسطنطينية ولو مقيمًا في رومية وحينئذٍ كتب رسالته العامّة الى جميع الروم ولما كانت من الاهمية بمكان احببنا ترجمتها برمتها :

بساريون

برحمة الله تعالى كردينال الكنيسة الرومانية المقدسة و بطريرك القسطنطينية

رومية الجديدة

الى جميع الخاضعين لكرسي القسطنطينية البطريركي

نعمة وسلام وبركة من لدن الله القادر على كل شيء

كنتُ اودُّ ايها الاخوة والابناء الاعزّاء ان اكون فيما بينكم واكلمكم وتكلموني بشأن خلاصكم وبما ارغب واتمنى ان اراكم تقولونهُ وتعملونهُ لكن أبت الاعمال الكثيرة التي تشغلنا والمسافات الطويلة التي تبعدنا عنكم الّا ان تحول دون المرام فبقي علينا ان نخاطبكم بالكتابة ونطلعكم بالرسالة على جزء ولو يسيرًا مما كان يمكن ان نقولهُ معًا لو كنت حاضرًا فيما بينكم

جيء بشهادات كثيرة من القديسين والعلماء لا من غربيين فقط بل من الشرقيين ايضاً تأييداً لهذا التعليم الذي توطد ايضاً ببراهين عديدة فهل تظنون يا اخوتي انا بحثنا في هذه المسألة باهمال وقلة عناية كلا لقد فحصناها بدقتها وتيقنوا انا بذلنا جهداً جاهداً على اننا رضخنا للحقيقة ذات شأن نفس مسيحية صادقة لا تغمض عينيها عن الحقيقة البادية لها

وكان في ودي ان آتي هنا بشيء من تلك البراهين لكن حال دوني سبق هذه الرسالة ويسهل عليكم ان تطالعوها في غير موضع بسهولة لا نستطيعها لان كثيرين من الافاضل الذين سبقونا قد نشروا في هذا الشأن مقالات عظيمة جميلة ونحن ايضاً قد نشرنا من ذلك كثيراً إما تلبية لطلب اصدقائنا واما بياناً للثمر الذي جنيناه من ابحاثنا الخصوصية وإما لرد اعتراضات المناقضين ودحض سفسطاتهم الواهية وهذا كله هو عندنا او عندكم تتناوله ايدي الراغبين في المطالعة والتعلم واذا شاء احدكم ان يعير لذلك اذناً صاغية مستقيمة بدون روح الخصومة يستطيع بعون الله (اذا شاء ان يفهم) ان يستنتج فائدة عظيمة

٥ برهان على انبثاق الروح القدس

ومع هذا اذكر هنا من تلك البراهين واحداً فقط وبايجاز رغبةً في ان اتجاوزه الى غير امور :

يدعى الروح القدس روح الابن كما يدعوه الابن نفسه الذي يسميه ايضاً روح الحق والحق هو الابن نفسه ايضاً وكذا يقول غالباً الرسول العظيم القديس بولس كما جاء في رسالته الى غلاطية (٤ : ٦) وبما انكم ابناء ارسل الله روح ابنه الى قلوبكم . وفي رسالته الى الرومانيين (٨ : ٩) قال ان كان احد ليس فيه روح المسيح فهو ليس منه . وقد كرر مثل هذا القول في مائة موضع فهذه الكلمة وحدها يا اخوتي تكفي لبيان كل شيء اذ لا حاجة الى الافاضة في كلام كثير فهو اذاً روحه حقيقياً وجوهرياً

اكثر من سائر الامم المسيحية التي لا تزال راتعة على بسط الرغد والرفاهية فقد قيل وبالصواب قيل ان آدابنا ليست بادنى رتبة من آداب امة اخرى ايَّة كانت بل هي ارفع من آداب امم غيرها

فنخاف اذًا ان تكون رزايانا هذه قد تولدت عن انحرافٍ عن حقيقة الايمان وشطط في العقائد الصحيحة وانفصال عن الكنيسة الكاثوليكية لان بعضًا من رجالنا (١) بمجرد كبريائهم الخاصة قد بدؤوا بالشرّ مختلسين لانفسهم سلطة لا ساطة بعدها والذين جاؤوا بعدهم ورثوا منها ذلك لا بسوء نية شخصية لكنهم انقادوا الى الشر بخطإ سلفائهم فعلى جميع الناس ارباب الحجى والعقل السليم ان يمحوا ويلاشوا هذا الشر. ذلك فرض واجب عليهم وشرط لا بد منهُ للخلاص

٣ مداواة الاحوال

ولهذا يا اخوتي واولادي الاعزاء بالروح القدس ارجوكم واتضرع اليكم ان تبذلوا كل الغيرة وقصارى الجهد لاسترجاع مجد الامة القديم ولاحياء سابق شهرتها الساطعة حتى اذا تبعنا علماءنا القدماء وآباءنا القديسين المتفقين بايمان واحد وتعاليم دينية واحدة مع ما تعلمه وتحفظه اليوم الكنيسة الرومانية ابتعدتم عن هؤلاء المحدَثين الذين كانوا سببًا لشقاق الكنائس المشؤوم وقبلتم باحترام ديني المجمع المعقود في فلورنسة معتصمين ومتشبثين انتم ايضًا بكل ما حُدد بمساعدة الروح القدس بشأنه

٤ كيف بُحث في مسألة الروح القدس في فلورنسة

لقد قدمت حينئذٍ حجج عديدة قوية بشأن هذه العقيدة وكان كل من الفريقين يسهب في تأييد رأيه اما الانتصار فكان لهذا التعليم القائل بان الآب والابن هما مبدأٌ واحد للروح القدس وانه ينبثق منهما كمن نفخة واحدة (προβολέως) وقد

(١) يريد بهم على الغالب فوتيوس وميخائيل كيرولاريوس

و حد ولو كت .بكم ولو كنت استطع سبيلاً ى مه ولتكم و سة كم كم تم ، دتم
ـ في ذلك شهدت عديدة من اكثر مقدمة كهذه شهدته روح ـى ره
يكه من عند الآب ، (يوحنا ١٥ : ٢٦) » هو لا ارى ... في ح
(يوحنا ١٦ : ١٤) وهذه يعني يكلمكم كل ما ... (يوحنا ...) » .
فمن كل من هذه الشهادات تتضح كل سهولة ... في ... الكنيسة
الرومانية وبدعه يوم كما كان ... في ... ولا ...

٨ اعتراض ... ورده

ولعلكم تعترضون علي بان ... قد قال روح ... من الآب
ينبثق» (يوحنا ١٥ : ٢٦) دون ان يضيف ومنه ينبثق ايضا ... حوق ...
يقل لنا انه لا ينبثق منهُ ومهما حيل من قوة في هذا القول لا يزيد شيئاً من
اعتراضكم لان الرب نفسه قال «فاما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعرفهما احد ولا
ملائكة السموات الا الآب وحده» (متى ٢٤ : ٣٦) وقال ... تعليمي ليس هو
لي بل للآب الذي ارسلني» (يوحنا ٧ : ١٦) وكذلك «ليس احد يعرف الابن
الا الآب» (متى ١١ : ٢٧) ومع هذا القول صريح نعتقد خلاف ...
ونؤكد انه يعرف ذلك اليوم وتلك الساعة كما عرفهما الآب وانه يعرف نفسه كما
يعرفه الآب ايضاً وان تعليمه هو بالحقيقة منهُ ايضاً ...
لتصديقنا الحرفا قد اسكر صريحاً فلماذا اذاً لا نصدق ... ما ...

٩ الكنيسة هل هي عند اروم وحدهم

علينا ان نبحث في هذا الامر ايضاً : ان المسيح وعد ... على ... بطرس ... كنيسته
وان ابواب الجحيم اي جملة الهراطقة الباطلة لن تقوى عليها لكن ... هي الكنيسة
التي هذه صفتها يا اخوتي هذه مسألة يجب البحث فيها ولا احد من المسيحيين ...
ان يرتاب في كون وعد المخلص ثابتاً وحقيقياً وواجباً تصديقه . لكن ... هذه

لا مكتسباً وعندما يكون شيء من آخر على هذا النمط من الضرورة ان يكون لهذا الشيء الآخر باراء الناجم منهُ ضرب من الاولية السابقة إما اولية وسابقة المصدر باراء الصادر منهُ وإما اولية وسابقية الخالق باراء المخلوق ألا ان هذه العلاقة الاخيرة لا يمكن ان تنسب للروح ما لم يُعدّ من الخلائق لكن مجرد الفكر في هذا محض كفر فاذاً بقيت لدينا العلاقة التي بين المصدرِ والصادر منهُ ولا يمكن ان يتصور غيرها

٦ ردّ اعتراض

على ان البعض هرباً من الحق يعترض علينا بقوله ان هذه التسمية « روح الابن » تبين اتحاد الابن والروح القدس بالجوهر مثل القول بانه «مرسل من الابن» وما اشبه الا ان هذا لأوهى من نسيج العنكبوت ولقد ابناه مراراً شتى لانه لو كان الروح القدس قد سمي بروح الابن لاجل اتحادهما بالجوهر لامكن لاجل هذا السبب نفسه ان يقال عن الابن انه (ابن وروح) الروح القدس لكن لا يوجد لهذا اثر البتة وان كان الروح القدس سمي هكذا لانه مرسل من الابن ففي ذلك برهان يؤيد قولنا لان ارسال الروح القدس وانبثاقه واصداره كمن ينبوع كل ذلك يفرض ارسالاً وانبثاقاً جوهريّا وما من احد يستطيع ان يرسِل قبل ان ينبثق كما اوضحنا ذلك غالباً بحجج قوية دامغة

وتملصاً من هذه الحقيقة قال مواطنونا اشياء كثيرة لا طائل تحتها الا ان المعتصمين بالحقيقة اجابوا عليهم بافاضة وقوة ونحن اعترف بكل ذلك من غيرنا اذ اتفق لنا انا جاوبنا مراراً على المعترضين . ولئلاَّ يضيق بنا المقام نطوي عن كل هذا كشحاً اما الراغبون في مزيد بيان في هذا الشان فنحثهم الى مطالعة ما كتبنا سابقاً

٧ براهين جديدة لدعم الحقيقة نفسها

والآن نقول لكم بملء الثقة ان الكلمة المذكورة آنفاً تكفي وحدها لتوضيح هذه الحقيقة ان الروح القدس ينبثق من الابن والآب كمن مبدإٍ واحد ومن مصدر

و اعتقد بها من دونها فهي اذاً بحقيقة تلك التي في استطاعتها كنيسة هي التي ورثت وحفظت ايمان بطرس وتبشر به الجميع ·وجميع الذين يتبعونها يؤمنون معها كنيسة واحدة وكل الذين يفترقون عنها قد فصموا عرى الاتحاد معها ولا يستطيعون الى الخلاص سبيلاً اذ لا خلاص البتة خارج هذه الكنيسة ·فمن لا يسمعون صوت الراعي لا بد ان يذهبوا فريسة الذئب خطفة السارق ·ولكيلا يكون للمسيحيين هذا النصيب التعيس لا سمح الله يجب ان يؤمنوا بهذا الايمان الذي تعتقده وتعلمه الكنيسة الكاثوليكية ويعلموه فاذاً احرضكم جميعاً ان تقبلوه وتحفظوه ككنز ثمين اني لا افتأ اتضرع الى الله في هذا الشأن من اجلكم

١١ محبة الكردينال لاخوته وكيفية ادراكه الايمان الصحيح

لاني ارغب ان تكونوا جميعكم مثلي فليس ما اريده واشتهيه لكم بشيء قليل يا اخوتي ·لا ينبغي احتقار الخير اذا اشتهيته لكم كما اشتهيه لنفسي ·فمن احد يستطيع ان يعرب لقريبه عن محبة اعظم مما اذا اشتهى له الخيرات عينها التي يشتهيها لنفسه لان الكتاب يقول احبب قريبك كنفسك ·ولا يطلب الله منا محبة اكثر من هذه شارة الى انها هي اسمى درجات المحبة ·ولا اظنكم تقولون ان الجهل وقلة التثقف قد حالا دون بلوغنا الى الحقيقة لانكم تعلمون اننا درسنا منذ صبوتنا وسنا بادنى من احد بين رجال امتنا بهذا الشأن فقد بذلنا اعظم غيرة في درس العقائد الدينية وبحثنا بكل قوانا عن الحقيقة ·اذ اي شيء يستطيع ان يطلب سواها رجل رُبي في حجر الحشمة والتواضع وعاش في الطاعة واطراح ارادته جهد الطاقة بمساعدة نعمة الله ·رجل خزن في صدره عدة كتب قرأها في اباطيـــل العالم واصلاح السيرة في هاته الحياة وفي عقاب وثواب الآخرة وذلك تثقيفاً لنفسه بقواعد الدين الصحيح واعتناق الايمان الحقيقي بعد البلوغ اليه والآن اعتبره اثمن من كل شيء واحسن جداً مما كنت احسبه ويزداد اعتباري له بقدر تقدم شيخوختي وتضاعف الامراض التي تنذرني كل يوم بموتي وتجعـــل حياتي

الكنيسة أهي كنيسة اللاتين ام كنيسة الروم اذ لا يمكن ان تكون خارجاً عنهما لان سائر الكنائس الاخرى ليست الّا جمعيات سرية ممتلئة هرطقات قد رذلها وابسلها الآباء القديسون وعلماء الكنيسة والمجامع المسكونية. فان قلتم ان الكنيسة هي عند الروم فقد حصرتموها في بقعة ضيقة جداً بل قد لاشيتموها اذ يا للداهية الدهياء نراها تنحل يوماً فيوماً وكادت تهوي فان الاعداء قد استولوا على كل شيء... حتى ان اللغة اليونانية نفسها وكل المصاحف وتآليف آباء الكنيسة القديسين بل الكتب المقدسة نفسها بل الانجيل الطاهر عينه هذه كلها ستبقى اثرًا بعد عين عند مواطنينا ان دامت الحال على هذا المنوال. الا تعلمون ان الطائفة القليلة الباقية من المسيحيين في المشرق وجميع ابناء الكنيسة اليونانية في المغرب اضحوا (اولئك من نحو مائة سنة وهؤلاء من نحو خمسين ونيف) لا يعرفون الكتاب المقدس الا بالاسم ولا يستطيعون ان يذكروا اسماء اسفاره الا في مدينة القسطنطينيـــة وبعض الجزائر المجاورة ولا يمكنهم ان يدروا ولا يشرحوا موضوع املنا ورجائنا ولا يفهمون شيئاً مما يقرأ في الانجيـــل المقدس حتى الكهنة انفسهم الذين يقرؤونه لا يدرون ما يقرؤون بل ليس لديهم الانجيل كاملًا وليس عندهم منهُ الا بعض فصول تقرأُ في الكنيسة

فمثلهم مثل الببغاء او غيرها من الحيوانات المقتدية بالانسان يلفظون الكلمات اليونانية قارئين ما يبصرون باعينهم بئس القراءة ولكن لا يفهمون شيئاً مما يقرؤون

١٠ الكنيسة الحقيقية هي الكنيسة الرومانية

فالآن وقد فتحت القسطنطينية وا أسفاه اين هي واين تكون الكنيسة التي ان تقوى عليهـــا ابواب الجحيم وفي اية كنيسة حفظ وعد المخلص. إعرفوا يا اخوتي رأس الكنائس كرسي بطرس اعرفوا الكنيسة التي هي الام والمعلمة

ان بحثتم في الكتب بتمعن وجدتم الكنيسة الرومانية كانت منذ الابتداء متسلطة على الكل وفي مقدمة كل الكنيسة حتى لا ترى مسألة كنسية ولا عقيدة قد حُددت

حسبة كائز لي . ولو كنت لم اقتنع اني اخترت حفظ الاصلح وشيء لانفع و ن كنيسة الكاثوليكية الرومانية تؤمن بانفود ى احية لابدية نعلمه كنت هجرت كل شيء مهما كان سامياً وعظيماً وكنت رجعت ليكم دون ن اتمت اني اجود . . . . ان كنت احرضكم وارجوكم بشأن اعتماد ه يفودكم ى الخلاص يجب ن تعيروني اذناً صاغية وتقبلوا بل ترضى ما قلت لكم

١٢ جوابه على اعتراض بشأن الانبثاق

لكن ربما تقولون ان في زيادة اللاتين على قانون لايمان شيئاً معيباً .

فلو كنتم تريدون يا اخوتي ان تنظروا الى الامور بعين الانصاف لكنتم رأيتم جيداً ان ليس في ذلك زيادة بل شرح وتفسير

لان الزيادة حسب رأي علمائنا انفسهم انما هي تعليم قواعد مغايرة . اما توضيح القواعد التي تبقى على حالها فانما هو تفسير لا زيادة فان بقينا متمسكين بالحقيقة وكان التفسير متفقاً مع رأي العلماء فلا عذر لنا في هذا الخوف اذ يعني ضرباً من الاعتقاد الباطل لا من التقوى فالمجمع الثاني قد اضاف اشياء كثيرة الى قانون الايمان النيقوي بشأن الوهية الروح القدس ووحدة الكنيسة والمعمودية ومغفرة الخطايا وقيامة الاجساد والحياة الابدية وقال عدة امور لم يذكر منها المجمع الاول شيئاً . وهكذا الآباء الذين جاؤوا بعد قد علموا بشرح اوسع اشياء كثيرة تتمم الايمان ومع ذلك لم يُقل عن هذا التوسيع زيادة بل شرح وتفسير . فلمَ اذاً لا تستطيع الكنيسة الكاثوليكية ايضاً اتيان مثل هذا التفسير عندما يضطرها الهرطقة اليه

ولعل آخر يقول ان هذا كان مسموحاً به سابقاً لكن فيما بعد من حين منع المجمع الثالث كل زيادة امتنع السماح باضافة شيء الى القانون ولو حقيقية

لكن يا اخوتي ان هذا البرهان ساقط وهو بالحقيقة باطل وبعيد عن الصواب فاقرؤوا ان حسن لديكم الكتاب الذي وضعناه في هذا الشأن وقد ابنا فيه صريحاً

مستحيلة . فانا اعرف يا آبائي واخوتي واعلم جيدًا اني لست بعائش طويــلًا وما هذا بسرّ يخفى عليّ فان زمن الرحيل كاد يأزف ذلك الزمن الذي (حسب اختبار عابريه) يبتدئ الناس فيه ان يخافوا الاشياء التي لم يكونوا يهابونها من قبل اذ يشاهدون ان ساعة تأدية الحساب عن حياتهم قد دنت . اما انا فان طهارة الايمان تعزيني ما اقترب الموت لاني ارجو ان ما ينقص اعمالي لنوال الخلاص يتمم باستقامة الرأي في الايمان فلاجله احتقرت الكرامات التي كان يمكنني احرازها بينكم (ولم تكن بقليـلة ولا حقيرة) لاكون بكليتي للحق . اني اكلمكم انتم الذين تعرفوني او تستطيعون ان تسألوا عني ان شئتم من يعرفوني اذ لما كنت شابًا بل فتىً يافعًا كان ذكري مكرمًا جدًا حتى عند الذين لم يعرفوني وكان اسمي مشهورًا عند جميع الناطقين باليونانية

وما كدت ابلغ من العمر اربعًا وعشرين حتى كان الاكابر والامراء يجلّونني و يعتبرونني كما تعتبروني كلكم وكان الملوك يودونني حتى انهم كانوا يقدمونني على جميع منصبي السلطنــة لا على الشبان فقط بل على الشيوخ ايضًا وكانوا يجزلون لي الاكرام والتعظيم اكثر مما يليق بي لا لاجل استحقاقي لكن من كرم اخلاقهم . وان كنت الآن في كنيسة المسيح لابسًا ثوبًا كبيرًا ومتسنمًا مقامًا خطيرًا ومحفوفًا بكرامات هي بالحقيقة عظيمة بل عظيمة جدًا وفوق ما استحق فيعلم الله اني لم اكن لانتظرها ولم انلها الّا بعد دخولي في الايمان الكاثوليكي . ولعلكم تقولون اني لو كنت بينكم لكنت احرزت ربحًا اكبر وصرت بينكم إمامًا بينما انا هنا بين عدد كبير من الرجال البالغين شأنًا ساميًا في العلم والحكمة وكل فضيلة اكون بالكد في الرتبة الوسطى . والحال ان احد مشاهير الاماجد المعروف عندكم قد قال : انه احب اليــهِ ان يكون امامًا ومتقدمًا في بيت حقير من ان يكون في المصف الثاني في مدينة رومية العظمى البهية لان المرء يسرّ ان يكون في الصف الاول ولو بين الصغار

الّا اني لم اكترث الى ما عندكم . و يشهد الله عليّ ان ما انا حاصل عليه الآن

مخلصنا يسوع المسيح نفسه يعتبرون سلطة الرئيس الواحد فضل جداً من سائر نوع السياسات لان المخلص يقول « اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » موضحاً انه كما في السماوات الهاً واحداً كذلك على الارض سلطان واحد. ومن كان بين حكماء العالم اسمى فلسفة يفتكر ايضاً ان الحكومة التي يرئسها رجل واحد اعظم من غيره فضيلة لأفضل من سائر الحكومات ويمكنكم ان تسموها الحكومة الحسنى لانها فوق غيرها من حيث هي اقرب شبهاً بالحقيقة (الالهية) وهذا يعلمها ويفضلها وهكذا تلميذه بعد عرضه جميع الهيئات السياسية قد اعتبرها حسنى وهي الملكية العامة

وهاته الحكومة الوحيدة الرأس الفضلى والكملى المفتقرة اليها الاشياء الارضية والزائلة كل الافتقار هل نرفضها يا اخوتي في سياسة النفوس الابدية وتدبير كنيسة الله المقدسة حاشى لانّ حسن الترتيب هنا هو ايضاً اشدّ لزوماً بقدر ما الاشياء الابدية هي اسمى من الزمانية وهكذا ان واضع شريعتنا يسوع المسيح الذي هو اسمى جداً وفوق كل حكمة بشرية وهو عندنا ينبوع كل حكمة هو نفسه رئيسنا المانح ولا ريب كنيسته هذه هيئة الحكومة الفاضلة وذلك باقامته بطرس ملكاً لها وخلفاءه من بعده اذ قال لهُ « انت الصفاة وعلى هذه الصفاة سأبني كنيستي » وايضاً « سأُعطيك مفاتيح ملكوت السما » (١) وايضاً « ارعَ خرافي ارعَ غنمي » (٢) وايضاً « وانت متى رجعت فثبت اخوتك » (٣) .

١٤ اثبات سلطان البابا الاسمى بالحوادث

ولا تظنوا يا اخوتي اني آتيكم باشتراع جديد واعلمكم عقيدة جديدة انتم مطلعون على كتب المؤرخين القدماء ودارسون اعمال المجامع المسكونية فتذكروا ما اعظم

---

(١) متى ١٦ : ١٨ و١٩ (٢) يوحنا ٢١ : ١٦ و١٧ (٣) لوقا ٢٢ : ٣٢

هذه الحقيقة واني متأكد انكم تفتكرون مثلما . وايضاً يا اخوتي و يا آبائي لا تحذوا حذو القوم المحبين الخصام ولا تقتدوا باولئك الزاعمين ان لهم فخرًا ومجدًا في مقاومة التعاليم الحقيقيـة لكن احرى بكم ان تتضعوا قدام الله وتقتفوا آثار كثير من الرجال الممتازين بالتقوى والعلم الذين ولدتهم الكنيسة الرومانية وتقبلوا تعليمها وايمانها و باطاعتكم وتكريمكم الحبر الذي هو راعي الكنيسة وامامهـا ورأسها اتبعوه فيبلغكم الى الحياة الابدية . لانكم تعلمون حسناً ان من الاشياء الضرورية للخلاص ان يعرف المرء راعيه ورئيس كل جسم المؤمنـين و يدري من هو قائده ويكرمه اذ حسب قول القديس غريغوريوس اللاهوتي اينما لا يوجد رئيس لا يوجد نظام وحيث ينقص النظـام يوجد الاختلال

١٣ ادارة الكنيسة من رئيس واحد

فان نظرتم الى الاشياء الهيـةً كانت او بشرية وجدتم يا اخوتي انه لا بد للكل من رأس وحيد والّا فلا يمكن سياسة شيء حسناً

واولاً في الامور الالهية يعلّم لاهوت المسيحيين الحقيقي ان فوق كل شيء الهاً واحدًا وانه في ثلاثة اقانيم ولاجل حفظ الوحدة نعتقـد ان هؤلاء الاقانيم الثلاثة ليسوا الّا جوهرًا واحداً بعينه . والعلم الوثني المؤسس على اعتبار الاشياء الحسيـة يعترف بالحقيقة نفسها لان بعض مشاهير الوثنيـين علّم ان للوجود علة واحدة اولية وخالقًا واحداً و بعد ذلك يضع درجات متفاوتة بين الكائنات ويجد ايضًا المبدأ الوحيد الذي تحته عدة مبادىء مختلفة و بعضهم يعلّم التعليم نفسه مسندًا الى براهين عديدة ثم يلخص الكل بعبارة انتحلها من مؤلف سابق اقدم منهُ قال ان سلطـة كثيرين ليست بجيدة فلا بد من وجود سيد واحد وملك واحد لانه لا ينبغي حسب قوله ان تساس الاشياء سياسة سيئة وانما تكون السياسة سيئة ان لم يكن السائس واحداً

اما من حيث الامور البشرية والحكومات وخير البلاد فجميع المؤلفين وفوقهم

لهُ الباليوم (الدرع المقدس) مع الاسقف بسكاس . فعلى مَ يدل هذا كله يا اخوتي ألا يوضح سلطان الحبر الروماني الاسمى على الكنيسة كلها

١٥ النتيجة

فاذًا لدى تذكركم بكل هذه الامور وترويكم فيها جيدًا اطرحوا كل وهم مخالف للصواب وكل بغضة جائرة وكل رأي باطل بشأن اللاتين . و باعتناقكم حقيقة وطهارة الايمان حسب الكنيسة الكاثوليكية وتكريمكم الكنيسة الرومانية المقدسة فوق الكل كونوا معنا متحدين وانسلخوا عن الذين لمجرد حسدهم الشخصي يقولون لكم اشياء باطلة ويزيغونكم عن الايمان الحقيقي اعتبروا ان البابا هو الراعي المسكوني الحقيقي والاب والمعلم والحبر الاعظم واجلّوه وكرموه بما هو اهله . وبمعرفتكم ايضًا اننا رغمًا عن عدم كفاءتنا قد نصبنا رئيسًا شرعيا لكنيستكم وباعتباركم ايانا كذلك اقبلوا نصائحنا كنصائح اب لكم واشتركوا معنا بوحدة الرأي والايمان حتى باعتقادنا المعتقد نفسه بروح واحدة وفكر واحد نكون متحدين قلبًا محبين ومكرمين بعضنا بعضًا في كل الزمان الذي نعيشهُ في هذه الدنيا انا اباكم افرح بكم وابذل في سبيلكم كما يليق بي جميع الخيرات الممكنة جهد الطاقة حتى ننال بعد هذه الحياة مجد يسوع المسيح ونتمتع بالحياة الابدية مدركين بسعادةِ الغاية التي نشتهيها آمين

أُعطي في ويترب في ٦ حزيران سنة ١٤٦٣ للمسيح   بساريون برحمة الله

كردينال الكنيسة الرومانية المقدسة

وقَّعت بيدي نفسها   وبطريرك القسطنطينية رومية الجديدة

وكنا نودّ لولا ضيق المقام ان نأتي على ذكر ترجمة بساريون برمتها لكن حسبنا ان نقول ان هذا الكردينال الشرقي كان على جانب كبير من سموّ الاعتبار ورفعة الشأن لدى جميع معاصريه من الغربيين والشرقيين حتى ان مجمع الكرادلة قد رشحهُ مرتين

السلطان الذي احرزه الحبر الروماني في كل الكنيسة. ان البابا كاستينس هو وحده جزم آمرًا بعقد المجمع الافسسي (١) رغمًا عن وجود الكنيسة الشرقية والبطاركة هناك. وآباء المجمع الخلكيدوني المائة والثلاثون اسقفًا قبلوا رسالة (البابا) لاون الكبير قبولهم للاناجيل ودعوها بعمود استقامة الرأي وبحسبها فصلوا المسألة المختلف فيها مقتفين آثار تحديداتها التعليمية. والآباء انفسهم الذين نزعوا عن بطريرك الاسكندرية الرتبة الثانية ليمنحوها لبطريرك القسطنطينية اقتداء بالمجمع الثاني قرروا انهم لن ينتفعوا شيئًا ان لم يصدق على ذلك البابا لاون الكلي القداسة وتوسلوا اليه برسائلهم ان يتنازل لقبوله فلم يقبل به ولو لم يثبته بعده بابا آخر لما كان قد تقرر البتة وقبل ذلك الزمان كان البابا اينوكنتيوس قد ابسل الامبراطور اركاديوس والامبراطورة افدكسية ورشقهما بالحرم لنفيهما القديس يوحنا فم الذهب ظلمًا فلو لم يكن لهُ سلطان على كل الكنيسة ولو لم يكن هو الراعي المسكوني وابا جميع المسيحيين ومعلمهم العام ولو لم تكن القسطنطينية وقياصرتها من غنمه لما كان قد طردهما من شركة الكنيسة ووحدتها ولو لم يكونا خاضعين لهُ لما كان لحكمه عليهما اقل قوة وادنى تأثير

ثم لما اختلس فوتيوس الكرسي القسطنطيني بعد ان طرد اغناطيوس البطريرك الكلي القداسة حرمه البابا وارجع القديس اغناطيوس فبأي حق (صنع ذلك) ان لم يكن بحق السلطان الذي لهُ على الجميع. ولما انتقل القديس اغناطيوس الى الله والتمس القياصرة مرارًا بالحاح اجابة التماس فوتيوس ألم يكن البابا يوحنا خليفة البابوين نيقولاوس واربانس على كرسي رومية هو الذي ارجعه الى الكرسي البطريركي بارساله

---

(١) وفي نسخة اخرى موثوق بها يقول (لاشي ورذل مجمع افسس) وانما يريد به حسب هذه النسخة المجمع اللصي الذي عقده يوحنا البطريرك الانطاكي ضد القديس كيرلس الاسكندري

خاتمة الكتاب

هذا آخر ما علقناه واقفين عند افول شمس ذلك الرجل العظيم الكردينال بساريون عمود البيعة الجامعة والكوكب الساطع في أفق الكنيستين الشرقية والغربية لان ذكره قد ضاع نشره في كل الكتاب من اوائل اخبار الملك يوحنا حتى سقوط السلطنة ومهاجرة الروم الى ايطاليا وكان اعظم رجال العصر علماً واشدهم محبةً لأمته وانعطافاً الى بني ملّته وهو وان لم يستطع الجهاد عن المملكة في ساحة الوغى كما فعل رصيفه الكردينال ايسيدور فقد بذل قصارى همه في استنهاض همة ملوك الغرب واستحثاث غيرتهم على اغاثة الروم حتى بعد فتح القسطنطينية لم ييأس من النجاح بل اجتهد في جمع قوّة جندية لانقاذ اقليم المورة لكنهُ حال دون قصده موانع ثبطته فحبطت آماله

فباختتامنا ايراد المصائب الفاجعة التي حلت بالروم بانقراض سلطنتهم والقلب يتفتت حزنًا وكآبة لا نتمالك الّا نسلو شيئًا من هذه الغصص ثملين بمدامة التعزية لدى مشاهدتنا هذا الشيخ الجليل زهرة الكنيسة الشرقية الكاثوليكية منتقلًا الى الحياة الابدية معمرًا الثمانين لينال الاكليل المجيد المعد له جزاءً عما قاساه من الاتعاب والانصاب في بحر ستين سنة باذلاً نفسه في سبيل خير الكنيسة ومحبة الوطن والامة ممثلًا لنا صورة أعظم قديسي الشرق باسيليوس وغريغوريوس والذهبي الفم وغيرهم الذين كانوا لبيعة الله اعمدة واركانًا ولم يكن بمعزّز في الكنيسة الشرقية فقط بل كان رفيع المنزلة سامي المقام في صدر الكنيسة الرومانية التي احبت ان تنتخبه مرتين رئيسًا عليها خصوصيًا ورأسًا للكنيسة الجامعة

هذا الرجل الفريد حرٍ بان يكون قدوة لجميع الامم يقتفون آثاره مقتدين بصبره على البلايا الشديدة التي نزلت ببلاده وعشيرته او بمجده الفائق الذي احرزه مفاخرًا كبار

ليجلس على عرش خلفـاء المسيح البابوات المعظمين ففي المرة الاولى عند موت البابا نيقولاوس الخامس اوشك ان يرقى ذروة البابوية لو تقرَّر انتخابه حتى اعتاد اكثر المؤَرخين ان يقولوا ان بساريون كان بابا ليلة واحدة لكن في اليوم التالي تحولت الانظار الى الكردينال الفنس دي برجيا فانتخب وسمي بالبابا كالستس الثالث. ثم عند فروغ الكرسي بموت بولس الثاني ترَّجح في الافكار انتخاب بساريون خلفًا لهُ لكنهُ كان قد طعن في السنّ ووهت قوَّته وصحتهُ بما قاسى من مشاق الاشغال ولم يعش طويلًا بل توفاه الله بعد سنة وهو راجع من مهمة انتدبهُ اليهـا البابا لدى ملك فرنسا لويس الحادي عشر فقد اعتراه المرض الاخير في تورين فظلَّ مواصلًا مسيره الى راڤنـة حيث فاضت روحه الطاهرة في ١٨ ت ٢ سنة ١٤٧٢ فاخلف للقلوب حسرة عظيمة وقد أَسفت عليهِ الكنيسة قاطبةً. وهاك ما ذكر عنهُ الكردينال البابي اذ أَبَّنهُ قال:

«لم يكن في بساريون شيء من الجبانة بل كان يتدفق منهُ الشرف والشجاعة والنبل فقد خسر بفقده مجمع الكرادلة المقدس ذراعهُ وركن مشورته وكل مجده وفقد العلماء ابًا والاتقياء معزيًا ورُزئَ به مؤمنو العالم كلهِ رزءهم بسندهم المتين»

فهرس الكتاب

صفحة

الملوك ورؤساء الشعوب ومماثلاً لقسطنطين آخر سلاطين الروم فكما ان هذا الملك العظيم قد ضحى حياته المجيدة بسفك دمهِ عن شعبه ووطنه هكذا بساريون قد بذل حياته الطويلة كلها مضحياً اياها في سبيل خير امته في الدين والدنيا

فيتحصل من كل ما جاء في هذا الكتاب ان الاعمال العظيمة التي باشرها الملكان يوحنا وقسطنطين والكردينال بساريون كان مدارها كلها على قطب بثّ السلام والامان بين شمل المسيحيين اجمعين ووصلهم بعلائق الاتحاد الذي هو لكل امة مِلاك شرفها وقوتها ومجدها وبه يلتئم الجميع رعيةً واحدة لراعٍ واحد

وكان الفراغ من انشائهِ لتسعٍ خلون من شهر كانون الاول في عيد الحبل بالعذراء المجيدة بريئة من دنس الخطيئة الاصلية في العام الرابع والثمانين بعد الثمانمائة والالف للتجسد الالهي

والحمد لله اولاً وآخراً

صحيفة

صفحة

صفحة

صفحة

صحيفة

صفحة

القسم الثاني

في القيصر قسطنطين الثالث عشر آخر سلاطين الروم

صفحة

صفحة